بينظير بوتو

ابنة القدر

نوال مصطفى



بينظير بوتو

ابنة القدر

نـــوال مصطفى



العنوان: بينظير بوتو.. ابنة القدر

تأليف: نوال مصطفى

فكرة الغلاف: عمرو فهمى

تصميم الغلاف: طارق عبد العزيز

إشراف عام: داليا محمد إبراهيم



الترقيم الدولى: 0-4243-14-977 رقم الإيداع: 2008/2900 الطبعة 1: يناير 2008

الإدارة العامة:
21 شارع أحمد عرابى - المهندسين - الجيزة
تليفون: 33466434 - 33472864 02
فاكس: 33462576 02

المركز الرئيسى:
80 المنطقة الصناعية الرابعة - مدينة 6 أكتوبر
تليفون: 38330287 - 38330289 02
فاكس: 38330296 02

مركز التوزيع:
18 شارع كامل صدقى - الفجالة - القاهرة
تليفون: 25909827 - 25908895 02
فاكس: 25903395 02

فرع الإسكندرية:
408 طريق الحرية. رشدى
تليفون: 5462090 03

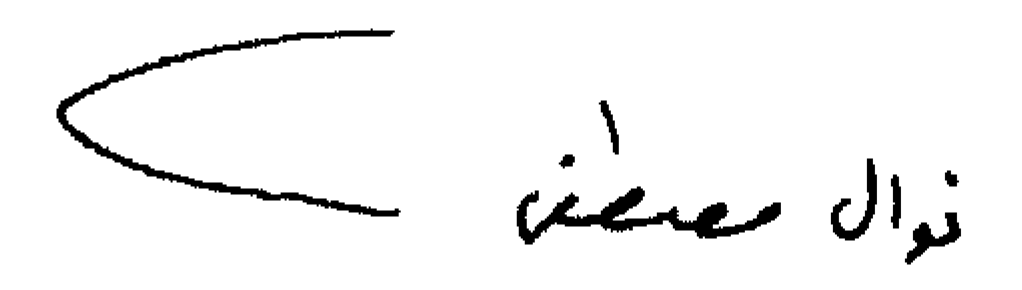
فرع المنصورة:
13 شارع المستشفى الدولى التخصصى - متفرع من شارع عبد السلام عارف - مدينة السلام
تليفون: 2221866 050

Website: www.nahdetmisr.com
E-mail: publishing@nahdetmisr.com — customerservice@nahdetmisr.com

إهـــداء

إلى بينظير..

الزعيمة الفريدة التى أهدتنى يومًا صورة لها موقعة بخط يدها وكأنها وصيتها الغامضة التى سأقرؤها بعد سنوات، فتطل عليَّ بكاريزمتها الآسرة.. وتُلهمنى سطور هذا الكتاب.

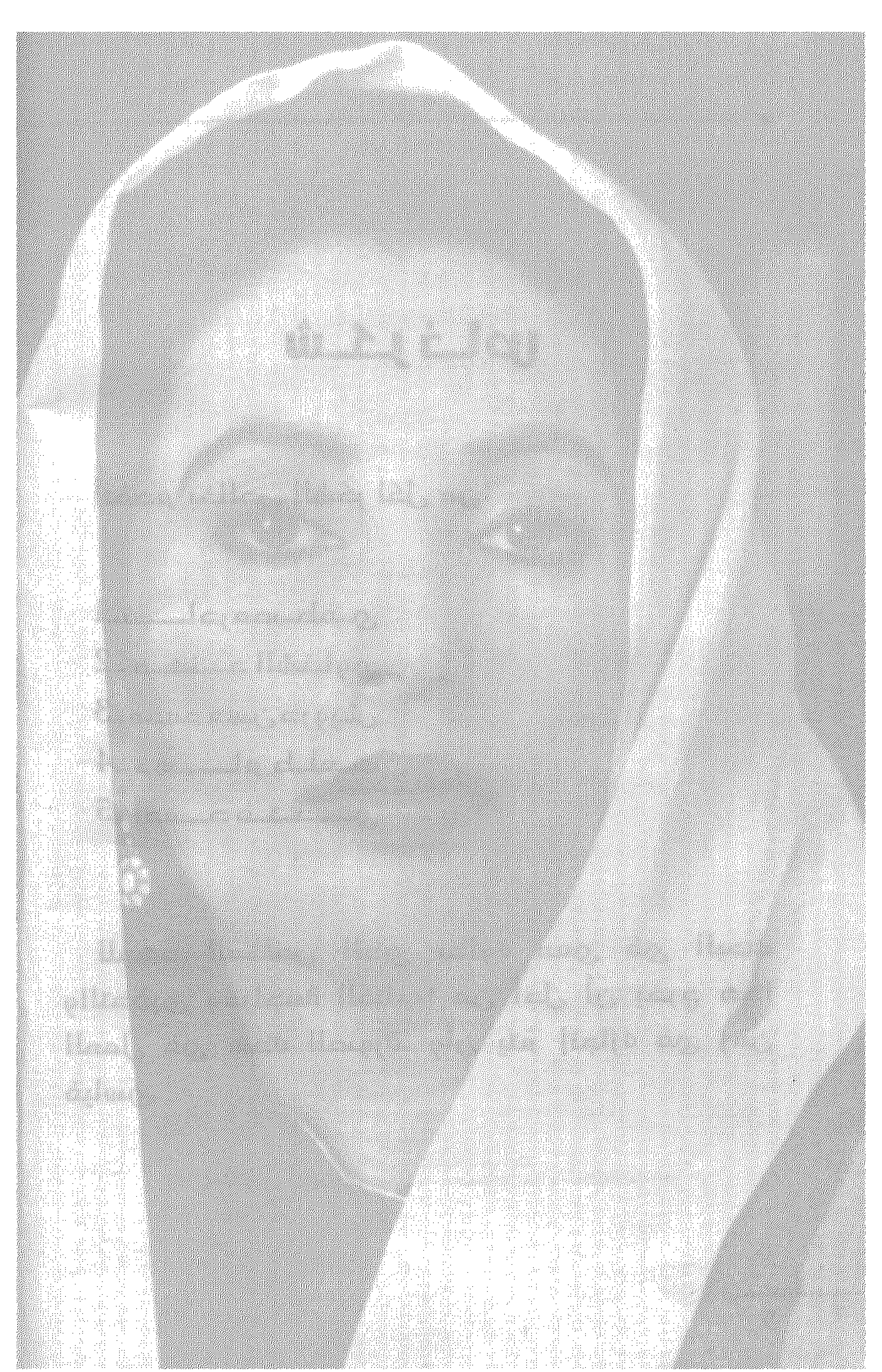


شكر خاص

أتقدم بخالص الشكر لكل من:

1- نادر مصطفى
2- مهند الشناوى
3- محمد حسن درويش
4- حسام طلعت
5- أحمد فتحى

للجهد المخلص الذى بذلوه معى فى البحث والتدقيق ومراجعة الكتاب؛ من أجل أن يخرج هذا العمل فى هذه الصورة.. وأن يتم إنجازه فى زمن قياسى.



قبـل أن تقـرأ..

لماذا هذا الكتاب؟

ما الدافع الحقيقى لإنجازه؟

ولماذا يصدر الآن بالتحديد؟

أسئلة عديدة طرحتها على نفسى قبل أن أشرع فى الكتابة، وأحتشد لأسجل شهادتى الصحفية والأدبية والإنسانية عن شخصية فريدة نجحت فى أن تحفر اسمها بارزًا على جدران ذاكرة العالم.. وذاكرتى.

شخصية وُلِدت تحمل جينات الزعامة وملامح الجاذبية، وضعها القدر وسط نيران تصهر الحديد، فلم تنصهر، ورمتها أمواج الحياة على صخرة الصراع والسلطة فلم تنكسر، ودفعها الثأر إلى الوقوف فى صفوف البسطاء من أجل حياة عادلة فلم تتأخر أو تتردد.

إنها بينظير بوتو؛ المرأة القوية الجميلة التى استحوذت على اهتمام العالم منذ شبابها المبكر وحتى رحيلها المبكر أيضًا برصاص الغدر والخيانة وهى فى الرابعة والخمسين من عمرها.

إنها واحدة من الزعامات التى سيتذكرها التاريخ، وستحفظ قصتها الأجيال، لا باعتبارها أصغر رئيسة وزراء فى العالم عندما تولت رئاسة الحكومة فى باكستان عام 1988، ولا لأنها أول رئيسة وزراء لدولة إسلامية فى العصر الحديث، ولا لكونها واحدة من أجمل خمسين امرأة فى العالم كما جاء فى استطلاع رأى أجرته مجلة «People» فى نهاية عام 2007، ولكن لأنها امرأة وقفت بشجاعة لا نظير لها فى وجه الحكم الشمولى الدكتاتورى، وتبنت رؤية إصلاحية حقيقية حلمت بأن تنفذها فى باكستان، واستطاعت أن تهزم الخوف داخلها؛ حتى لا تسمح لنفسها بالتراجع أو الانسحاب من مواجهة حقيقية.. وجهًا لوجه مع الفساد السياسى فى بلادها.

لذلك أشعر بالفخر الشديد؛ لأننى اقتربت منها، ونجحت عام 1990 فى الفوز بسبق صحفى مهم عندما أجريت حوارًا صحفيًا معها فى إسلام آباد، وكانت وقتها رئيسة وزراء باكستان، كما كانت تنتظر مولودها الثانى؛ ابنتها «بختوار زاردارى» أى أنها كانت «حامل»..

رئيسة وزراء «حامل»..

وأول رئيسة وزراء على مستوى العالم تلد وهى فى الحكم.

أشعر بالفخر؛ لأننى اقتنصت هذه الفرصة، وهذا اللقاء مع شخصية فريدة طالما بهرتنى «كاريزمتها» الخاصة كما بهرت الكثيرين فى أنحاء العالم، وجاءت جائزة نقابة الصحفيين التى حصلت عليها عن هذا الحوار والسبق الفريد؛ لتتوج هذا الفخر وتسجل هذا الحدث الكبير فى حياتى، وهو أننى التقيت يومًا شخصيةً غير عادية اسمها بينظير بوتو.

وأدركت منذ ذلك الحين أنه عندما يدفعك الفضول الصحفى إلى الإقدام على مغامرة صعبة، فلابد أن الموضوع يستحق، وعندما تصل درجة الإصرار داخلك إلى أقصاها من أجل الفوز بخبطة صحفية من العيار الثقيل، فلابد أن الأمر جدير بكل هذا الجهد والفكر والتحدى.

هذا ما حدث معى منذ 17 سنة.. كنت فى بداية مشوارى الصحفى، أحلم بسبق كبير أو انفراد، وعندما قفزت الفكرة فى رأسى تحولت من مجرد خبطة إلى أمل تشبثت به وحلمت بتحقيقه.

نظر إليّ رؤسائى بنوع من التعاطف المشوب بالشفقة وقالوا لى: حاولى.. ربما نجحت فى تحديد الموعد، لكننى قرأت فى عيونهم ونبرات أصواتهم مدى صعوبة تحقيق ذلك.

ولم يلبث أن تحول الأمر داخلى إلى نوع من التحدى والإصرار على الفوز بالحوار الصحفى الذى حلمت به، شعرت وقتها بأن

حلمى الصحفى تلامس مع حلمها السياسى، وحماستى فى كسر الحواجز واقتحام الصعب تتلاقى مع إصرارها العنيد فى تحطيم التابوهات الشرقية الصماء، والأفكار الرجعية التى تكرس النظرة الدونية إلى المرأة، وتمارس الإرهاب الفكرى على مسيرتها وانطلاقها وعطائها الإنسانى.

شىء ما زودنى بالصبر والإصرار للفوز بهذا اللقاء.

وعلى مدى شهرين كاملين من الاتصالات والفاكسات والمقابلات بينى وبين المستشار الإعلامى بسفارة باكستان فى القاهرة واسمه نور الصغير خان استمرت المحاولة الدءوب.

طلبت رئاسة الوزراء الباكستانية السيرة الذاتية الخاصة بى، فأرسلتها وانتظرت.

ولم أصدق عندما جاءت الموافقة على طلبى بعد شهرين كاملين من الانتظار والترقب، بل والتوتر، قال لى المستشار الإعلامى أنت محظوظة؛ فقد وافقت السيدة بينظير على إجراء حوار صحفى معك رغم أنها رفضت 16 طلبًا من صحفيين أجانب من مختلف دول العالم، والسبب أنها كانت على وشك الولادة.

وتحدد لى موعد معها لإجراء أول حوار لصحفى عربى معها، طرت إلى «إسلام آباد»؛ إلى الشخصية التى طالما أشعلت فضولى لمتابعة قصتها ومعرفة أخبارها.

وعندما طلبت أن أحضر اجتماعًا لمجلس الوزراء كمراقبة، سُمح لى بذلك، وبذلك أتيحت لى الفرصة كى أرصد تحركات وإيماءات هذه السيدة الشابة، صاحبة الشخصية المؤثرة وهى تقود مجموعة من الوزراء تقترب أعمارهم من سن أبيها الراحل ذوالفقار على بوتو.

كانت هذه المقابلة – وستظل – واحدة من أغنى تجاربى الصحفية والإنسانية؛ فقد كانت فرصة للاقتراب العميق من شخصية آسرة فريدة، هى بينظير ومعناها باللغة الأوردية: بلا نظير.

الإعداد للحوار.. الغوص العميق فى خلفيات القصة قادنى إلى اكتشاف العجيب والمثير عن هذه الشخصية الفريدة التى فرضت نفسها ـ حتى بعد اغتيالها الآثم ـ لتحتل اهتمام الصحافة والإعلام العالمى.. ويصبح اغتيالها هو الحدث الأهم بين كل الأحداث العالمية لعام 2007.

شخصية بهذا العمق كان لابد أن تترك هذا الأثر الفريد فى وجدان العالم؛ فقصتها تحمل أكثر من معنى ودلالة..

قصة كتبت بمداد الصبر والصمود.. البكاء والدعاء.. النفوذ والسلطة.. اليأس والأمل.. الانكسار والانتصار.

إنها بينظير بطلة قصة الصعود والهبوط، الانحناءات الحادة فى المصير والطريق.. قصة أكتبها الآن بدموع القلب، وغضب العقل.. دموع على شخصية تحولت إلى رمز فى حياتى وحياة كثيرات وكثيرين.. رمز للمرأة المسلمة المؤمنة بقدراتها.. القائدة

المثقفة المتحدية لطيور الظلام.. المدافعة عن مبادئها وأفكارها الإصلاحية حتى النهاية.

لقد أوصانى أصدقائى من أصحاب القلم أن أكتب قصتها وأهديها إلى نساء العالم.. قصة بينظير: الطفلة.. الشابة.. الابنة المكلومة.. الزعيمة المناضلة.. طالبة أوكسفورد وهارفارد.. رئيسة الوزراء..الزوجة والأم.. المنفية.. الزعيمة.. ثم الشهيدة.

ورغم احترامى وانبهارى بهذه السيدة الفريدة فإننى أحترم قارئى بالقدر نفسه؛ لذلك حرصت على أن أرسم صورة صادقة لـ«بينظير».. لا أن أمسح عليها صفات ملائكية أو أن أرفعها فوق مستوى البشر.. ولكن هى محاولة منّى للوقوف بجانبها بعد رحيلها؛ بجانب المرأة الشجاعة والرمز البديع، فأنا لم أنسَ أنها فى النهاية إنسان.. إنسان يخطئ كما يخطئ كل البشر..

هى صورة واقعية من لحم ودم.. أقدمها فى هذا الكتاب ليقرأه العالم، ويدرك كيف كانت بينظير حقًّا امرأة بلا نظير.

نـوال مصطفى

يناير 2008

امـرأة مـن الشـرق

هل كان الثأر هو السبب؟

هل صنع هذا المشهد الدرامى العنيف والحزين تاريخ «بينظير» بوتو؟

وهل رسم الخطوة الأولى فى طريق طويل محفوف بالمخاطر حتى النهاية؟

الزمان: 6 من صباح يوم 3 من إبريل 1979.

المكـان: سجن «روالبندى» المركزى، حيث اعتقل رئيس وزراء باكستان ذوالفقار على بوتو بعد أن أطاح به قائد قواته العسكرية ضياء الحق فى انقلاب عسكرى.

الحدث: عسكرى من السجن يتوجه إلى المعتقل القريب من السجن حيث وضعت زوجة الزعيم المخلوع «نصرت بوتو»

وابنته «بينظير بوتو» فى زنزانة واحدة، يطلب العسكرى من الزوجة والابنة ضرورة الاستعداد للتوجه إلى زنزانة الأب اليوم.. والآن.. للأهمية القصوى.

المشهد: الأم والابنة تتبادلان النظرات الزائغة.. الخوف يكاد يسحق أية قدرة على المقاومة داخلهما.. إن كلًّا منهما تعرف ماذا تعنى هذه الزيارة الرسمية المستعجلة.. ولكن لا «بينظير» ولا «نصرت» تملك الشجاعة لأن تصرح بما تشعر به.. حتى لنفسها.

فما معنى أن يرسل السجن لاستدعاء أهل سجين محكوم عليه بالإعدام شنقًا؟

وما معنى عبارة: اليوم.. والآن؟

إن المعنى الوحيد هو أن موعد تنفيذ الإعدام قد تقرر؛ لذا أرسلت إدارة السجن لتستدعى الأهل لرؤية السجين السياسى؛ رئيس الوزراء ذوالفقار على بوتو ليكون اللقاء الأخير.

طار عقل «بينظير» الابنة التى كانت تعشق والدها، وتهيم به إعجابًا وحبًّا.. كالمجنونة، راحت تبحث عن وسيلة تستغيث بها من أجل إنقاذ رقبة والدها من حبل المشنقة، ونجحت فى رسم خطة جهنمية لتهرِّب خطابًا إلى إحدى صديقاتها سرًّا من داخل زنزانتها بالمعتقل، قالت فيه إن أباها سوف يعدم غدًا صباحًا، وطلبت من صديقتها إرسال الخبر إلى الصحافة العالمية ربما تستطيع أن تفعل

شيئًا وتحدث المعجزة وينجو الأب من سيف الغدر والظلم، وادعت أنها مريضة وأنها لن تستطيع زيارة والدها اليوم، وطلبت تأجيل الزيارة إلى الغد.

وبالفعل أذاعت الإذاعة البريطانية الخبر.. وأشارت إلى أن مصدره هو بينظير بوتو ابنة الزعيم المخلوع، وذكرت الإذاعة إن «بينظير» قالت فى خطابها إنه رغم النداءات العالمية التى وجهها رؤساء وملوك العالم إلى ضياء الحق ترجوه ألا ينفذ حكم الإعدام فى ذو الفقار على بوتو.. فقد قرر أن يتحدى العالم، ويعدم أباها.

فى اليوم التالى.. كانت الإذاعة البريطانية قد أذاعت الخبر.. ووجدت «بينظير»، العسكرى أمامها يطلب منها ومن أمها ضرورة تنفيذ الزيارة اليوم.. ونزل الخبر على الابنة والأم كالصاعقة.. وذهبتا إلى السجن والقوى خائرة.. والخوف والهلع يملآن قلبيهما.

وفى زنزانة الأب، كان الموقف عصيباً.. الأب يحاول التخفيف عن «بينكى» كما كان يحلو له أن يناديها.. يبتسم ويقول لها لا تبكى ولا تحزنى.. كونى قوية من أجلى.. أريد أن تكون آخر صورة أراها هى وجهك الجميل والابتسامة تزيده جمالاً.

كادت «بينظير» تسقط خلف باب الزنزانة عندما سحب والدها يديه من يديها وهو يربت عليها، ويطلب منها أن تستجيب لكلام الضابط وألا تثور عليه، إنها لم تمكث أكثر من 30 دقيقة؛

كانت هى كل الوقت المسموح لها هى وأمها لرؤية أبيها قبل تنفيذ الإعدام.. وصرخت «بينظير» فى وجه الضابط: كيف.. كيف أودعه من خلف باب الزنزانة؟ افتحوا الباب أريد أن أقبّله.. أريد أن أضمه، إننى ابنة رئيس وزراء باكستان.. إننى ابنة الزعيم ذوالفقار على بوتو.

وعبثًا.. ذهبت صيحاتها أدراج الرياح.. لم يستجب أحد لدموعها، ولم يهتز رجال السجن لصوتها المشروخ وصراخها الصادر من قلب مذبوح.

وأعدم ذوالفقار على بوتو، الزعيم الباكستانى الكبير، مؤسس حزب الشعب الباكستانى عام 1967 على يد الدكتاتور ضياء الحق، فى الصباح الباكر من يوم 4 من إبريل 1979.

هذا المشهد كتبته «بينظير» بنفسها فى الفصل الأول من كتابها «ابنة الشرق» أو «Daughter of the East».

فهل كان الثأر هو السبب؟

هل صنعت دماء الأب تاريخ الابنة؟

وهل كتبت تفاصيل هذا المشهد الدرامى قدر «بينظير» الذى لم تكن يومًا تعتقد أنه ينتظرها؟

على طريقة (الفلاش باك) أعود قليلًا إلى الوراء لأروى كيف ظهر ضياء الحق وكيف تمكن من السلطة، بل كيف غدر برب

نعمته ذوالفقار على بوتو الذى أكرمه وقرَّبه ومنحه منصبًا مؤثرًا فعيَّنه رئيسًا لأركان الجيش الباكستانى.

وقصة ذوالفقار على بوتو وضياء الحق هى الأشهر فى تاريخ باكستان المليء بالمفارقات والمتناقضات.. بالدماء والاضطرابات والعنف.. القصة تبدأ بحركة مفاجئة فى 1 من إبريل 1976، قام بها رئيس وزراء باكستان ذوالفقار على بوتو؛ حيث عيَّن ضياء الحق رئيسًا لأركان الجيش برتبة فريق، متجاوزًا بذلك خمسة قادة أقدم منه فى الرتبة؛ وذلك بسبب ثقة «ذوالفقار» به واطمئنانه إلى أن ضياء الحق ليست له ميول سياسية؛ فبوتو لم يكن يريد قائدًا للقوات المسلحة من النوع الذى يشكل أى تهديد له، فوقع اختياره على ضياء الحق المعروف بالبساطة والقناعة، ولم يكن يعلم وقتها أنه سيلقى حتفه على يد الرجل الذى ائتمنه وأعطاه كامل ثقته.

بعد ذلك بوقت قصير، شهدت باكستان حالة من الفوضى والاضطراب، وزادت حدة المعارضة -خصوصًا الإسلامية- ضد الرئيس بوتو الذى نكَّل بخصومه الذين انتقدوا توجهاته الغربية العلمانية، وزادت حدة الاضطرابات فى باكستان وتدهور الوضع السياسى؛ وسقط حوالى 350 قتيلًا وآلاف الجرحى من جراء العنف السياسى؛ حيث قتل مفتى محمود والد الزعيم الدينى المعارض فتح الرحمن. دعا الرئيس بوتو الجيش إلى التدخل لمواجهة أعمال العنف، وقمع المظاهرات وتأييد نظامه، إلا أن بعض ضباط الجيش -خصوصًا القادمين من إقليم البنجاب- رفضوا قمع المظاهرات والاصطدام

بالشعب وإطلاق النار على المتظاهرين، وكانت تلك هى النواة التى هيأت لضياء الحق فرصة القيام بانقلاب عسكرى ضد الرئيس بوتو فى 5 من يوليو 1977، وأعلن أن الجيش قام لوضع حد لحالة التدهور التى تجتاح البلاد، والتى عجز الرئيس بوتو عن حلها، وخشية من إقحام بوتو للجيش فى السياسة واستخدامه فى عمليات القمع. وعندما بلغ القلق السياسى فى باكستان مداه بسبب النزاع بين بوتو وقيادة التحالف الوطنى الباكستانى بشأن قضية الانتخابات العامة، اغتنم ضياء الحق الفرصة، وفى 5 من يوليو 1977 قام بانقلاب أبيض أطاح فيه بحكومة ذوالفقار على بوتو، وفرض الأحكام العرفية فى البلاد؛ فقاد انقلابه على حكومة حزب الشعب الحاكمة عام 1977 وسجن زعيمها ذوالفقار على بوتو بتهمة قتل مفتى محمود، ثم حكمت عليه المحكمة بالإعدام. لم يقبل ضياء الحق طلبات ونداءات دولية عديدة لتخفيف الحكم، وأعدم ذو الفقار على بوتو شنقًا فى السجن فى 4 من إبريل 1979. وقد أيَّد الإسلاميون ضياء الحق فى أول الأمر، وشاركوا فى أول وزارة بعد الانقلاب، فتسلم وزارة الإعلام أحد أعضاء الجماعة الإسلامية، وكان «طفيل محمد» أمير الجماعة الإسلامية، وهو خال ضياء الحق وعلى صلة وثيقة به، غير أن هذه العلاقة بدأت تتغير عندما قوى نظام ضياء الحق، فكان يلتقيهم ولا ينفذ شيئًا مما يطلبونه، ويتعلل بأن له شركاء فى المجلس العسكرى ولا يستطيع فرض القرارات والمواقف عليهم.

وبعد أن قام ضياء الحق بالإطاحة بـ «ذوالفقار بوتو» تم إعلان الأحكام العرفية، وأصبح رئيس أركان الجيش الجنرال محمد ضياء الحق رئيسًا للبلاد تحت الحكم العرفى، ووعد بإجراء انتخابات جديدة فى غضون 3 أشهر.

بعد ذلك أفرج ضياء عن بوتو، وأكد أنه يمكنه دخول سباق الانتخابات المقرر إجراؤها فى أكتوبر 1977، ولكن بعد أن أصبح واضحًا أن شعبية بوتو كفيلة بإنجاحه هو وحزبه فى الانتخابات، وبالتالى سيستعيد منصبه رئيسًا للوزراء ويعود إلى السلطة، قام ضياء بتأجيل الانتخابات البرلمانية وبدأت التحقيقات الجنائية مع كبار القادة فى حزب الشعب، ومنهم ذوالفقار على بوتو.

وأدين على إثرها بوتو وحكم عليه بالإعدام لمؤامرة زعم أنه يدبرها لاغتيال سياسى معارض هو مفتى محمود، وعلى الرغم من النداءات الدولية التى أطلقت فى العالم كله للعفو عنه، فإن ضياء الحق حكم عليه بالإعدام شنقًا فى إبريل 1979.

بعدها تولى ضياء رئاسة باكستان، ودعا إلى الانتخابات فى نوفمبر ومع ذلك ـ خوفًا من النصر الذى من الممكن أن يحققه حزب الشعب. قام ضياء بحظر النشاط السياسى فى أكتوبر 1979 وأجلت الانتخابات الوطنية.

فى 1980، قامت معظم أحزاب الوسط واليسار بقيادة حزب الشعب وشكلت (الحركة الوطنية من أجل استعادة الديمقراطية)

ومنذ البداية طالبت الحركة الوطنية من أجل استعادة الديمقراطية ضياء بالاستقالة، وإنهاء الأحكام العرفية، وإجراء انتخابات جديدة، واستعادة مواد الدستور التى ألغاها وكانت موجودة قبل أن يقوم ضياء بالاستيلاء على الحكم، وفى أوائل ديسمبر 1984 أعلن الرئيس ضياء استفتاء وطنياً على برنامجه الإسلامى فيما يُسمى بأسلمة الدولة، وأعرب ـ ضمناً ـ ربط الموافقة على «أسلمة» الدولة مع جهوده المتواصلة للاحتفاظ بالرئاسة خاطباً ود الأحزاب الإسلامية، إلا أن الحركة الوطنية من أجل استعادة الديمقراطية ومعها أحزاب أخرى قاطعت الانتخابات، وعلى الرغم من ذلك ادعت الحكومة أن 63٪ من الشعب الباكستانى أدلوا بأصواتهم، وأن أكثر من 90٪ أدلوا بالموافقة على الاستفتاء، وتساءل كثير من المراقبين عن صحة هذه الأرقام.

عرضت واشنطن على ضياء الحق شراء بعض الدبابات الأمريكية، وأحضرت بعضها إلى باكستان لرؤيتها ومعرفة مزاياها القتالية على الطبيعة.. وتحدد يوم 17 من أغسطس 1988 موعداً لاختبار هذه الدبابات، فخرج ضياءالحق وبعض كبار قادته، يرافقهم السفير الأمريكى فى باكستان أرنولد رافاييل والجنرال الأمريكى هربرت واسوم وكانت الرحلة فى منتهى السرية.

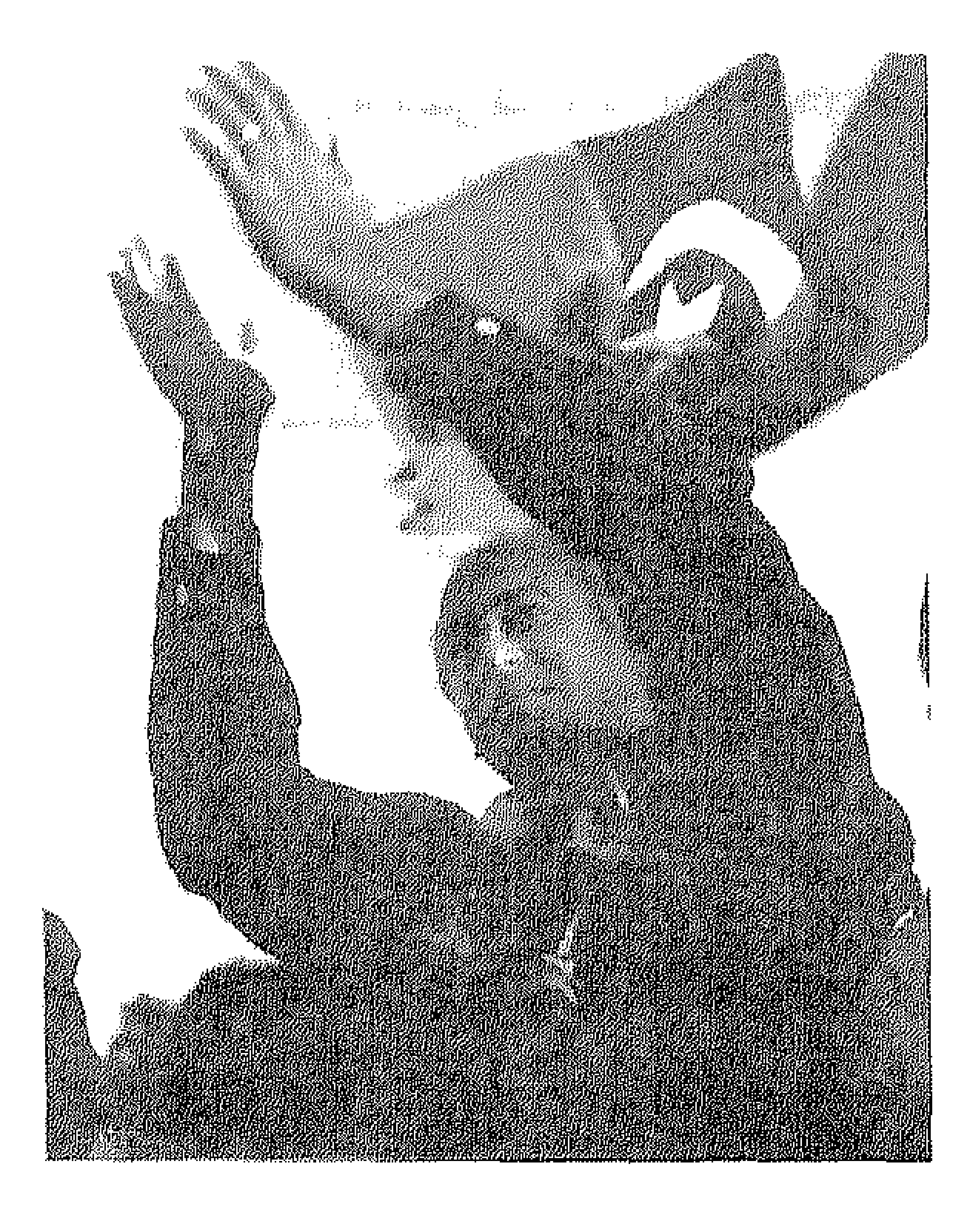
بعد معاينة الدبابات، انتقل الرئيس ومرافقوه إلى مطار بهاوالبور لينتقلوا منه إلى مطار روالبندى واستقلوا طائرة هليوكوبتر عسكرية

خاصة، وما إن أقلعت الطائرة حتى سقطت محترقة بعدما انفجرت قنبلة بها وتناثرت أشلاء الجميع محترقة.

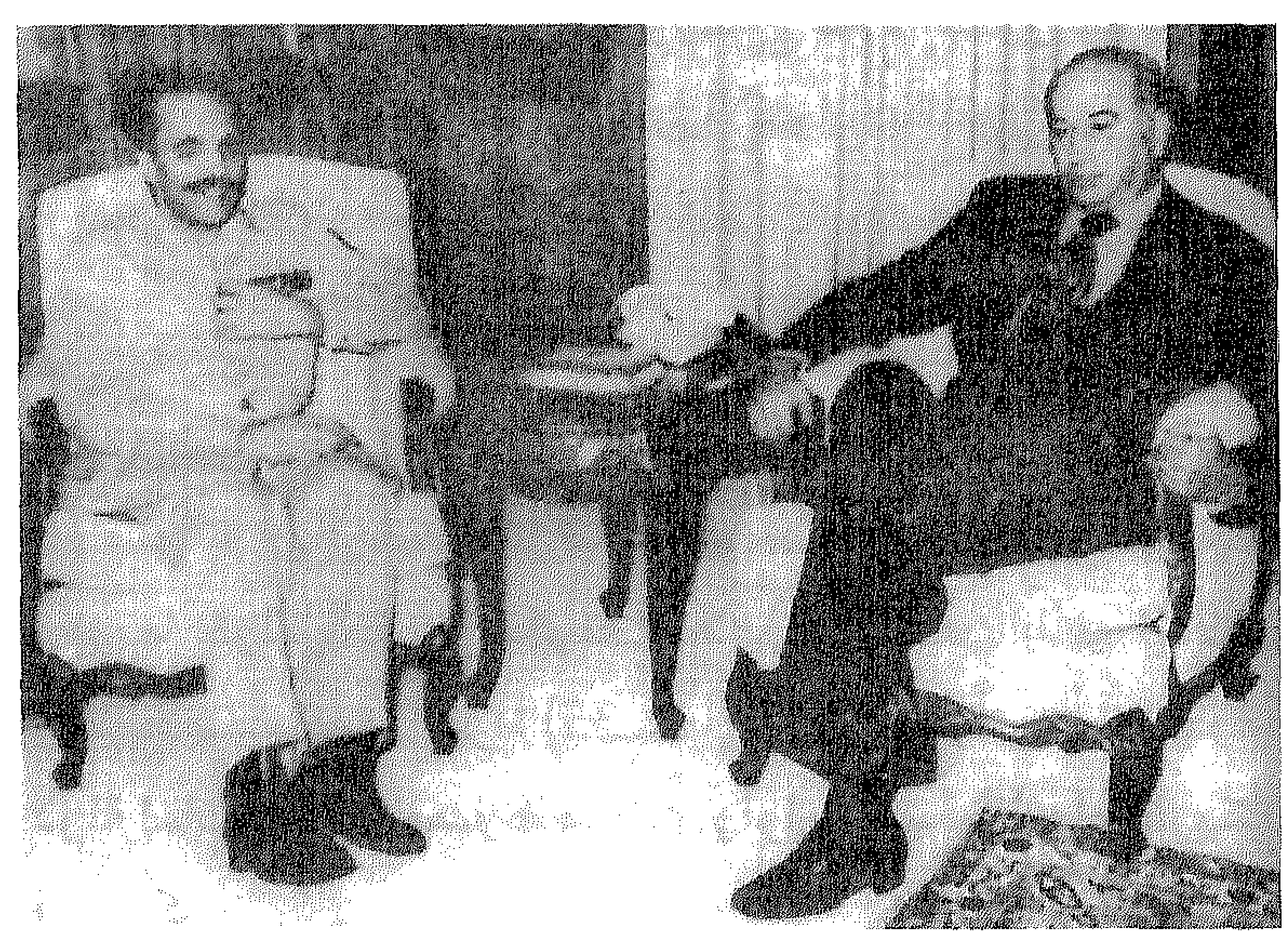
يُعتقد أن الانفجار كان قد وقع فى الصندوق الذى كان يحمل هدية من ثمار المانجو مقدمة إلى ضياء الحق الذى كان يحب هذه الفاكهة.

فى 17 من أغسطس 1988 تحطمت الطائرة التى كانت تقل الرئيس ضياء والسفير الأمريكى أرنولد رافاييل، وقائداً آخر بالجيش الأمريكى، و28 من الضباط العسكريين بالجيش الباكستانى.. ووفقًا للدستور فإن رئيس مجلس الشيوخ غلام إسحاق خان أصبح رئيسًا لباكستان بالنيابة، وأعلن أن الانتخابات المقرر إجراؤها فى نوفمبر 1988 سوف تتم فى موعدها.

أما بالنسبة لبوتو فكانت الأشهر الأخيرة من عام 1988 الأكثر إثارة؛ حيث استطاعت فى أوّل انتخابات عامة تجرى منذ أكثر من 10 سنوات أن تحصد أكبر نسبة من المقاعد فى الجمعية الوطنية، وهو ما خوّلها لتتزعم حكومة ائتلافية فى 2 من يناير 1988، وتصبح بذلك أصغر امرأة (35 عامًا)، وأوّل امرأة ترأس حكومة دولة إسلامية فى العصر الحديث، وأول رئيسة وزراء تلد وهى فى الحكم.



٥٥ أبى عندما تم تعيينه وزير خارجية وأنشأ حزب الشعب الباكستانى.



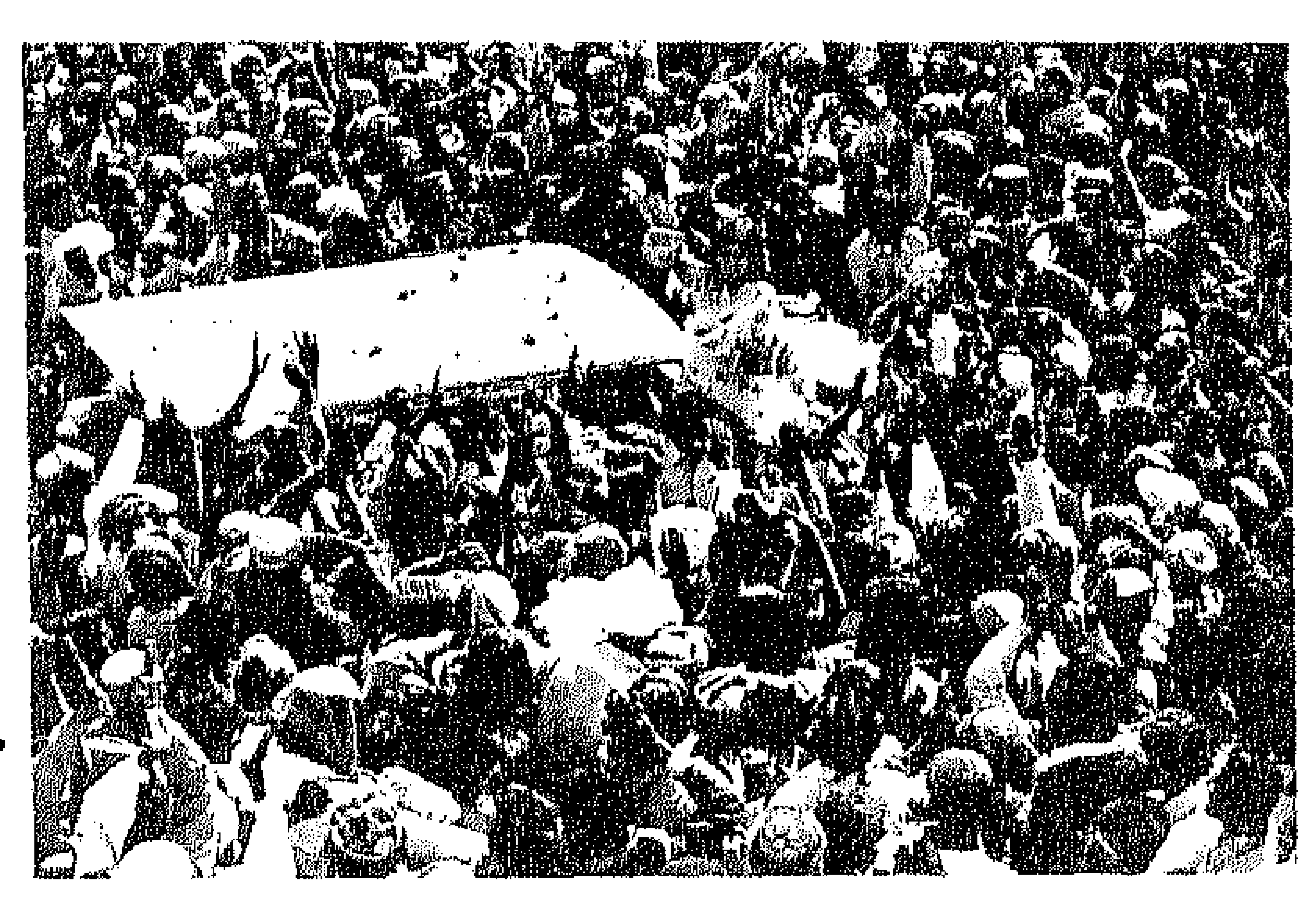
٥٥ الخيانة العظمى: الجنرال ضياء يزور أبى قبل أن ينقلب عليه.
ذو الفقار على بوتو إلى اليمين وضياء الحق إلى يسار الصورة.



•• أبى مقبوض عليه في لاهور.



•• في إنجلترا قاد شاه نواز ومرتضى حملة دولية ضد إعدام أبى، ولكن ضياء فعلها عام 1979.



•• بعد وفاة والدى التف الشعب حولى.



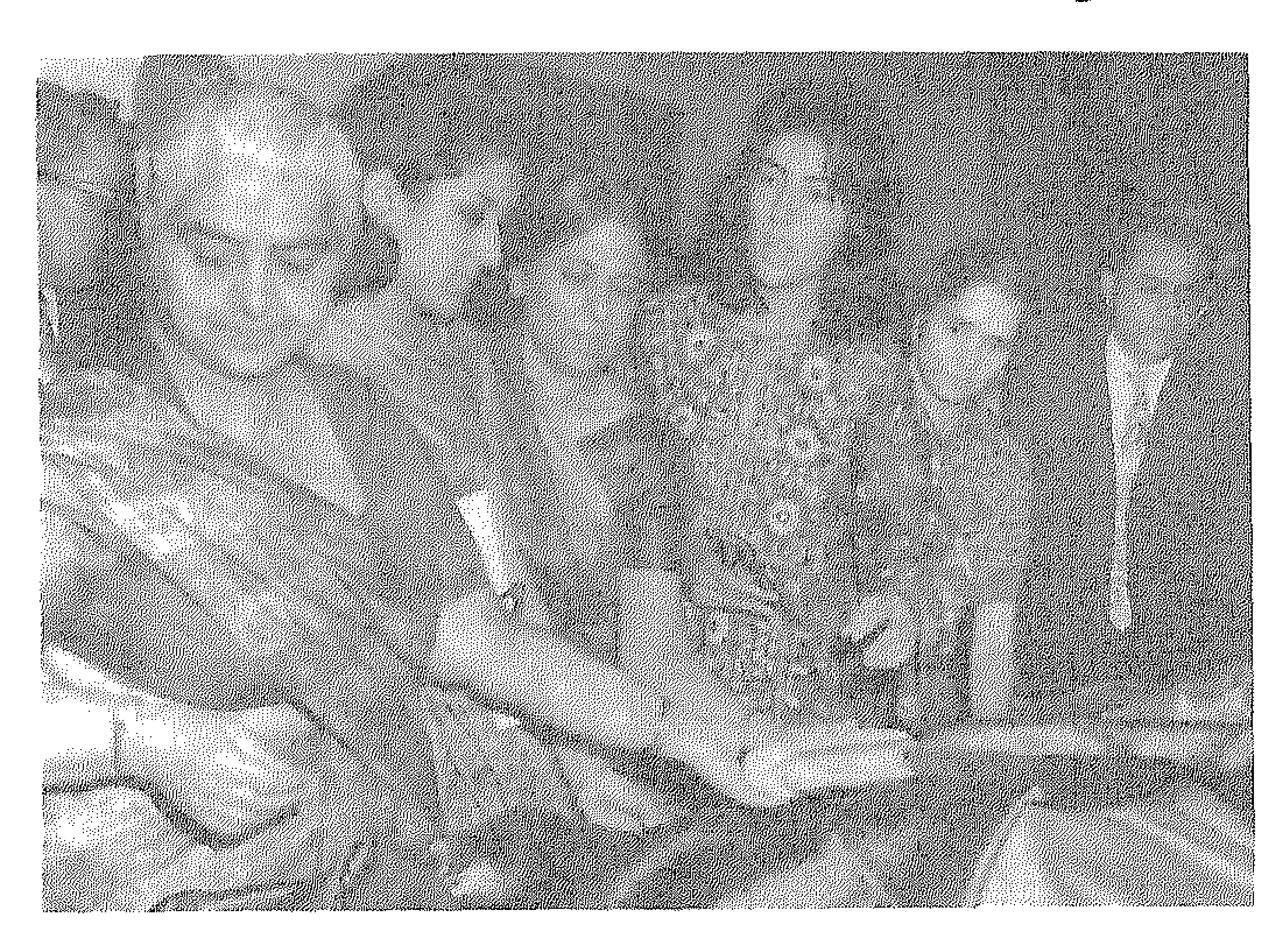
•• شعرت أن جزءًا منى قد مات وأنا أضع الزهور على قبر والدى الراحل قبل أن أعود إلى كراتشى لاستقبال التعازى، وبعدها بخمسة أشهر قام ضياء الحق بإلغاء الانتخابات واعتقلنى وأمى ثانية.



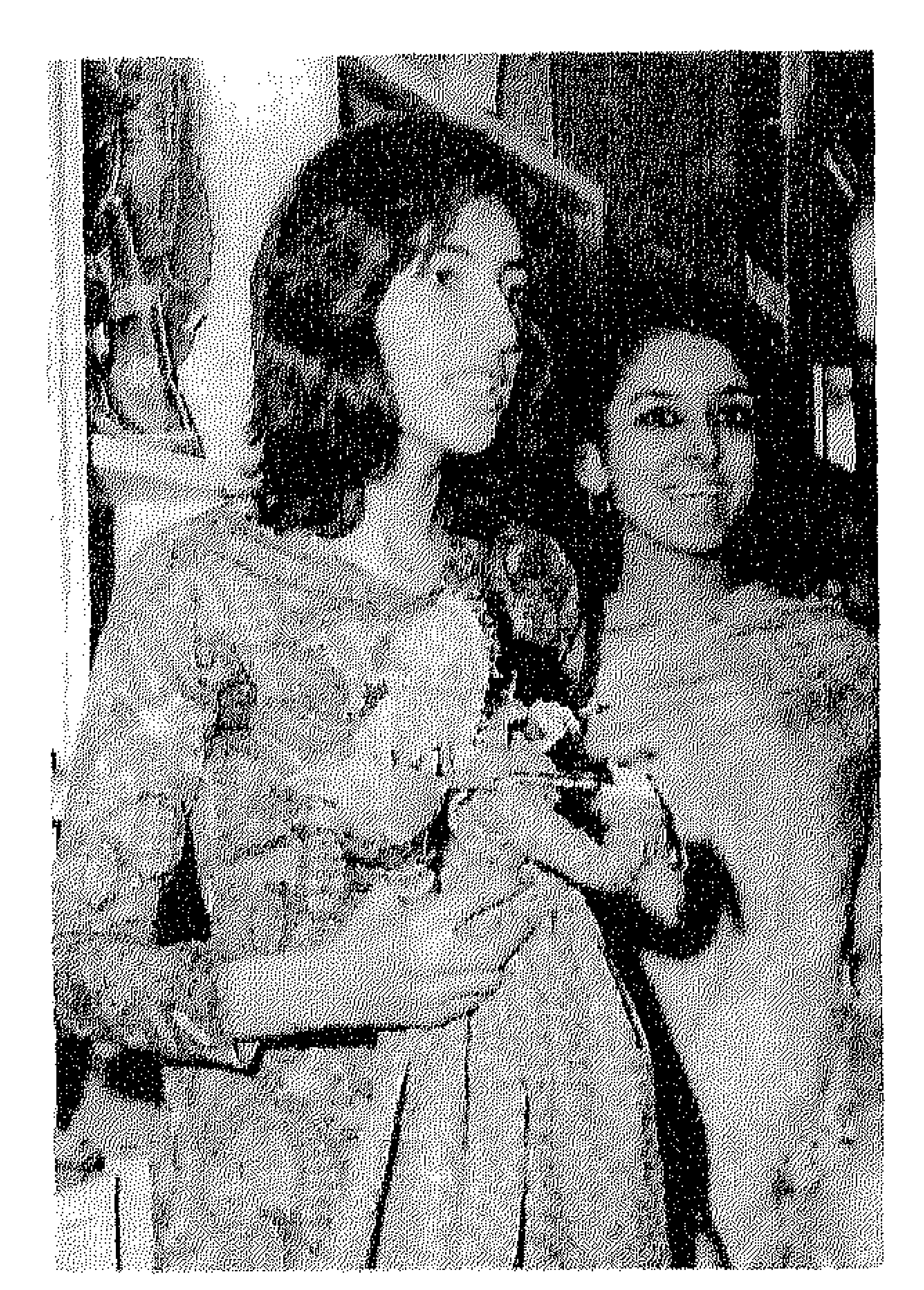
•• مناصرو حزب الشعب يتم جلدهم بسبب قانون الزواج، أثناء حكم ضياء الحق فى عام 1980.



•• أثناء فترة حكم والدى ذو الفقار على بوتو
وكنا فى زيارة إلى الهند .



•• هل صنعت دماء
الأب والغدر
قدر الابنة التى
صارت زعيمة؟



•• ولعها بالسياسة
وحبها للوطن
كان أبرز ملامح
شخصيتها منذ
البداية . .

لقائى مع بينظير فى إسلام آباد

نكتبها بنازير.. والصح بينظير.. أو بلا نظير.. أو التى لا نظير لها.

وقد رأيتها وتحدثت معها وهى فى الحكم.. فكنت أول من حاورها فى الصحافة العربية.. كان ذلك منذ نحو 17 سنة.. ومن يومها وأنا أرصد مشوارها.. ومصيرها.. فى السلطة وفى المعارضة.. فى وطنها.. وفى منفاها.. فى صمتها.. وفى تحديها للجنرال برويز مشرف الذى قلبت كيانه فور أن أعلنت منافسته فى الانتخابات.

إن بينظير بوتو امرأة غير عادية؛ فهى «ابنة القدر» كما وصفت نفسها فى مذكراتها التى سجلت فيها قصة حياتها، ونشرت عام 1989.

القدر هو الذى وضع فى فمها «ملعقة من ذهب» فهى ابنة الرئيس الباكستانى الأسبق ذو الفقار على بوتو.. والقدر جعل منها امرأة

شديدة الجاذبية.. والقدر منحها فرصة التعلم فى أعرق الجامعات: هارفارد وأوكسفورد.

والقدر رمى بها فى أمواج السياسة المتلاطمة.. والقدر منحها فرصة تولى السلطة فى بلادها لتصبح أول رئيسة حكومة فى دولة إسلامية.. وأول رئيسة حكومة تلد فى السلطة.. وأصغر رئيسة حكومة فى العالم.

لكنها فقدت سلطتها فى نهاية عام 1990.. ثم استردتها بعد ثلاث سنوات فى المعارضة.. على أنها لم تستمر طويلًا هذه المرة؛ فقد اتهم زوجها عاصف زارداري الذى عينته وزيرًا للاستثمارات الخارجية بالرشوة والفساد واستغلال نفوذ زوجته.

لقد ظلّت بينظير بوتو تتأرجح بين الصعود والهبوط.. السلطة والمعارضة.. القمة والقاعدة.. الطموح والجنوح.. النعيم والجحيم.. قوة الحاكمة وضعف العاشقة.. فهل هناك شخصية يمكن أن تلفت نظرى وتثير خيالى وتحفزنى لفك طلاسمها والتوصل إلى شفرتها أكثر منها؟

أثارت بينظير بوتو فضولى وإعجابى بها فى الوقت نفسه الذى كنت فيه أبدأ مشوارى فى الصحافة، وأحلم بسبق صحفى كبير أطبع به اسمى على ذاكرة القارئ.. فلم أجد سواها أتطلع إليه.

كان ذلك فى منتصف الثمانينيات وهى تخوض معركتها ضد ضياء الحق؛ قائد الجيش الذى انقلب فى 1979 على أبيها «ذو الفقار

على بوتو» رئيس الحكومة وأعدمه ووضعها تحت الإقامة الجبرية بعد أن عادت إلى البلاد فى حالة تحفز له.

فتشتُ فى ملفاتها لأجد أنها من مواليد عام 1953 وبالتحديد 21 من يونيو؛ أى أنها من مواليد برج الجوزاء.. تنتمى إلى عائلة سياسية شهيرة.. درست علوم الاقتصاد والسياسة فى جامعتى هارفارد وأوكسفورد وعادت بعد سنوات الدراسة الطويلة فى الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا إلى وطنها عام 1977، حيث كان والدها فى الحكم. وبعد عامين، وقع انقلاب ضياء الحق على والدها، فلم تمكث بعده سوى شهرين وسافرت إلى دول مختلفة من العالم لتفضح ممارسات ضياء الحق، لكنها فشلت فى تجنيد الدنيا كلها لمنعه من إعدام أبيها أمامها.

لقد حوَّل ذلك المشهد المأساوى المروع حياة الشابة الجميلة، والمثقفة، الذكية والثرية إلى طريق آخر لم تكن تفكر فيه.. قررت النِّضال ضد الدكتاتورية من أجل انتصار الديمقراطية.. وأغلب الظن أن رغبتها فى الثأر لوالدها هى السبب.. فقد تأثرت به أكثر من أى شخص آخر.

بعد إعدام أبيها وضعها ضياء الحق تحت التحفظ فى بيتها فلم تستطع أن تحتمل ذلك، وتركت بلادها التى لم تعد إليها إلا بعد وفاته بثلاثة أشهر فى حادث طائرة عام 1988.. شجعتها وفاته على العودة بعد تسع سنوات فى المنفى.. وفور عودتها تولت رئاسة حزب الشعب الذى أسسه والدها عام 1967.

فى عام 1988 فاز تحالفها بأغلبية قليلة فى الانتخابات البرلمانية التى جرت فى ذلك العام وتولت منصب رئيسة الوزراء ولم يكن عمرها يزيد على 35 سنة.

هنا.. وصل إصرارى على تحقيق حلمى إلى مداه.. ولجأت إلى رئيس تحرير «الأخبار» فى ذلك الوقت سعيد سنبل الذى قال: «والله شىء رائع لو حصلت على هذا الانفراد الصحفى الكبير.. على كل حال.. حاولى» وبعد شهرين من الاتصالات بالسفارة الباكستانية فى القاهرة تحدد لقائى بها فى 16 من يناير عام 1990.. ولحظة أن عرفت الموعد كدت أطير من الفرحة.

لكن فى الوقت نفسه كان كل شىء يدعو إلى القلق.. فعندما يكون الحوار مع شخصية مثلها فإنه يتحول من حوار إلى تحدٍّ.. كما أن هناك سبباً آخر للقلق وهو أنها كانت تنتظر طفلها الثانى بين لحظة وأخرى فى تلك الأيام.. وهو أول طفل لرئيسة حكومة وهى فى السلطة.. يضاف إلى ذلك أنها أول رئيسة حكومة فى العالم الإسلامى المكون من 42 دولة.

فى 15 من يناير 1990 كنت الصحفية الوحيدة فى العالم التى سمح لها بحضور اجتماع مجلس الوزراء، ورغم أننى لم أفهم ما يقال باللغة «الأوردية»، فإننى رحت أتأملها وهى تتكلم وتسرح وتفكر وتتصرف.

كانت تجلس فى منتصف مائدة طويلة فى قاعة مستطيلة ويحيط بها الوزراء وقد وضعت على رأسها طرحة بيضاء خفيفة وترتدى الزى الباكستانى؛ فستان طويل يصل إلى فوق الركبة وتحته بنطلون مصنوع من القماش نفسه لونه مشجر أصفر فى أخضر.. وخلفها صورة لمؤسس باكستان محمد على جناح.. وأمامها صورة لوالدها.

من اللحظة الأولى، شعرتُ بأنها «كاريزما» تطل على ما حولها بإيماءات واثقة هادئة وهى تدوِّن فى مفكرة صغيرة أمامها ملاحظاتها حتى ينتهى المتحدث فتعقِّب على ما قال دون أن تسمح لأحد بالخروج على دائرة الاهتمام.

حاولتُ أن أراقب ارتفاع بطنها حتى أعرف بالتقريب متى سيكون موعد الولادة.. ولكنها بذكاء وحنكة كانت تخفى معالم جسدها تمامًا تحت طرحة طويلة وشال لفَّت به نفسها.. والسبب فى ذلك ليس الحفاظ على مظهرها الجميل الذى تعوده الناس وإنما هو أن موعد الولادة سر قومى، حاولتُ طوال وجودى فى إسلام آباد العاصمة أن أعرفه.. وفشلت.. وإن عرفت أنها ستنجب ولدًا.. اقترح زوجها أن يكون اسمه سيجاوال ومعناه «الجميل».. واقترحت أمها «نصرت بوتو» أن يكون اسمه ديلاوال ومعناه «الشجاع».

فى اليوم التالى التقيتها فى مكتبها بالدور الأول من مبنى مجلس الوزراء، ودون تضييع وقت بدأ الحوار الذى أُعيدَ نشر مقاطع طويلة منه لم يفقدها الزمن أهميتها.

- سألتها: هل تشعرين بأن كرسى الحكم يهتز من تحتك بعد أن نجت حكومتك من اقتراع بطرح الثقة بفارق ضئيل؟ وهل كانت استقالة حكومتك أخيرًا تهدف إلى تشكيل حكومة جديدة تضم وزراء من المعارضة؟

– قالت: أنا لم أفقد عقلى بعدُ حتى أتأثر بالمعارضة لطرح الثقة، نحن حكومة برلمانية.. ديمقراطية.. تشكلت من حزب الأغلبية فى 16 من نوفمبر 1988 وعندما فزنا فى الانتخابات قلت: إن حزب الشعب فاز بأصوات الجماهير الفقيرة فى بلادنا.

وأضافت: لكنِّى أشعر بأنه يجب ـ أدبيًّا ـ على الحكومة بعد الاقتراع على طرح الثقة أن تستقيل، على أنى طلبت من الوزراء أن يستمروا فى عملهم حتى يحدث التغيير الوزارى فى الوقت المناسب.

إننى أؤمن بأن أية حكومة ديمقراطية، جاءت إلى الحكم بأصوات الأغلبية، لها الحق فى أن تأخذ وقتها لتحقيق برنامجها، وقد قطعنا على أنفسنا الكثير من الوعود لشعبنا وهو يتوقع منا الكثير ونحن بالفعل جادون فى تحقيقها.

• سألتها: أمضيت فى صفوف المعارضة سنتين من عام 1986 إلى عام 1988 كنت خلالها رئيسة حزب الشعب، فماذا تشعرين وأنت فى الحكم تواجهين المعارضة؟

- قالت: أنا لا أحارب المعارضة حتى لو حاربونى.. سوف أنظر فى الاتجاه الآخر.. هذا ما قلته لأعضاء حكومتى.. اتركوهم يشتمون ويصيحون وركزوا فى أعمالكم وواجباتكم تجاه الشعب.. فليس من الضرورى أن يتشتت جهدنا كما تريد المعارضة.. أنا أريد أن أرى المعارضة تتقدم لتصبح جادة وقوية لتدعيم النظام السياسى.. وأرى أن نظام حزبين سياسيين أو ثلاثة يعطى قوة أكبر وحيوية أكثر لأى برلمان يشكل حكومة؛ ذلك لأن وجود معارضة قوية يجعل الحكومة تطور أداءها.. وكلما ارتفع مستوى الحوار بين الحكومة وبين المعارضة فى المجلس الوطنى «البرلمان» قوى النظام السياسى كله.

تسكت قليلًا ثم تعود إلى الكلام: لكن المعارضة تستخدم أساليب سلبية سواء داخل البرلمان بمحاولات طرح الثقة أو خارجه بافتعال الإضرابات فى الشوارع.. يفعلون ذلك؛ لتشتيت جهودنا ومنعنا من أداء مهامنا القومية.. على أننا سنترك ذلك ونركز على التنمية الحقيقية.. سنركز على التعليم والصحة والبطالة وتأسيس سيادة

القانون وإعطاء المرأة مكانها الصحيح وتنظيف البلاد من المخدرات وهى المشكلة المزمنة التى نتوارثها.

• لكنِّى ذكَّرتها بعبارة «نحن لسنا ملائكة» التى علَّقت بها بعد نجاة حكومتها من طرح الثقة، فقلتُ: هل كنت تشعرين بالتقصير فى تحقيق برنامج حزبك؟

– قالت: أنا لا أعتقد أن هناك إنسانًا لا يعانى من التقصير.. أو الضعف.. والحقيقة أننا فى الحكومة نعترف بأخطائنا وهو ما أتمنى أن تفعله المعارضة أيضًا وبالشجاعة نفسها.

• سألتها: هل معنى ذلك أنك لا تهتمين بما تثيره المعارضة من انتقادات لحكومتك؟

– قالت: قطعًا لا.. فرغم أساليبهم الخاطئة وقوة نفوذهم فى الصحافة؛ فإننى أقرأ دائمًا ما يكتبونه وأطلب التحقيق فيه.. أنا أشعر بأنه من المهم جدًّا لرئيس ديمقراطى أن يستجيب للنقد ولا يهمله.. وكلنا نتعلم من أخطائنا.. الحياة بالنسبة لنا عملية تعلُّم مستمرة.

• سألتها: أنت ابنة زعيم سياسى كبير ونشأتِ فى بيت يتنفس سياسة، فهل ولدت بحب عميق فى داخلك للعمل السياسى؟ وهل أنت مُصرة على المضى فى طريقك وخوض معركتك لمواجهة كل التحديات التى تواجهك؟

- قالت: أنا لم أولد بحب السياسة إنما جئت هنا بعد سلسلة من الأحداث التى دفعتنى إلى هذا القدر. . أنا أذكر أن أبى قال لى ذات مرة: بالنسبة لى السياسة هى غرام رومانسى مع الشعب. . وأذكر أيضًا قول السيدة أنديرا غاندى: «إن السياسة بالنسبة لى واجب»، أما أنا فلا أستطيع أن أقول إنه كان عندى حب للسياسة. . فقد كنت أرى أن الحياة العائلية تتأثر كثيرًا بالسياسة؛ فكان أبى يبعد عنا أيامًا كثيرة وكنا نفتقده، وعندما رأيت التهديدات والقهر اللذين تعرض لهما وهو سجين سياسى لم أشعر فعلًا بحب السياسة.

أطلقت تنهيدة عميقة، ثم أضافت: ولكن جاء الوقت الذى حكم فيه باكستان حاكم عسكرى، وشعرت عندئذ بأن كل مواطن فى هذا البلد يجب أن يقف ضده مساندةً للمصالحة الوطنية وحماية للقيم الباكستانية. فى ذلك الوقت، بدأت أولى خطواتى فى طريق السياسة. . وبعد ذلك وضع شعب باكستان كل توقعاته وأحلامه فى الخلاص من الحكم العسكرى فى شخصى وأحسست بالمسئولية داخلى تدفعنى وتحرضنى على ألا أخذلهم وقررت بالفعل ألا أخذلهم؛ ولهذا كرستُ حياتى للسياسة.

تبسمت وهى تتذكر البداية قائلة: بالطبع أنا بدأت صغيرة جدًا فى عام 1977؛ رحلة مشحونة بالنشاط المكثف والقلق لأقود البلاد فى الاتجاه الصحيح وأكون خادمة دستورية قوية لها.

• سألتها: هل تنوين الاستمرار فى العمل السياسى بعد كل ما واجهته وتواجهينه؟

- أجابت: إننى أتمنى أن أحقق كل الوعود التى تضمنها حزبى من أجل حياة أفضل للشعب، لكننى لا أرى نفسى مسز مرجريت تاتشر (رئيسة وزراء أسبق شهيرة فى بريطانيا) لأستمر فى منصبى طويلًا.. أنا مؤمنة بأن الإنسان يجب أن يواجه التحديات وينجح فيها ثم يترك الفرصة للآخرين.

• سألتها: هل تعنين أنه ليست لديك النية لإكمال مشوارك للنهاية؟

- قالت: لا.. لا أقصد ذلك.. إننى لن أترك الميدان فى المستقبل القريب.. أعرف أن هذا الخبر قد يخيِّب ظن المعارضة ويحبطها.. ولكننى أعنى أنه على المدى الطويل لابد أن تكون لدىَّ الشجاعة لأن أتنحى وأترك غيرى يكمل الطريق.

ثم بنبرة صوت تعبر عن انفعال أضافت: إننى منتج باكستانى جدًّا.. تعلمت فى مدارس باكستان وأعتبر نفسى جزءًا من ثقافتها وأنا فخور بتاريخى.. وتمتعت بميزة الدراسة فى الخارج.. فكما قال النبى محمد: «اطلبوا العلم ولو فى الصين» ولكننى أعرف أن هذه الملاحظات لابد أن تعطى انطباعًا بأن الشرق لا يستطيع

إنتاج زعمائه أو لا يستطيع أن ينتج رجالًا ونساء من نوعية رفيعة يستطيعون أن يقودوا بلادهم ويكتبوا تاريخ أمتهم.. بينما يتوافر ذلك بسهولة فى الغرب.. إلا أننى أرى فى الشرق ديمقراطية برلمانية وحرية فكر مناسبة.. ولابد أن ينظر الإنسان بإعجاب وتقدير لهؤلاء الذين ينتمون إلى حضاراتهم وتدعيم الديمقراطية فى بلادهم، وأنا أشعر بالامتنان لهذه الفرصة التى منحنى الله إياها لأن أتعلم فى جامعات الغرب من أجل بلادى التى كانت دافعى وحافزى لذلك.

- سألتها: ألا تشعرين بأن التقاليد فى بلادكم واحدة من التحديات التى تواجهك باعتبارك أول امرأة تحكم دولة فى العالم الإسلامى؟

– قالت بانفعال: هنا أحب أن أشير إلى أن القرآن الكريم فيه إشارة واضحة إلى امرأة كانت تحكم بلادها هى بلقيس ملكة سبأ.. وأنا أرى فى قصتها دليلًا من عند الله على الدور الذى تستطيع أن تلعبه المرأة.. ونحن نعلم أن هناك الكثيرات من الحاكمات الإسلاميات فى التاريخ الإسلامى القديم.. ولو عُدنا إلى القرآن الكريم فسنجد أن ملكة سبأ حققت الرخاء لشعبها وهو ما أتمنى أن يوفقنى الله إلى تحقيقه للشعب الباكستانى.. أنا مسلمة أؤمن بأن السيادة لله تعالى وأن الرجال والنساء خلفاء لله فى الأرض، ولكن فى بعض الأحيان عندما لا يستطيع الناس

أن يجدوا مجالًا ينتقدونك فيه فيقولون: «إنك امرأة»، لكننى أعتقد أنهم لو احترموا إرادة الله فسوف يحترمون خلفاءه فى الأرض مهما يكونوا.

• سألتها: هل فترة الحمل قلَّلت من نشاطك وحيويتك الرسمية؟

– قالت: أنا لا أحب أن أعلق على مسائل شخصية، لكننى لا أرى تعارضًا بين أن تكون لدىَّ عائلة وبين أن يكون لدىَّ دور عام.. وخلال فترة الحمل كما رأيت بنفسك قمت بعملى بالنشاط نفسه.. وعلى العالم أن يتخلص من أفكاره البالية وينطلق نحو عمل أفضل.. والأكثر من ذلك أن القرآن الكريم نصَّ على المساواة بين الرجل والمرأة، وسوف يجنى كل منهما ما فعل يوم الحساب.

وأنا كمسلمة أؤمن بأننى مواطنة مثل أى مواطن آخر فى بلادى لدىَّ واجبات معينة لابد أن أؤديها بقدر ما أستطيع وبكل ما أملك من إمكانات وقدرات، وأتمنى لبقية النساء أن يثبتن أنهن قادرات على تنفيذ المستحيل.

• سألتها: ما أصعب موقف قابلتِه فى حياتك أثناء فترة الحمل؟

– قالت: عندما ذهبت إلى منطقة مرتفعة اسمها «سياجن» لأتفقد القوات المسلحة على الحدود مع الهند.. كنت قلقة بسبب قلة الأكسجين ولكن بفضل الله لم تحدث أى مشكلات.

انتهى أهم ما جاء فى حوارى معها. لكن صورتها لم تختف من حياتى؛ فهى امرأة حديدية لا تعرف معنى الاستسلام؛ وهى كلمة ليست فى مفرداتها. فبعد أن تركت الحكم وبقيت عشر سنوات متنقلة بين بريطانيا والإمارات العربية قررت العودة إلى باكستان لاستئناف حياتها السياسية مرة أخرى.

واستعد أنصارها لاستقبال زعيمة حزب الشعب وزعيمة المعارضة فى نهاية شهر أكتوبر 2007.. واحتشدت الجماهير لاستقبالها، لكن فجأة وقع أخطر حادث إرهابى لها.. فقد تعرض موكبها لتفجيرين شديدين استهدفا اغتيالها.. ولكن القدر كتب لها النجاة وإن قتل 129 شخصًا من أنصارها بجانب مئات المصابين.

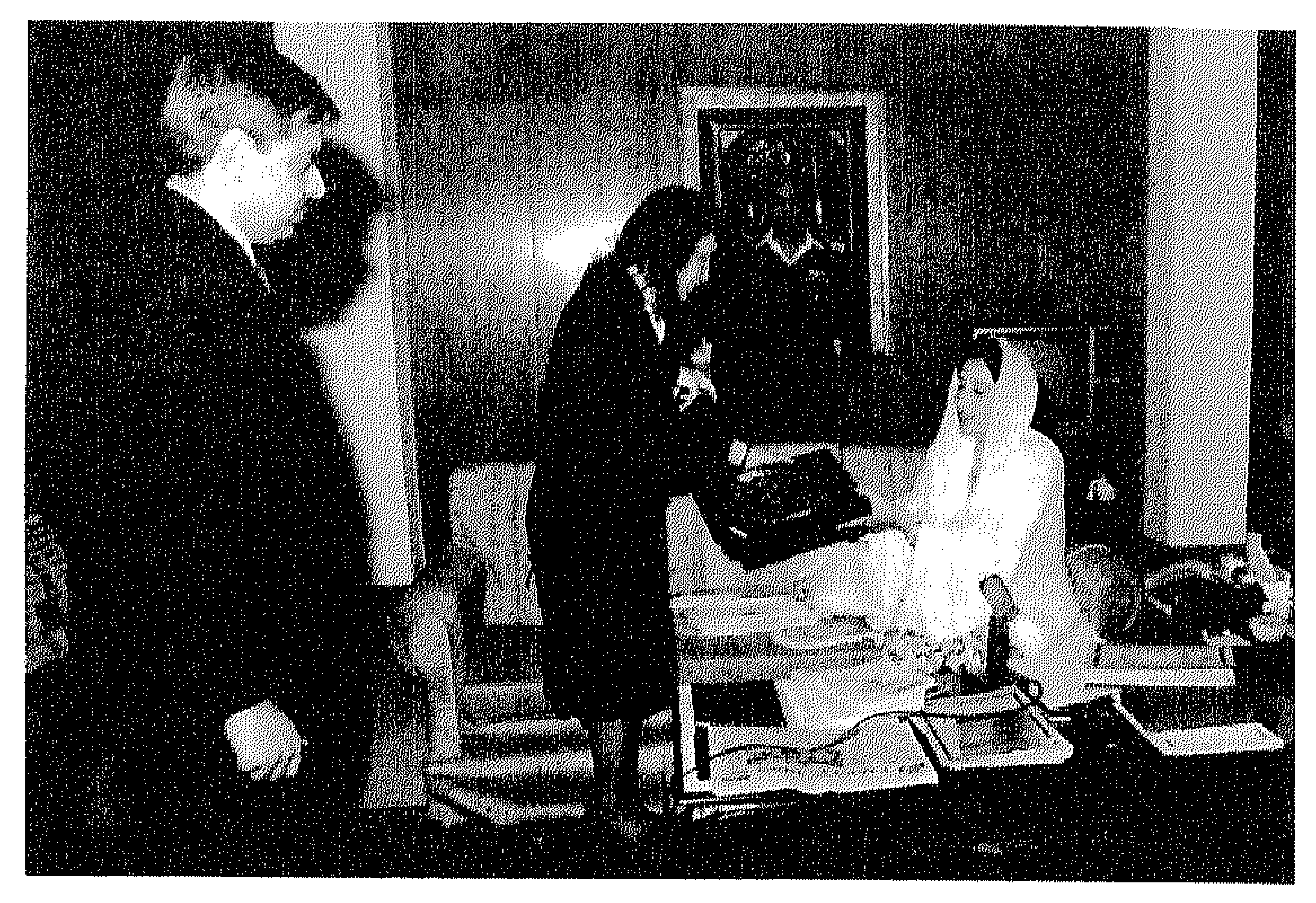
لم تخف بينظير بوتو بل زاد عنادها وإصرارها على الاستمرار فى المطالبة بعودة الديمقراطية إلى بلادها والمشاركة مع أنصارها فى المظاهرات التى تطالب برويز مشرف بإعلان موعد محدد للانتخابات التشريعية الجديدة كما تطالبه بالتخلى عن قيادة الجيش قبل 15 نوفمبر وهو موعد نهاية البرلمان الحالى والتاريخ المقرر لأداء برويز مشرف اليمين كرئيس لولاية ثانية.

لم تخش بينظير بوتو الموت ولا الاغتيال ففرض عليها الجنرال الذى يحكم بلادها بعد انقلاب عسكرى قام به الإقامة الجبرية فى بيتها زاعمًا أن فى ذلك ضمانًا لسلامتها وخوفًا على حياتها من الاغتيال.. لكنها كسرت الحصار ونزلت إلى الشارع لتشارك فى

المظاهرات وهى تقول: «سأواصل النضال من أجل حقوق الشعب الباكستانى ووضع حد للدكتاتورية التى تخنقه».

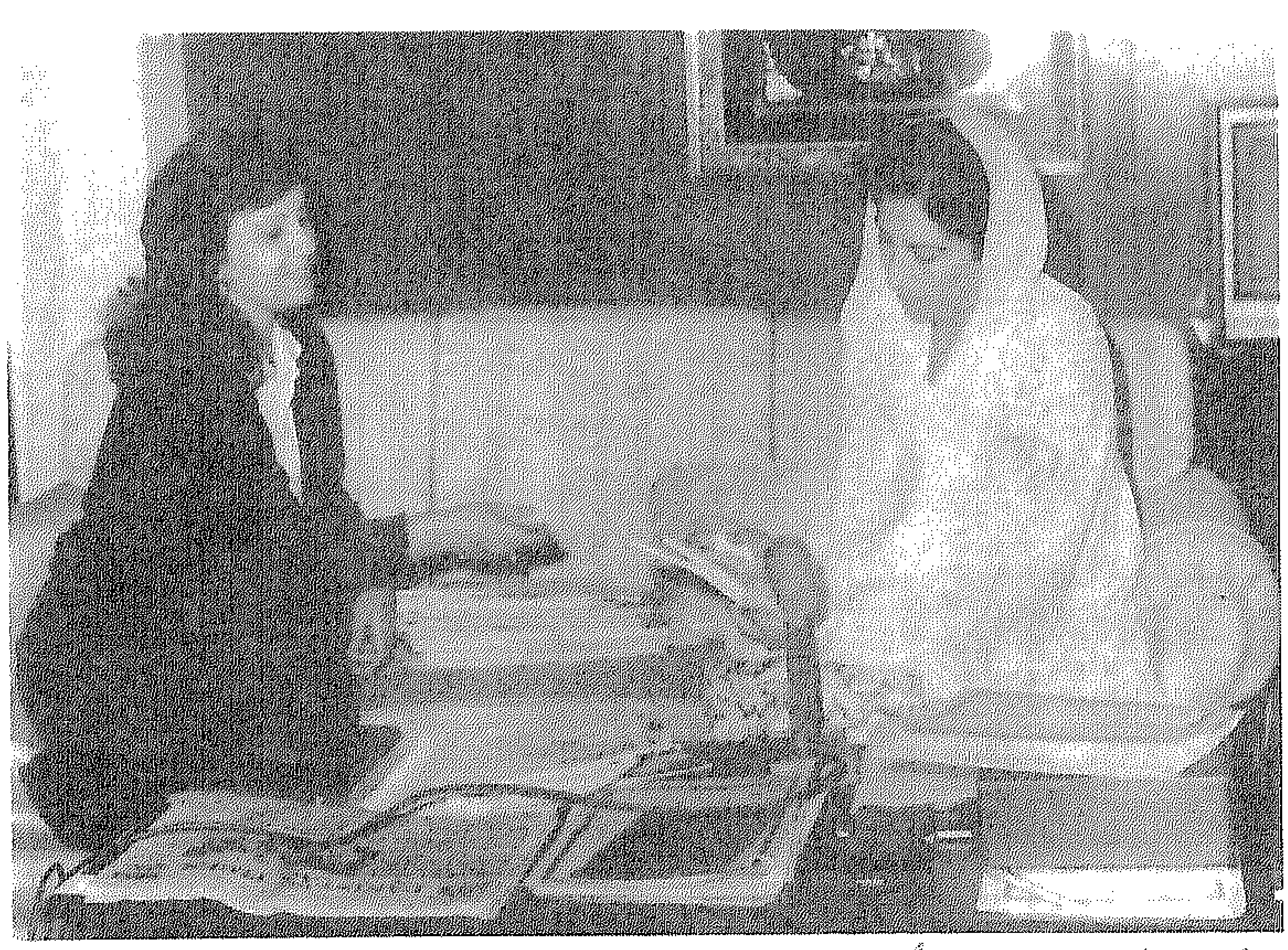
وأمام إصرارها اضطر برويز مشرف إلى إلغاء الحظر عنها وعادت المرأة الحديدية إلى السيطرة على أخبار الصدارة فى الدنيا كلها.

وهكذا ظهرت مرة أخرى بينظير بوتو؛ الأم لثلاثة أبناء والزوجة لرجل أصابتها سمعته المشبوهة فى مقتل.. ظهرت مرة أخرى لتؤكد من جديد أنها امرأة غير عادية.. وشخصية لا يمكن عبورها دون انتباه واحترام، لكنها فى البداية والنهاية تستحق اللقب الذى وصفت به نفسها «ابنة القدر».



•• أثناء حوارى معها بمكتبها بمجلس الوزراء فى إسلام آباد . . ويومها حرصت على أن أهديها طبقًا من الفضة محفورًا عليه آيات قرآنية من «خان الخليلى» وصورة لنفرتيتى قدمتها إليها هدية من مصر . وفى المقابل أهدتنى هى كتابها «ابنة الشرق» .

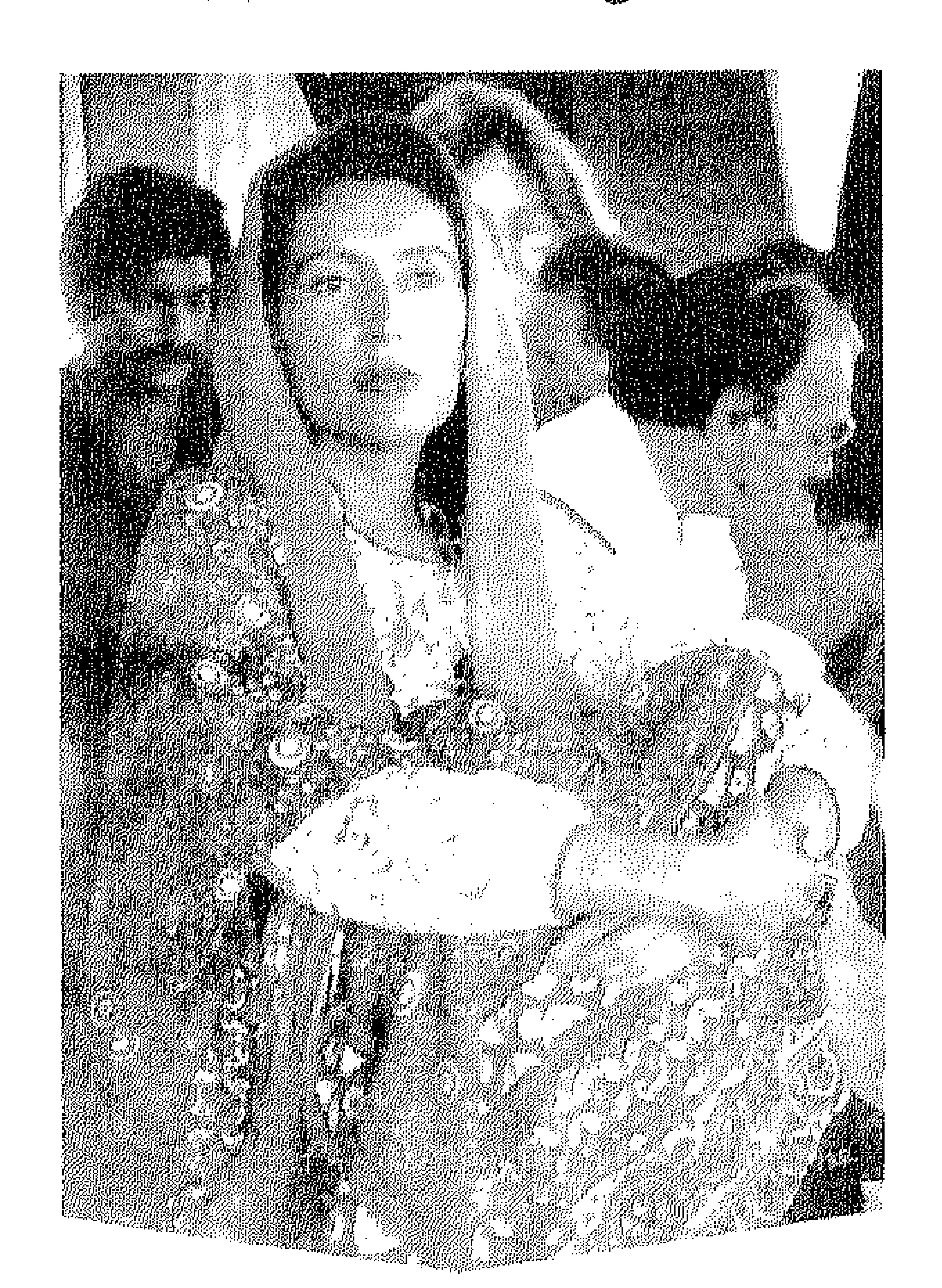




•• أشعر بأنه من المهم جدًا لرئيس ديمقراطى أن يستجيب للنقد ولا يهمله . . وكلنا نتعلم من أخطائنا . . الحياة بالنسبة لى عملية تعلم مستمرة .



•• فى سياجن شعرت بالخوف على الجنين الذى أحمله بين أحشائى ، لكنى هزمت الخوف .



•• أثناء الحملة الانتخابية الأولى عام 1988 ونظرة عميقة مليئة بالتأمل.



•• بينظير الزعيمة وثقة بالنفس تظهر فى ملامحها.

عاصف زاردارى: زوجتى رئيسة وزراء

فى منزل بينظير بوتو رئيسة وزراء باكستان بإسلام آباد جرى حديثى مع عاصف زاردارى زوج بينظير ليكون أول حديث صحفى معه.. بعد أن وافق على أن يخصنى بهذا السبق وكان ذلك قبل ولادة زوجته رئيسة الوزراء.

وعلى غير ما توقعت كان منطلقًا.. بسيطًا إلى أقصى حد.. شجاعًا فى إعلان آرائه بمنتهى الصراحة دون أى تحفظات.. تشعر معه بأنه شخصية متفتحة.. متفهمة.. مستوعبة لكل شىء.. عاصف زاردارى تخرج فى جامعة أوكسفورد بإنجلترا.

«إنه وضع صعب.. بل إنه أصعب وضع فى العالم، ليس بالنسبة لى فقط، ولكن بالنسبة لزوجتى أيضًا.. أن أكون زوجًا لرئيسة الوزراء».

هكذا بادرنى بالإجابة عاصف زاردارى زوج بينظير بوتو.. أول رئيسة وزراء فى دولة إسلامية.. هى باكستان.. فى أول

حديث يدلي به منذ زواجهما، فهو يرفض تمامًا الأحاديث الصحفية؛ حتى لا يواجه بهذه الأسئلة الصعبة.

• سألته: ما شعورك وأنت زوج لأول سيدة تشغل هذا المنصب في دولة إسلامية؟

- قال: إن الموقف صعب.. خصوصًا فى الحفلات العامة أو الزيارات الرسمية.. فى هذه المواقف أواجه حالة من الاضطراب.. ففى الوقت الذى تأتى كل النساء مع أزواجهن المسئولين.. أوضع أنا فى موقف عكسى، حيث أذهب أنا بصحبة زوجتى، وأحب أن أقول لكِ إن العالم ليس جاهزًا بعد لتقبل هذا سواء فى الشرق أو الغرب.

• وهل تشعر بالضيق من هذا الوضع كرجل شرقى؟

- لا.. لا أشعر بأى ضيق.. فقد حققت بينظير كل شىء بعملها الشاق الدءوب وكفاحها المستمر، وبعد معاناة طويلة ومريرة.. فلماذا أشعر بإحساس سيئ تجاه ذلك؟ هل لأن تعصب الرجال فى بعض الأحيان فى باكستان ضدها.. إنهم لا يتقبلونها كرئيسة وزراء، فقط لأنها امرأة، ونصف بيانات المعارضة يركز فى الدعاية ضدها على هذا التعصب الغريب.

• وكيف ترى بينظير كزوجة بعيدًا عن منصبها؟

- إنها زوجة جميلة ومتعاونة وتعرف ماذا يجب أن تفعله، ومتى.

• وكيف تراها كأم لابنك «بيلاوال»؟

- إنها أم عطوف جدًا.

• ومتى سيأتى المولود الثانى؟

- يضحك قائلًا: أنت تسألين عن سر قومى، وشرح ما يقصده قائلًا: عندما كنا ننتظر طفلنا الأول أعلن ضياء الحق تاريخ الانتخابات ليتزامن مع موعد الولادة.. لكن لحسن الحظ، حساباته أخطأت، وجاء ابننا مبكرًا شهرًا قبل الانتخابات، واضطرت هى لنزول المعركة الانتخابية بعد شهر واحد من الولادة؛ لذلك تعرضت صحتها لأزمة خطيرة وقتها من الإجهاد، ويبتسم قائلًا: وهذا هو السر فى أنها تلف جسدها تمامًا؛ حتى لا يعرف أحد متى ستلد.. إنه كما قلت لك.. سر قومى.

ويضيف عاصف زاردارى: حتى هذه المرة خططوا لاقتراع طرح الثقة فى حكومتها فى فترة الحمل، ودبروا حملة للدعاية ضدها على أساس أنها مشغولة بتكوين أسرة وهذا بالطبع غير صحيح؛ لأن وقتها كله وحتى آخر يوم فى الحمل كما رأيت بنفسك فى مكتبها ومع وزرائها وقيادات حزبها.. إنها تعشق العمل.

• وماذا تنتظر أن يكون نوع المولود.. ولدًا أم بنتًا؟

- يبتسم قائلًا: هذه المرة أنا أتمنى أن يكون ولدًا.

• هل هناك أسماء مقترحة له؟

- نعم، إما «سيجاوال» وهو على اسم أخ لجدى . . وإما «ديلاوال» وهو أيضًا اسم جدى الأكبر، أما اسم ابنى «بيلاوال» فهو اسم جدى.

• وماذا يعنى اسم «سيجاوال» فى اللغة الأوردية؟

- «سيجاوال» معناه «الجميل» و«ديلاوال» معناه «الشجاع».

• هل تتناولان الغداء فى المنزل؟

- عندما لا يكون لدينا ارتباطات نتناول الغداء معًا، وغالبًا يكون فى مكتبها برئاسة الوزراء.

• وما هوايات بينظير بوتو؟

- القراءة، إنها تقرأ كثيرًا وهى مهتمة جدًّا بالرياضة وكانت تمارس رياضة الإسكواش وهى صغيرة، لكنها الآن لا تجد وقتًا لذلك.

• وأنت، ما لعبتك الرياضية المفضلة؟

- أنا ألعب «بولو».

• فى أى المجالات تعمل؟

- أنا رجل أعمال، أعمل فى المقاولات وتنمية العقارات.

• هل تساعد أو تشارك رئيسة الوزراء فى أعمالها وأعبائها؟

- لا . . لا أتدخل فى سياساتها أو عملها ولكن فقط أشجعها وأساندها.

• ولكن الناس يلجئون إليك لحل مشكلاتهم أيضًا كما عرفت؟

– الناس يجيئون إليّ بمظالمهم وشكاواهم وأنا أحاول حلها لمساعدتهم ورفع المعاناة عنهم، ولكن هذا ليس عملاً رسمياً.

• وكيف تصدرون قراراتكم العائلية؟ من يكون صاحب القرار؟

– أعتقد أننا شريكان فى أسرة واحدة، وكل قرار لابد أن نناقشه معًا ونصل إلى قرار مشترك فيه يقنع الطرفين.

• سؤال شخصى جداً.. هل تطبخ رئيسة الوزراء؟

– لا.. إنها لا تجد الوقت لذلك.. ولكنها إذا قررت أن تطهو شيئًا بنفسها، فإنها تفعله بامتياز.

• هل تتشاجران؟

– ومن لا يفعل؟

• هل زواجكما عن حب أم أنه زواج تقليدى؟

– لقد كان زواجًا عائليًّا تقليديًّا.

• وما رأيك فى حماتك أم زوجتك «نصرت بوتو»؟

– إنها سيدة ظريفة جداً.

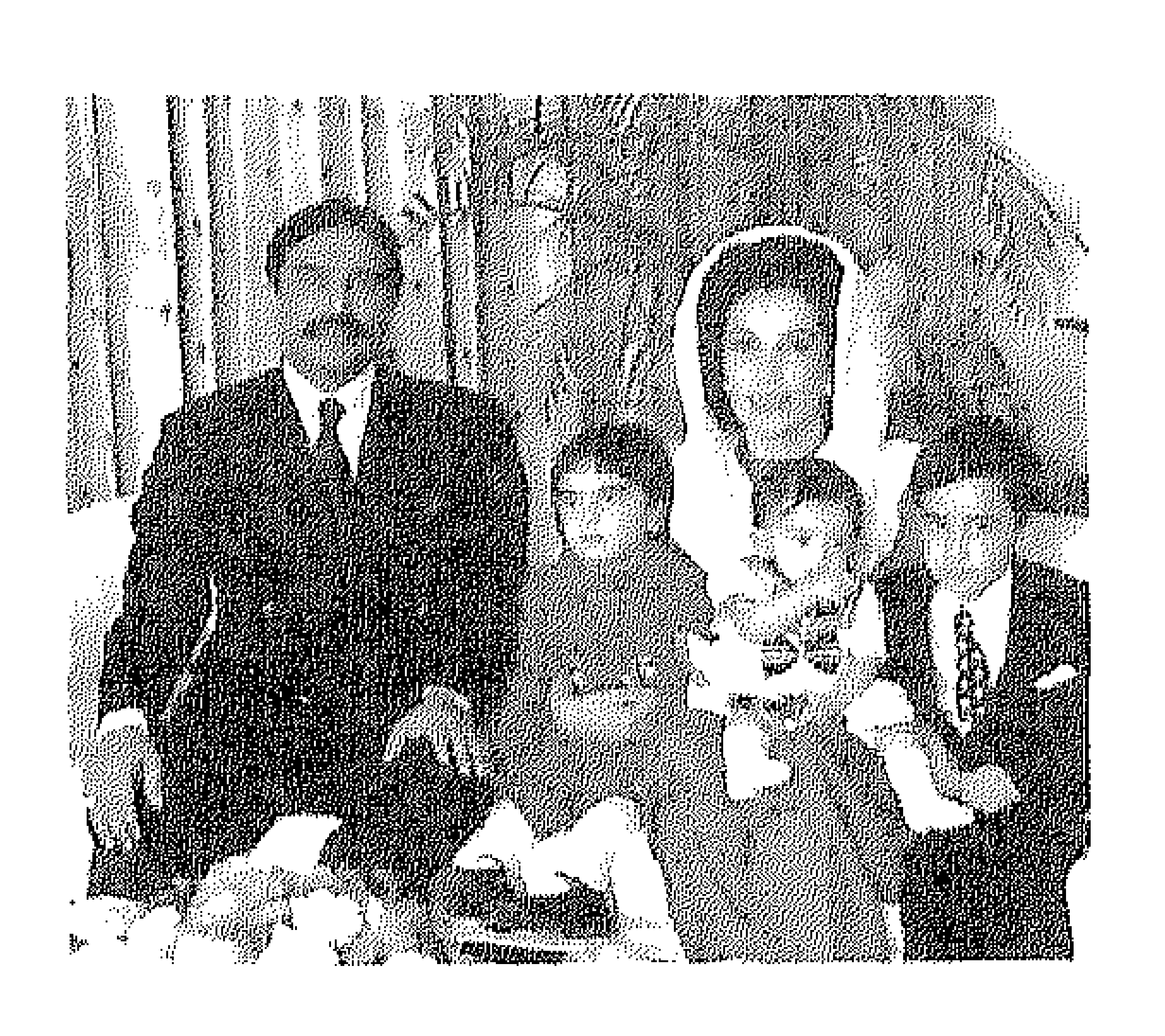
• وكم من أفراد أسرتك يشتغلون بالسياسة؟

– أبى وزوجتى وحماتى.

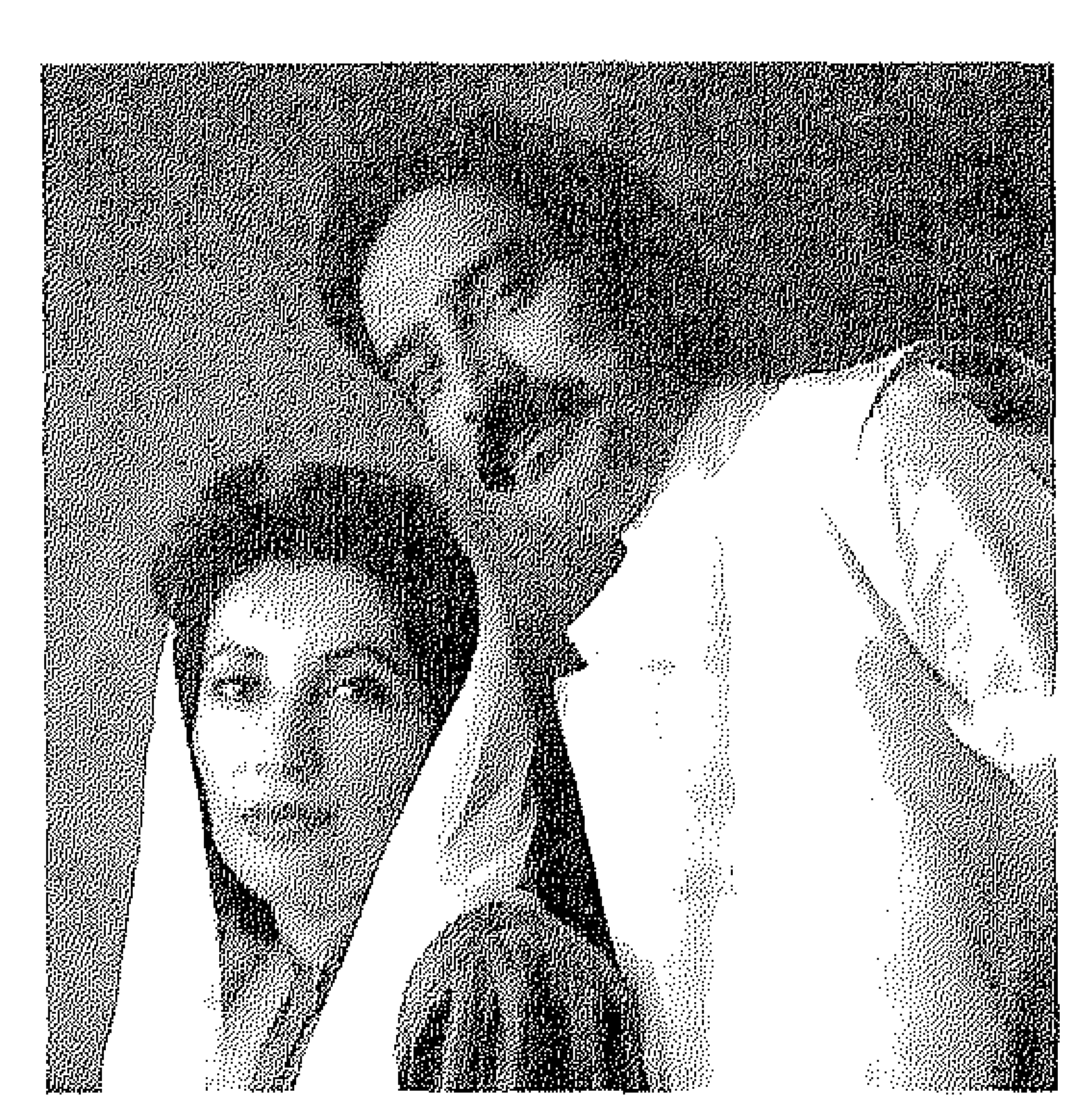




°° زواجى من عاصف زاردارى فى 18 ديسمبر 1987 فى حضور عائلتينا ، 200.000 رقصوا وهتفوا لزواجنا . . أعطيت عاصف أول طعم للحب والدعم والمساندة من أنصار حزب الشعب الباكستانى .



°° صورة للعائلة بيلاوال وعاصفة وبختوار .



°° الحب فى حياة الزعيمة هل كان نعمة أم نقمة؟

الشجرة الدامية لعائلة بوتو

هل الزعامة تورَّث؟

هل كانت بينظير الامتداد الطبيعي لوالدها الزعيم «ذوالفقار على بوتو» الذى حظى بشعبية واسعة طوال حياته، وبكاه شعبه بحرارة عندما انقلب عليه أقرب أعوانه: ضياء الحق ثم أعدمه.

لقد بكى الرجال بينظير.. ورأيناهم يضربون صدورهم بأكفهم حزنًا على الزعيمة التى احتلت قلوبهم. كان بكاؤهم كأنه النواح، وأنينهم يفجر مشاعر الأسى والحزن والحنين.

ما سر هذه العائلة؟

وما الجينات المتوارثة التى جعلت تأثير الأب الزعيم.. والابنة الزعيمة يفوق التصور؟

هل هى «الكاريزما» الجاذبية الخاصة التى من الصعب حسابها وفقًا للتحليلات السياسية والظروف المحيطة فحسب؟

هل هى الخلطة السرية الفريدة التى صنعت شخصية كل منهما -ذو الفقار على بوتو وبينظير بوتو- لتجعلهما يتمتعان بشعبية وجماهيرية لا نظير لها حتى بعد الرحيل؟

هذا ما دفعنى إلى التفتيش والنبش تحت سطح هذه التربة التى أخرجت زعامتين من أسرة واحدة. نقبت عن الجذور، وتعقبت الأغصان والفروع، وخلال هذا البحث المتعمق ارتسمت معالم الشجرة، تأملت كل أجزائها بينما تتردد داخلى أسئلة عديدة:

كيف أثرت شجرة العائلة على تشكيل شخصية بينظير؟

وكيف تشربت العملية السياسية بحلوها ومرها وخيرها وشرها منذ الصغر؟

ومن هم أقرب أقاربها الذين عملوا فى السياسة فى باكستان على مدار سبعين سنة هى عمر العائلة إذا بدأناها بشاه نواز بوتو الكبير جد بينظير؟

عائلة بوتو هى أغنى عائلات إقليم السند، وأكبر عائلة سياسية فى تاريخ باكستان بلا شك، فعلى مدار أربعة أجيال حتى الآن هناك ثمانى شخصيات محورية ورئيسية انصب اهتمامها على العمل السياسى بشتى صوره، أولاها شاه نواز الجد وأخراها بيلاوال بوتو نجل بينظير، وهى العائلة التى يشبهها البعض بعائلة كينيدى الأمريكية؛ نظرًا إلى عملية الاغتيال والموت الغامض المشترك

بينهما، حيث شهدت إعدامًا واغتيالين وعشرات السنين ما بين سجن واعتقال وفرار خارج البلاد.

والملاحظ لأسماء العائلة المتشعبة الضاربة بجذورها فى أعماق إقليم السند الباكستانى، يجد تشابهًا فى الأسماء تكرر أكثر من مرة فى عائلة بوتو؛ حيث إن العائلة بها اثنان يحملان اسم «شاه نواز بوتو» أحدهما جد والآخر حفيد، كما تكرر أيضًا اسم «ذوالفقار بوتو» بين جد وحفيد، لكنهما من الجيل التالى لجيل «النوازيين».

وربما يعكس هذا التشابه ارتباطًا إنسانيًّا من نوع خاص بين أفراد العائلة، إلا أنه لم يمنع أن تقوم خلافات كبيرة بين بعضهم البعض فى الكثير من الأوقات.

وإذا بدأنا بشاه نواز بوتو الجد الأكبر للعائلة وركزنا على الشخصيات التى لعبت أدوارًا مهمة فى العائلة، فإنه يمكننا تقسيمها إلى أربعة أجيال كالتالى:

الجيل الأول:

نواز.. الثروة والسلطة

كان شاه نواز بوتو هو بداية الشجرة، ورغم أن والده «خودا بوكس» لم تكن له علاقة بالسياسة، حيث كان موظفًا فى السكك الحديدية بالهند ـ فإن العمل السياسى كان الشغل الشاغل لنواز

الذى سافر إلى إنجلترا لإكمال تعليمه العالى هناك، وبعد عودته اشتغل بالسياسة فى مدينة «جوناجاد»، حتى وصل إلى أن يكون أحد كبار المسئولين السياسيين بهذه المدينة.

وكانت ثروته الطائلة تضعه على رأس قائمة أغنى أغنياء إقليم السند مسقط رأسه، كما كان أكبر مالكى الأراضى فى هذا الإقليم.

وكان نواز «جد بينظير» متزوجًا من «خورشيد بيجم» التى أسلمت قبل زواجها والتى كان اسمها قبل أن تشهر إسلامها «لاخى باى»، وأنجب منها ثلاث بنات وولدًا؛ الابنة الكبرى سيكاندر بوتو التى لم تكتب لها الحياة سوى سبع سنوات فقط، وتوفيت طفلةً بمرض رئوى، ثم إمداد على بوتو الابنة الثانية، ثم ذوالفقار على بوتو والد بينظير وأول رئيس وزراء منتخب لباكستان، وأخيرًا ممتاز بوتو التى تزوجت من محمد مصطفى خان بهادير.

فى عام 1940، أنشأ نواز حزب شعب السند، وكان على علاقة طيبة بـ «إسكندر على ميرزا» الحاكم العام لباكستان وممثل الحاكم البريطانى منذ عام 1955، وهو الاسم القديم لرئيس الجمهورية هناك، والذى تحول اسم هذا المنصب فى عهده عام 1956 إلى «رئيس جمهورية باكستان الإسلامية» بعد استقلال باكستان، وبالتالى كان هو أول من يتولى هذا المنصب.

وكان لعلاقة نواز الوطيدة بإسكندر دور مهم فى اشتغال الأول بالسياسة فى باكستان، إلا أن جُلَّ اهتمامه كان منصباً على إقليم السند الذى عشقه وحاول أن يصنع له خصوصية تميزه عن بقية الأقاليم.

الجيل الثانى:

ذوالفقار.. بداية واعدة ونهاية مأساوية

ولد ذوالفقار فى 5 من يناير 1928 وشاء قدره أن يحمل راية العمل السياسى من والده، بحكم كونه الولد الوحيد من أبناء نواز بوتو، واهتم ذوالفقار بالسياسة بعدما كانت الدراسات السياسية محور اهتمامه الأساسى فى الدراسة، فقد تلقى تعليمه الأول فى المدرسة العليا لكاتدرائية بومباى «مومباى حاليًّا»، ثم سافر إلى الولايات المتحدة الأمريكية لاستكمال دراسته العليا فى مجال العلوم السياسية بجامعة كاليفورنيا الجنوبية عام 1947، ثم بجامعة بركلى عام 1949، ثم اتجه إلى بريطانيا وتحديدًا إلى جامعة أوكسفورد التى نال منها شهادة فى الحقوق.

تزوج ذوالفقار مرتين؛ الأولى وهو فى الثالثة عشرة من عمره من ابنة عمه «آن هيريس» التى لم ينجب منها، والثانية من نصرت أصفهانى الإيرانية عام 1951، وأنجب منها أربعة من الأولاد أكبرهم بينظير فى عام 1953 التى أصبحت أول رئيسة وزراء فى

باكستان عام 1988، ومرتضى فى عام 1954، ثم شقيقتهما سانام عام 1957، وأخيرًا شاه نواز الأصغر فى 1958.

تأثر بوتو بشخصية مؤسس دولـة باكستان الحديثة محمد على جناح، وكـان يؤمن بما أسماه الاشتراكية الإسلامية تـارة والاشتراكية الديمقراطية تـارة أخـرى، وارتـدى لباسًا يشبه الزى الذى كان يرتديه القادة الاشتراكيون فى الصين، ونتيجة إيمانه بمبادئ الفكر الاشتراكى كان يعتبر مؤسسات المجتمع المدنى صمام أمـان بالنسبة للمجتمع الحـر، ويدعو إلى سيطرة الدولة على المؤسسات الإنتاجية الحيوية؛ حتى لا تشعر الطبقات الفقيرة بوطأة متطلبات التنمية.

اشتغل بوتو فور انتهائه من دراساته بالخارج فى مهنة المحاماة ولمع اسمه على المستوى القومى للمرة الأولى عام 1954 بسبب مواقفه الرافضة للدعاوى الانفصالية التى بـدأت بوادرها فى الظهور بين باكستان الغربية والشرقية، ثم ازدادت شهرته بعد أن سافر ضمن الوفد الباكستانى لحضور جلسة الجمعية العامة للأمم المتحدة عام 1957 والتى ألقى فيها الخطاب الرسمى لبلاده، وكان عن العلاقات الهندية الباكستانية، وبالتالى كان ذوالفقار أصغر مفاوض فى الأمم المتحدة؛ حيث كان عمره وقتها 29 سنة.

ورأس وفد بلاده أيضًا فى أول مؤتمر دولى يعقد فى جنيف تحت إشراف الأمم المتحدة عام 1958 لمناقشة القانون الدولى

للبحار، وفى العام نفسه كان ذو الفقار أصغر من يتولى وزارة فى باكستان، حيث تم تعيينه وزيرًا للتجارة فى حكومة الرئيس إسكندر على ميرزا، وكان ذلك أول منصب سياسى رفيع يتولاه بوتو فى الحكومة.

فى الفترة من 1963 إلى 1966 شغل بوتو منصب وزير الخارجية، وكان من أهم إنجازاته خلال تلك الفترة زيادة فعالية السياسة الخارجية الباكستانية ضمن دول عدم الانحياز، وتوصله إلى اتفاقية للحدود مع الصين فى 2 من مارس 1963، إضافة إلى تطويره علاقات باكستان بكل من تركيا وإيران ودول الوطن العربى.

وبعد تفاقم الخلافات بين بوتو والرئيس محمد أيوب خان الذى تولى بعد ميرزا ترك بوتو الحكومة عام 1966، وأسس عام 1967 حزب الشعب الباكستانى واختير أمينًا عامًّا له.

فى عام 1971 هُزمت باكستان فى حرب أمام الهند، وكان من أهم نتائج هذه الهزيمة انفصال باكستان الشرقية تحت مسمى بنجلاديش، ولم يستطع الرئيس أغا محمد يحيى خان تحمل تبعات هذه الهزيمة فقدم استقالته ليفتح الباب على مصراعيه أمام ذوالفقار ليتولى الحكم من بعده، وبالفعل فاز حزب بوتو بأغلبية الأصوات فى باكستان الغربية أثناء الانتخابات البرلمانية التى كانت قد جرت فى ديسمبر 1970.

ومنذ تولى ذوالفقار رئاسة باكستان تحولت البلاد إلى شعلة من الأنشطة فى الاتجاهات التنموية المتعددة على يده المتعطشة للسلطة والإصلاح ، فخلال تولى بوتو الرئاسة اتخذ عدة إجراءات وقرارات مهمة لتحديث الصناعة الباكستانية بوجه عام من ناحية وفرض سيطرة الدولة على الصناعات الرئيسية من ناحية أخرى ، وعمل على تشجيع صناعة الحديد والصلب وأمّم كل البنوك العاملة هناك .

كما قرر انسحاب بلاده من دول الكومنولث بعد اعتراف بريطانيا والدول الغربية بدولة بنجلاديش الجديدة، ونجح فى حصول باكستان على مفاعل ذرى من فرنسا وهو ما أثار أزمة داخل المعسكر الغربى آنذاك .

وتوصل ذوالفقار بوتو عام 1972 إلى اتفاقية سياسية مع الهند عرفت باسم «اتفاقية شملا» ، والتى مهدت الطريق أمام استعادة باكستان الأراضى التى سيطرت عليها الهند فى حرب عام 1971 ، كما أنهى مشكلة أسرى الحرب الذين ألقت الهند القبض عليهم فى باكستان الشرقية عام 1971.

وبعد أن أقرت الجمعية الوطنية دستور البلاد أصبح ذوالفقار على بوتو رئيسًا للوزراء.

استمر حكم ذو الفقار على بوتو فى منصبه حتى عام 1976 حينما نجح انقلاب عسكرى قاده الجنرال محمد ضياء الحق فى إلقاء القبض

عليه وإيداعه السجن بتهمة الابتعاد عن الممارسات الديمقراطية، ووضع ضباط الانقلاب ابنته بينظير ـ التى تولت فيما بعد رئاسة الوزراء بعد أول انتخابات جرت بعد وفاة ضياء الحق فى حادث غامض ـ تحت الإقامة الجبرية، ولم تفلح الوساطات الإسلامية والدولية فى الإفراج عن ذو الفقار على بوتو.

وفى إبريل 1979 نفذ فى «ذوالفقار» حكم الإعدام ليودع الحياة السياسية الباكستانية عن عمر ناهز 51 عامًا.

نصرت.. سياسية متعددة المواهب

إيرانية كردية ولدت عام 1929 لرجل أعمال إيرانى ثرى كان يعمل فى باكستان، والتقاها ذوالفقار فى كراتشى حيث تزوجا فى الثامن من سبتمبر 1951 وحملت لقب «بوتو»، وأنجبت له بعد ذلك بينظير.

نشطت مع زوجها وكانت تصاحبه فى زياراته وأنشطته داخل وخارج باكستان، وبعد إعدام زوجها فى عام 1979 تولت هى رئاسة حزب الشعب الذى أسسه ذوالفقار قبل أن يتم اعتقالها ونفيها هى وبينظير على يد الرئيس الجديد للبلاد ضياء الحق.

مرضت نصرت بالسرطان وسمح لها بالسفر للعلاج فى لندن عام 1982، ثم تولت بينظير رئاسة الحزب بعد انتهاء فترة اعتقالها.

وفى أواخر الثمانينيات عادت نصرت إلى باكستان وأصبحت عضواً فى البرلمان الباكستانى، ثم عملت نائباً لرئيس الوزراء الباكستانى إسحاق غلام خان.

وفى أوائل التسعينيات حدثت خلافات عائلية بين نصرت وبينظير بسبب ابن الأولى وشقيق الثانية مرتضى بوتو، لكن الأمور عادت إلى طبيعتها بمقتل الأخير، وهى تعيش الآن فى دبى وتعانى مرض الزهايمر.

الجيل الثالث:

بينظير.. المرأة الحديدية

هى الابنة الكبرى لوالديها ذوالفقار ونصرت، ولدت فى إقليم السند عام 1953، وتلقت تعليمها فى جامعتى هارفارد بالولايات المتحدة الأمريكية وأوكسفورد ببريطانيا، وبعد إكمالها الدراسة عادت إلى باكستان قبل فترة قليلة من الانقلاب على والدها الذى قاده ضياء الحق، وتم اعتقالها ونفيها مع أمها بعد ذلك، ثم عادت من جديد عام 1986 لتقود المعارضة.

تزوجت بينظير من عاصف على زاردارى فى 18 من ديسمبر 1987 فى كراتشى، وأنجبا بيلاوال وبختوار وعاصفة.

وبعد وفاة الرئيس ضياء الحق فى حادث طائرة فى أغسطس 1988، تم إجراء أول انتخابات تشريعية، ونجحت بينظير فى

الظفر بأغلبية ضئيلة، وفى الأول من ديسمبر 1988 أصبحت أول امرأة فى بلد مسلم تشغل منصب رئيس الوزراء.

وقد شغلت بينظير بوتو هذا المنصب مرتين؛ الأولى بين عامى 1988 و1990، والثانية بين عامى 1993و1996، وفى الحالتين أقالها رئيس البلاد من منصبها بعد اتهامها بالفساد.

وفى الانتخابات التى تلت فى فبراير 1997، منى حزب بوتو بخسارة فادحة أمام عصبة باكستان الإسلامية بزعامة نواز شريف، ومع ذلك أيدت بوتو فى إبريل 1997 تعديلات شريف الدستورية التى تحرم الرئيس من الحق فى حل الحكومات.

وفى يونية 1998 وجهت مجموعة من المحامين السويسريين الاتهام لبوتو وزوجها بغسل الأموال فى بنوك سويسرية، وفى إبريل 1999 أدانتها محكمة فى روالبندى بتهمة الفساد وحكمت عليها غيابيًا بالسجن خمسة أعوام ومنعتها من ممارسة العمل العام، فنفت نفسها إلى لندن ودفعت ببراءتها من هناك.

فى إبريل 2001 نقضت المحكمة الباكستانية العليا الحكم الصادر فى روالبندى وأمرت بإعادة المحاكمة، لكنها لم تحضرها وحكم عليها بالسجن ثلاث سنوات.

تمت متابعة بينظير بوتو وزوجها زاردارى قضائيًا ووجهت إليهما تهم تلقي رشاوى، ظلت بعدها فى المنفى بين بريطانيا والإمارات.

سنة 2002، صدر قرار ضدها بمنعها من دخول البلاد بسبب عدم حضورها إلى المحكمة، كما تم فى السنة نفسها ـ بطلب من الرئيس الباكستانى برويز مشرف ـ إقرار تشريع بتحديد عدد المرات المسموح بها لتولى منصب رئيس الوزراء إلى مرتين؛ ليغلق مشرف الباب أمامها دون اعتلاء كرسى رئيس الوزراء الذى جلست عليه مرتين.

لكنها عادت فى 2007 بعد العفو الذى أصدره مشرف والذى شمل بينظير، فى إطار اتفاق على تقاسم السلطة، قررت بينظير العودة إلى أرض الوطن وخوض الانتخابات التشريعية المقررة رغم كل التحذيرات التى تلقتها.

لدى عودتها إلى باكستان يوم 18 من أكتوبر 2007، استهدف موكبها ومناصروها بتفجيرين انتحاريين فى كراتشى بعد منتصف الليل يوم 19 من أكتوبر 2007 أدى إلى مقتل أكثر من 125شخصًا، لكن بينظير لم تصب بسوء، إلا أن محاولة الاغتيال الفاشلة أصابت هدفها فى 27 من ديسمبر 2007 بعد خروج بينظير من مؤتمر انتخابى لمناصريها فى روالبندى؛ حيث تم اغتيالها فى هذا اليوم، فى أكبر اغتيال سياسى فى تاريخ باكستان المعاصر.

عاصف.. السياسى المعتقل

المولود فى 21 من يوليو 1956، رجل أعمال باكستانى تزوج بينظير عام 1987، وأنجب منها بيلاوال وبختوار وعاصفة.

عينته زوجته وزيرًا للاستثمارات الخارجية فى فترة ولايتها الثانية، وواجه اتهامات كثيرة بالفساد والمشاركة فى القتل، نتج عنها سجنه واعتقاله أكثر من مرة بعد زواجه من بوتو، حتى بلغت السنون التى قضاها فى السجون والمعتقلات 11 سنة، حيث اتهمت الحكومات الباكستانية المتعاقبة «عاصف» باختلاس ملايين الدولارات من الدولة، كما اتهم بإيداع هذه الأموال فى حسابات سرية فى بنوك أوروبية متعددة، وحكم عليه بالسجن فى 1990، وخرج من السجن عام 1993؛ حيث كانت زوجته قد عادت إلى منصب رئاسة الوزراء من جديد.

وفى عام 1996 تم اعتقاله مجددًا كمتهم فى اغتيال مرتضى بوتو شقيق بينظير، وظل فى السجن ثمانى سنوات حتى تم الإفراج عنه فى نوفمبر 2004 عندما تمت تبرئته من جميع التهم الموجهة إليه، إلا أنه لم ينعم بالحرية أكثر من شهر واحد؛ حيث تم اعتقاله من جديد فى ديسمبر من العام نفسه، عندما تم اتهامه بتهم جديدة مشابهة.

وكان زاردارى يعيش قبل اغتيال بينظير فى مانهاتن بالولايات المتحدة الأمريكية، وله أيضًا مقر إقامة فى دبى، إلا أنه بدأ يتردد

على باكستان بعد مصرعها من أجل ممارسة أعماله فى حزب الشعب، ويعانى مرض السكر ومشكلات فى القلب نتيجة السنين الطويلة التى قضاها فى السجن والاعتقال.

مرتضى.. اغتيال مجهول

شقيق بينظير وهو الأكبر فى البنين، مولود فى 18 من سبتمبر 1954، وبعد أن قام القائد العسكرى محمد ضياء الحق باعتقال والده فر مرتضى إلى أفغانستان الشيوعية حينئذ، حيث تلقى تدريبًا عسكريًا على يد السوفييت، ومن هناك ومن عواصم عديدة فى الشرق الأوسط قاد جماعة مسلحة تحت اسم «جناح ذوالفقار» ضد الحكم العسكرى فى باكستان.

وفاز مرتضى وهو خارج البلاد منفيًا فى انتخابات عام 1993، وعاد بعدها بوقت قصير، وحاول أن يقنع بينظير بأن يكون ساعدها الأيمن فى حزب الشعب، إلا أنه لم يكن مرتاحًا لوجود زوجها عاصف إلى جانبها طوال الوقت فى أعمال الحزب؛ لذلك أراد أن يخلعه من الحزب.

وعندما لم يجد مرتضى استجابة من بينظير بشأن إزاحة زاردارى من طريقه أصبح من أكبر معارضى الحزب لفترة، ونشبت مشكلات وخلافات عائلية بينه ووالدته من ناحية وبين

بينظير من ناحية أخرى، فأراد مرتضى أن يحلها مع عاصف، فدعاه للجلوس معًا منفردينِ من أجل التفاوض لحل مشكلات الحزب والعائلة فى آن معًا، لكن هذه الجلسة أدت إلى سوء العلاقات بينهما أكثر.

ولأن هذه الجلسة كانت قبيل مقتل مرتضى بالرصاص فى ظروف غامضة فى سبتمبر 1996، فكان من الطبيعى أن تتهم بينظير وزوجها فى تدبير عملية القتل، إلا أن أحدًا لم يُدَن حتى الآن فى اغتياله بصفة رسمية.

شاه نواز.. الموت فى السر

أما الشقيق الآخر لبينظير ومرتضى شاه نواز المولود فى 1958، فقد سافر إلى بريطانيا هو أيضًا لإكمال تعليمه هناك عندما تم اعتقال والده على يد ضياء الحق، وقاد مع شقيقه مرتضى حملة عالمية لمنع قتل والدهما لكنها لم تنجح حيث تم إعدامه عام 1979.

فكان له نشاطه السياسى ولكن دون اللجوء إلى السلاح، وعثر عليه ميتًا فى شقته بالريفيرا الفرنسية فى مدينة نيس عام 1985، وتعتقد عائلته أنه إما أن يكون قد مات مسمومًا وإما نتيجة جرعة مخدرات زائدة، ولم يتهم أحد بقتله.

الجيل الرابع:

فاطمة.. المعارضة بالصحافة

ابنة مرتضى من أم أفغانية تزوجها فى سوريا، وعمتها بينظير وجدتها نصرت، وزوجة والدها غنوة بوتو التى تنحدر أصولها من مدينة طرابلس شمال لبنان والتى تزوجها مرتضى فيما بعد.

وفاطمة ولدت عام 1981 وعاشت مع والدها بعدما طلَّق أمها الأفغانية بعد وفاة شقيقه شاه نواز بوتو، وتربت فاطمة فى لبنان وسوريا ثم عادت مع والدها وزوجته إلى كراتشى صيف 1993، وعند اغتيال والدها عام 1996 كانت فاطمة فى الخامسة عشرة من عمرها تواصل دراستها فى إحدى كليات مدينة كراتشى، واهتمت زوجة أبيها غنوة بها من خلال تعليمها فى جامعة أوكسفورد كعمتها، وتعمل الآن صحفية وكاتبة.

ويبدو أن الخلافات المستمرة التى كانت بين أبيها مرتضى وشقيقته بينظير على زعامة الحزب وبسبب زوج الأخيرة قد انعكست على فاطمة التى اعتادت فى مقالاتها انتقاد عمتها بشكل حاد، وكانت تؤكد دائمًا أن ممارساتها فى الحزب غير ديمقراطية، كما اتهمتها بالفساد المالى والسياسى وتحالفها مع مشرف بدلًا عن مواجهته.

بيلاوال.. آخر عنقود السياسيين

بيلاوال ولد فى 21 من سبتمبر عام 1988 نجل بينظير وعاصف وحفيد ذوالفقار.

التحق بيلاوال بمدرسة راشد للصبية فى دبى، وهو حاصل على الحزام الأسود فى التايكوندو، ويدرس حاليًا بجامعة أوكسفورد.

كانت صدمته كبيرة وقاسية عندما علم باغتيال والدته أثناء إجازته السنوية الشتوية بدبى حيث يقيم.

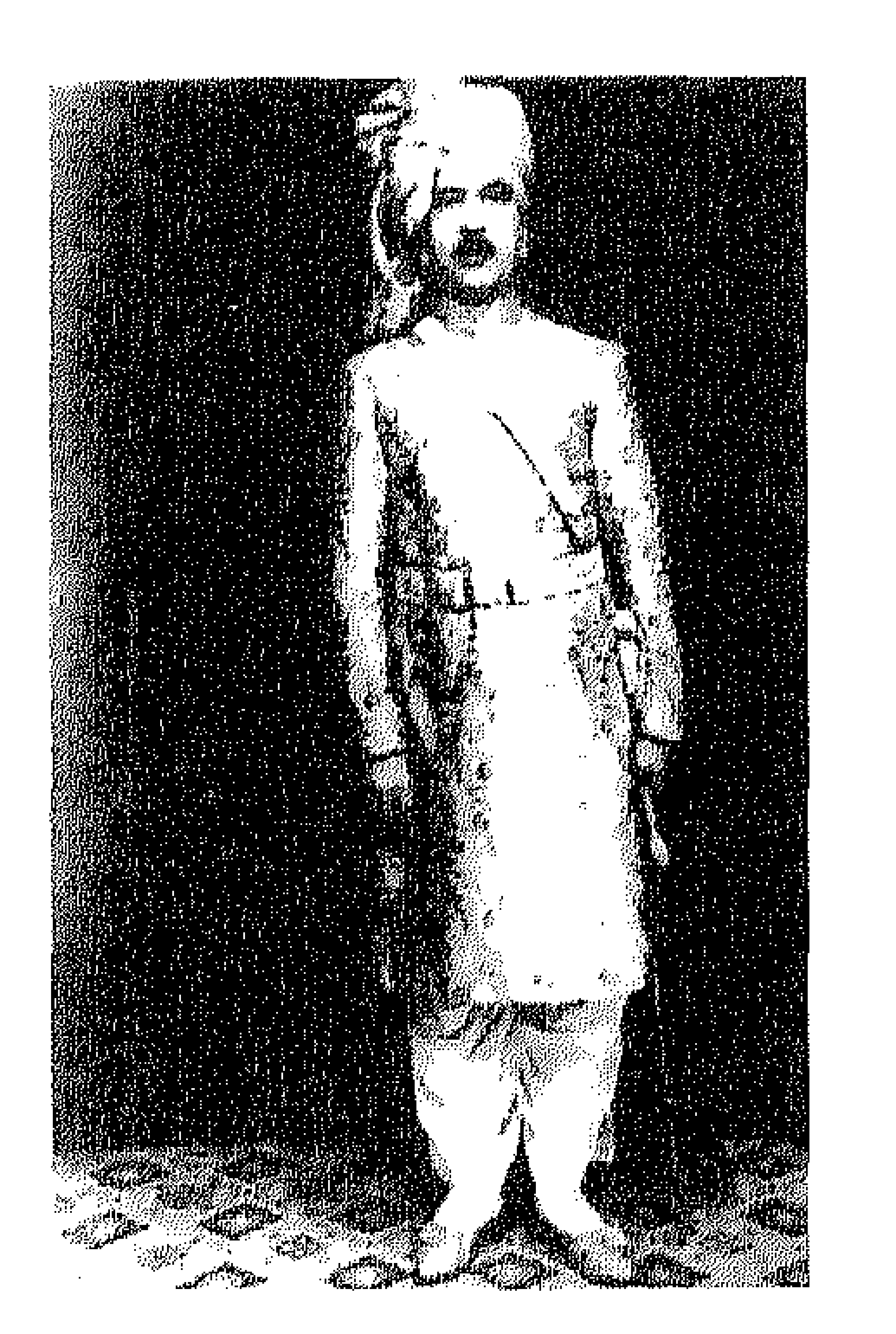
وبعد مقتلها مباشرة عين بيلاوال رئيسًا لحزب الشعب فى 30 من ديسمبر 2007 حسب وصية بينظير، حيث اختارت اللجنة المركزية للحزب بيلاوال زاردارى لرئاسة الحزب خلفًا لوالدته الراحلة، بالاشتراك مع والده عاصف، ليدخل بيلاوال عالم السياسة من أوسع أبوابها وهو فى سن مبكرة جدًّا «19سنة فقط».

كما تقرر تكوين مجلس استشارى يضم عددًا من قيادات الحزب لتسيير عمل الحزب فى المرحلة المقبلة بينهم رئيس الحزب بالوكالة وكبير مساعدى «بوتو» مخدوم أمين فهيم.

واختيار بيلاوال الذى مازال يدرس القانون فى جامعة أوكسفورد كان أمنية والدته التى كتبتها فى وصيتها وأعطته تفويضًا فى قيادة الحزب، حسب ما قالته نرجس آباد المسئولة فى حزب الشعب.



•• أبى ذو الفقار على بوتو . . درس السياسة فى بيركلى وأوكسفورد قبل أن يصبح محاميًا ومسئولاً سياسيًا فى كراتشى.



•• أجيال من السياسيين: جدى السير شاه نواز خان بوتو الذى أنشأ أول حزب سياسى فى السند عام 1940 قبل استقلال دولة باكستان.



•• أمى الإيرانية نصرت . . التى حملت ملامحها، كما ورثت عن أبى ولعه بالسياسة.

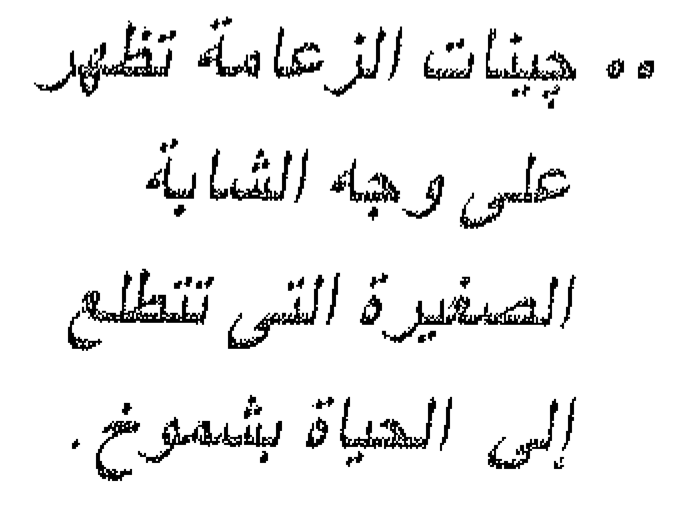


•• سانام اصطحبت أمي إلى المطار في 20 نوفمبر 1982 بعد أن قال أطباء ضياء الحق إنها تحتاج للسفر للخارج لتلقى علاج السرطان، بعد أن سمح لها ضياء بذلك.



•• أخى شاه نواز فى آخر صورة التقطتها له سانام فى كان بفرنسا . . أصابنا الأسى بعدما دفن بجانب قبر والدى فى مقابر العائلة ، فقد كان الشقيق الأصغر الملئ بالمرح والحب للحياة .

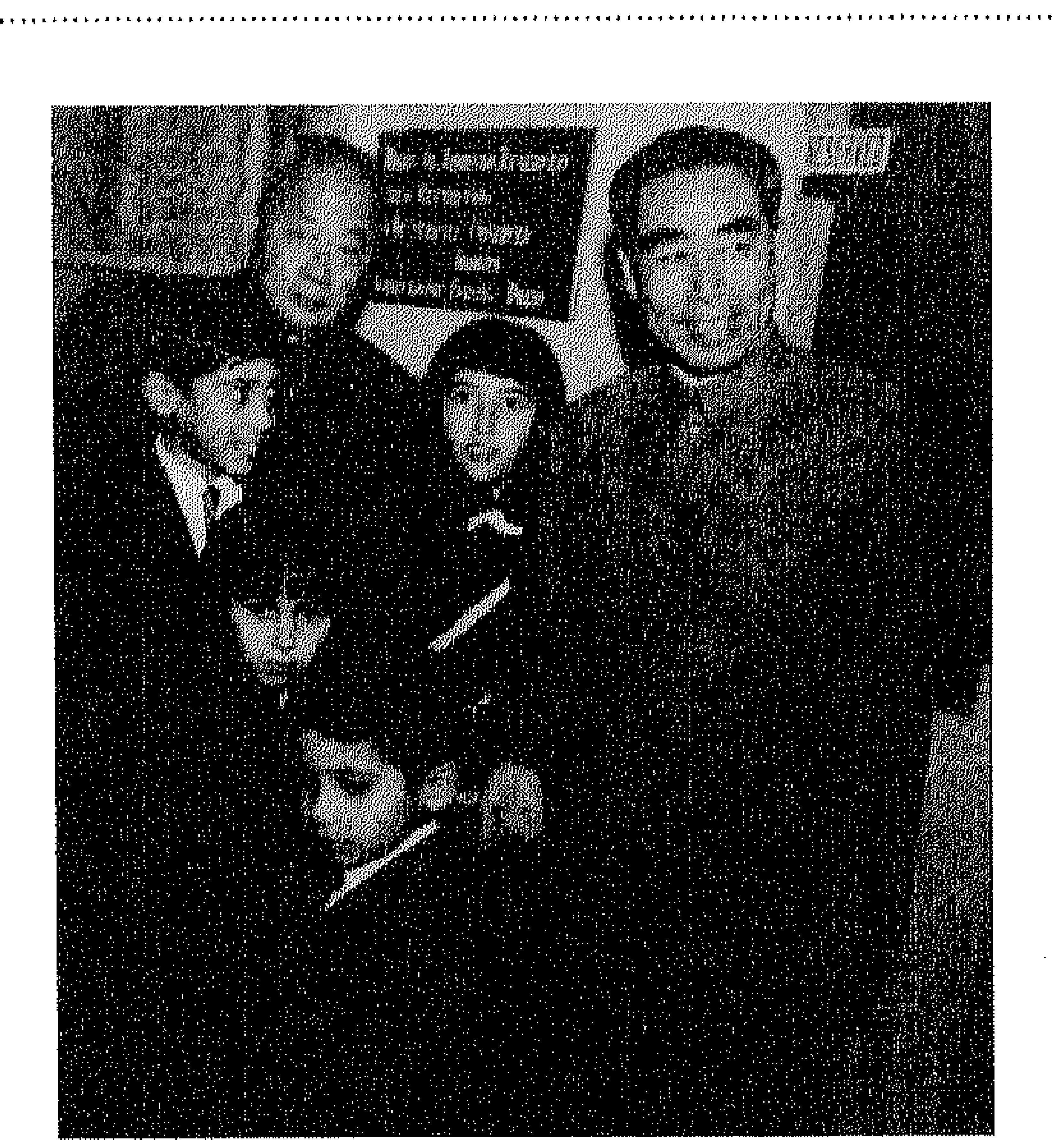




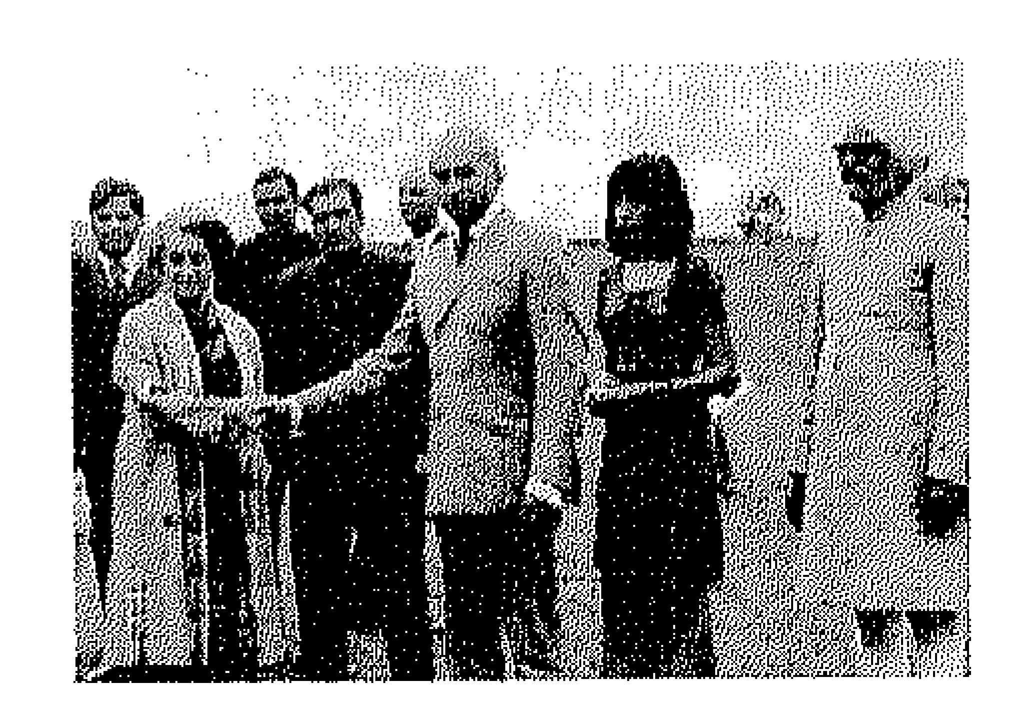
•• چينات الزعامة تظهر
على وجه الشابة
الصغيرة التى تتطلع
إلى الحياة بشموخ.



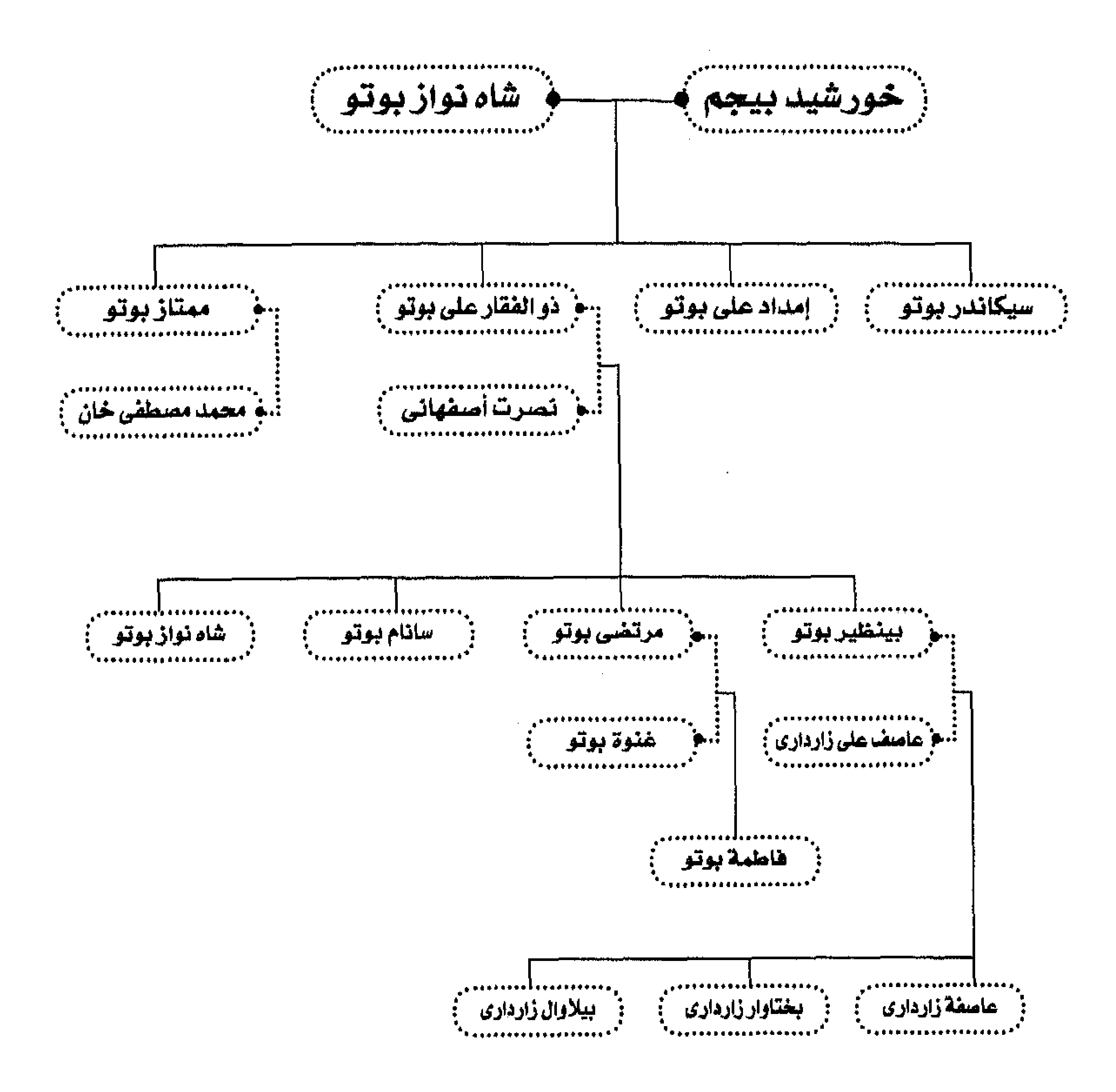
•• التحدى فى عينين
نافذتين رغم سنها
الصغير . .
فقط خمسة عشر عامًا!



•• بينظير الطفلة مع عائلتها أثناء زيارة والدها الرئيس ذو الفقار على بوتو إلى الصين.



•• ذو الفقار على يصافح أنديرا غاندى رئيسة وزراء الهند، بينما تقف بينظير ابنته الشابة إلى يساره.


خورشيد بيجم
شاه نواز بوتو
سيكاندر بوتو
إمداد على بوتو
ذو الفقار على بوتو
ممتاز بوتو
نصرت أصفهانى
محمد مصطفى خان
بينظير بوتو
مرتضى بوتو
سانام بوتو
شاه نواز بوتو
عاصف على زاردارى
غنوة بوتو
فاطمة بوتو
عاصفة زاردارى
بختاور زاردارى
بيلاوال زاردارى

«Pinkie» فى هارفارد وأوكسفورد

فى عام 1969 وصلت بينظير بوتو إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وهناك التحقت بجامعة هارفارد لتدرس العلوم السياسية ونظم الحكم.. خرجت للمرة الأولى وحيدة.. دون خدم أو حشم.. دون سائقين أو حراس.. مواطنة عادية.. طالبة جامعية مثلها مثل آلاف الطلبة والطالبات فى هذه الجامعة العريقة.

التحقت بوتو إلى هارفارد فى أوقات سياسية واجتماعية عصيبة فى الولايات المتحدة الأمريكية؛ حيث انضمت إلى المعارضين للحرب على فيتنام، وعلى الرغم من اهتماماتها السياسية الواسعة فإنها كانت تستمع إلى المطربة كارلى سيمون وتحضر مباريات كرة السلة والهوكى.

كانت ابنة رئيس وزراء باكستان واحدة من بنات الطبقة الراقية الحاكمة، وفى أول وصولها إلى هارفارد كانت لا تزال ترتدى

الزى الباكستانى التقليدى وتحكى لأصدقائها عن إجازاتها التى كانت تقضيها بصحبة والدها مع رؤساء العالم مثل الزعيم الصينى ماو تسى تونج، لكنها كانت دائمة الحنين إلى الوطن، يراها أصدقاؤها وصديقاتها فى كثير من الأحيان تختلى بنفسها فى نوبة عارمة من البكاء.

وخلال سنواتها الأربع فى هارفارد كانت بينظير بوتو الشابة الخجول المعروفة باسم «Pinkie» أى «وردية اللون»، كما أسمتها ممرضة بريطانية قالت إنها تشبه الطفلة الوردية، كانت تعد نفسها لتكون نجمة فى سماء السياسة فى بلدها.

تقول إحدى صديقات بوتو أثناء سنوات الدراسة:

«على الرغم من أن وصول بوتو إلى هارفارد كان مرتبطًا بدراستها علم النفس وولعها به وسعيها إلى الحصول على درجة الماجستير فيه، وعلى الرغم من عدم رغبتها فى دراسة السياسة؛ حتى لا يتحول تركيزها عن دراسة علم النفس ـ فإن السياسة فرضت نفسها على تفكيرها دون أن تتعمد ذلك، فكتبت بحثًا مهمًا عن عناصر وأصول دولة باكستان، وكنت أشعر بأن شيئًا ما يلهب عواطفها، فكلما كانت تبقى معنا فى الغربة كانت تشتاق أكثر إلى باكستان وتركز اهتماماتها ودراستها على أحوال بلدها، ولكن سرعان ما اندمجت بوتو مع الثقافة الأمريكية حيث ارتدت الجينز والتى شيرت».

وتضيف:

«لقد تابعتها بعد عودتها إلى باكستان، بعد أن بدأ مستقبلها السياسى فى التبلور لكن مع حواجز ومصاعب كثيرة، وشاهدتها وهى تلقى كلمة أمام جمع كبيرٍ من الجماهير وتتحدث بكل حماسة وقوة على الرغم من الغاز المسيِّل للدموع والشرطة واحتمالية إلقاء القبض عليها، فأنا أعلم أن بوتو كانت مؤمنة بأن مصلحة بلدها باكستان أهم بكثير من سلامة الشخص.. لقد بدت وكأنها فى أوج نشاطها وبقدرة كاملة على التعايش مع هذا الوضع رغم علمها بأنها سوف تقضى أيامًا وليالى طويلة فى السجن الانفرادى «الحبس الانفرادى» داخل منزلها الذى عانته فى عهد ضياء الحق بعد وفاة والدها.. وأعتقد أن من أهم إنجازات بوتو وأكثرها مدعاة للفخر هو أنها حطمت السقف الزجاجى للمرأة الباكستانية بتوليها منصب رئاسة الوزراء مرتين وهى فى سن الخامسة والثلاثين كأول امرأة باكستانية تتولى هذا المنصب».

وتعلق أخيرًا:

«كنت أرغب فى رؤية بينظير هذا العام فى أمريكا عندما تأتى هى وابنتها لكنه القدر، وفى الحقيقة بينظير بوتو لم تكن زعيمة متكاملة، لكنها على الأقل كانت الأشجع وسط صف طويل من الرجال؛ لأنها كانت تعلم أن مصيرها فى نهاية المطاف بعد عودتها إلى بلدها باكستان بدرجة كبيرة هو الاغتيال، لكنها ذهبت بكل الأحوال؛ لأنه كان قدرها».

ويقول بيتر جالبريت صديقها القديم وسفير أمريكا السابق فى كرواتيا:

«كانت بوتو فى أول عام لها تعانى مشكلة الموازنة بين هويتها الباكستانية والانفتاح على الثقافة فى هارفارد، ولكن كان دومًا فى عينيها حنين دائم إلى بلدها، وشاركت معنا فى المظاهرات ضد الحرب الأمريكية فى فيتنام، ولكنها فى الأغلب كانت مدافعة عن باكستان التى كانت بلدًا غير مرحب به فى جو هارفارد بسبب الاعتداءات العسكرية على المدنيين فى بنجلاديش آنذاك».

ويذكر صديق آخر لبوتو يعمل الآن محاميًا فى سياتل بالولايات المتحدة الأمريكية:

«كانت بوتو أكثر الطلاب شعبية فى الكلية بفضل ما تتمتع به من ذكاء ولباقة وجمال؛ مما ساعدها على الاندماج السريع فى مجتمع هارفارد، كما عرفتها وتأكدت من عاطفتها الوطنية الجياشة تجاه بلدها باكستان».

كانت «ليندا» أقرب المقربات إلى بينظير فى هارفارد، وكيف لا وهى تلازمها فى الغرفة نفسها فى السكن، وتقول ليندا:

«تعلم كيف تعبر عن نفسك.. كان هذا هو الدرس الأول الذى تعلمته بوتو خلال عامها الأول فى هارفارد.. كان ابن عمى من مناهضى الشيوعية بشكل عنيف، وخلال عشاء جمعهما ببوتو،

اشتبكت معه بوتو فى جدال ساخن وعالى الصوت حول السياسة حتى كنت أظن أن الحرب العالمية الثالثة سوف تندلع بينهما».

وتضيف ليندا:

«حمية بوتو وشجاعتها لم ينطفئا قطُّ خلال سنوات هارفارد التى قالت عنها بوتو بعد ذلك إنها كانت أفضل سنوات عمرها، لكن على الرغم من ذلك كان دائمًا أصدقاء هارفارد يتذكرونها بأنها امرأة ذات قدر مأساوى».

وذلك ما يؤكده أحد أصدقاء هارفارد حين يقول:

«كانت تعلم أن قدرها يناديها وذهبت إليه طواعية.. كان صف بوتو يتكون من 400 طالب، وكان الجميع يعرف بعضه بعضًا لكنها كانت مميزة عن الباقين بشخصيتها «الكاريزمية» القوية المحبوبة فى الوقت نفسه».

وتعود ليندا صديقتها الحميمة لتقول:

«بينظير التى كانت أصغر من جميع أقرانها بسنتين كاملتين عندما دخلت هارفارد، عرفت كيف تنمو فكريًا لتصبح مساوية للجميع فى السن نفسها، وعلى الرغم من حياتها المرفهة فى كنف أب غنى ورئيس للوزراء لم تتعود فيها أن تفعل أى شىء دون خدم، قررت أن تعتمد على نفسها كلية فى أمور كثيرة، حتى أنها تطوعت فى هارفارد للرد على الهاتف العام بالمبنى فى أيام الحكم الذاتى، لقد كنا سعداء جدًّا بأن نتركها تفعل كل شىء بمفردها».

ويقول أحد أصدقائها الذى كان يسبقها بعام: «أول اتصال بينى وبين بوتو كان عندما تحدثتُ معها فى فترة الراحة اليومية عن مقابلتها مع الرئيس الصينى «ماو» فى بكين، وقد تعرفت إليها أكثر من خلال الاجتماعات الدورية التى كنا نعقدها لمناقشة الأمور السياسية أو الأدبية أحيانًا، وبوتو وأصدقاؤها كانوا دائمًا موجودين يناقشون ويتحدثون بصخب فى كل الأوقات وفى كل الأماكن خصوصًا غرف العشاء.. كانت بوتو متحمسة دائمًا للدفاع عن بلدها الذى كان فى هذا الوقت فى حالة حرب مع بنجلاديش، من منطلق إيمانها بأن الإعلام الأمريكى يبث صورة خاطئة عن باكستان مليئة بالعيوب وأنه يصور الباكستانيين يقتلون المدنيين والأطفال فى بنجلاديش».

ويضيف:

«كانت فى غاية الجرأة والجدية ولها تفكيرها المثالى المختلف عن بقية زميلاتها فى هارفارد فى أوائل السبعينيات، لكنها فى الوقت نفسه كانت تتحلى بروح الدعابة والمرح والتلقائية».

ماذا قالت عن هارفارد؟

كانت بينظير بنفسها تعترف فى أحاديثها الصحفية والتلفزيونية بأن الفترة التى قضتها فى جامعة هارفارد كانت المرحلة التى شهدت نضجها السياسى ونمو الوعى لديها وإيمانها الكامل بالديمقراطية.

وتقول عن هارفارد:

«الولايات المتحدة الأمريكية هى المكان الذى تعلمت فيه الديمقراطية وأمضيت به أسعد أربع سنوات فى حياتى، فأنا أحياناً أغلق عينيَّ وأتخيل أشجار هارفارد الصفراء فى الخريف، وهذه السجادة الناعمة البيضاء من الثلج فى الشتاء، والحشائش الخضراء التى كنا نلعب عليها فى الربيع.. فى هارفارد كانت أولى خطوات الحياة التى أعتمد فيها على نفسى، أتذكر جيداً كيف حسبت اتجاه مكة المكرمة حتى أعرف فى أى اتجاه أصلِّى هناك».

ثم تتذكر:

«لقد قررت أن أدرس علم النفس، لكننى تراجعت عندما اكتشفت أن معظم دراساتى ستكون عن الحيوان، وقررت أن أدرس الحكومات دراسة مقارنة.. وقتها كانت حربنا مع بنجلاديش فى غاية الضراوة؛ حيث كان والدى يصارع من أجل باكستان موحدة، لكن على بُعد ستة آلاف ميل كان الإعلام الغربى يتحدث عن المجازر التى تحدث فى إقليم البنغال الذى عُرف فيما بعد باسم بنجلاديش، وكنت أجد صعوبة كبيرة فى إقناع زملائى هنا بحقيقة

الأمر بعد أن بدأت الاتهامات تتصاعد فى وجهى مثل: جيشكم بربرى.. أنتم تذبحون البنغاليين».

وتضيف:

«باكستان.. أين هى باكستان؟ كان هذا هو السؤال الأول الذى كان يسأله لى أصدقائى فى هارفارد، وكنت أرد على السؤال كأننى سفيرة باكستان وأقول إنها أكبر دولة إسلامية فى العالم.. وباكستان تنقسم إلى جزءين الفاصل بينهما هو الهند، فأجد علامات التعجب والاندهاش وأسمعهم يقولون: أوه.. الهند.. أنتم جيران الهند؟!».

«لقد استمتعت وأنا أتذوق طعم الذوبان وسط الجموع، وأن أكون فردًا ضمن الجماهير فى هارفارد، لقد كانت السنوات الأسعد فى حياتى؛ لأننى كنت غير معروفة وسط الطلاب».

ولم تنقطع صلة بينظير بوتو بهارفارد بعد تخرجها؛ حيث تبرعت بمبلغ 300 ألف دولار عام 1995 لمركز الدراسات الإسلامية فى كلية الحقوق بجامعة هارفارد للمساعدة فى البحوث والمؤتمرات المتعلقة بباكستان والمساعدة الاقتصادية للطلبة الباكستانيين هناك.

وكتبت بوتو فى مذكراتها:

«تأقلمتُ مع الجو الأمريكى؛ حيث خلعت الزى الشعبى لنساء باكستان واستبدلت به الجينز والتى شيرت، وتركت شعرى طويلًا

ومنسدلًا ومستقيمًا.. كنت أحس بالفرحة والزهو عندما يخبرنى أحد أصدقائى بأنى أشبه جون بييز المطربة الشهيرة».

وفى خطبة ألقتها فى نوفمبر عام 1997 بكلية كينيدى للسياسة قالت:

«أريدكم جميعًا أن تعلموا كم من الرائع أن أعود ثانية إلى بيتى، لقد أمضيت أسعد سنين حياتى كطالبة فى جامعة هارفارد».

وعلى الرغم من حبها الشديد للفترة التى قضتها فى هارفارد فإن والدها ذوالفقار كان يفضل وجودها فى أوكسفورد ببريطانيا عن وجودها في هارفارد، وكان لبينظير فى أوكسفورد علامة مهمة فى تاريخ الجامعة؛ حيث إنها أول سيدة آسيوية تحتل منصب رئيس اتحاد الطلاب المنتخب، جاذبة وقتها وسائل الإعلام العالمية والمحلية.. هذه الفتاة التى استطاعت اعتلاء هذا المنصب، وقد قضت بوتو فى أوكسفورد أربع سنوات من 1973 إلى 1977 بعد دراستها فى هارفارد.

ويذكر عنها أصدقاؤها فى أوكسفورد أنها كانت دائمًا تمتلك الحمية والحماسة، لكنها فى الوقت نفسه كانت أكثرهم مرحًا وحبًا للضحك، أما والدها فقالت عنه فى مذكراتها:

«كتب لى والدى خطابًا بعد وصولى إلى أوكسفورد فى خريف عام 1973 قال فيه: كنت سعيدًا بتركك هارفارد، أما عندما ذهبت إلى أوكسفورد فأستطيع أن أتخيلك تعيشين فى شوارع إنجلترا وتصعدين السلالم المتحجرة هناك.. ذهابك إلى أوكسفورد بالنسبة

لى حلم تحقق وأصبح واقعًا، وأتمنى أن تبنى عليه مستقبلًا رائعًا لخدمة وطنك وشعبك».

وتعلق بينظير على ذلك قائلة:

«لقد كان والدى سعيدًا جدًّا بوجودى فى أوكسفورد، رغم أن غرفتى كانت ضيقة بلا هاتف خاص، وكان هناك حمام مشترك لكل دور، فإنه قال لى إننى سأتعلم كيف أعمل تحت ضغط على العكس من هارفارد، وفعلًا وجدت نفسى أصارع من أجل عمل التكليفات المطلوبة منى أسبوعيًّا فى علوم السياسة والفلسفة والاقتصاد، ويجب أن أعترف بأن أبى كان على حق».

وعن رئاستها اتحاد الطلبة فى أوكسفورد قالت:

«كان اتحاد الطلبة فى أوكسفورد والذى أسس عام 1823 ينظر إليه كبوابة أولى لسياسيى المستقبل، وأنا شخصيًّا لم تكن لدىَّ النية أن أكون سياسية فى ذلك الوقت؛ لأننى عرفت كم يدفع السياسى ثمنًا للحياة مع السياسة، لكننى قررت دخول اتحاد الطلبة فى أوكسفورد؛ لإرضاء والدى وإسعاده».

أكثر حملاتى الانتخابية نجاحًا كانت فى خريف عام 1976 عند رجوعى إلى أوكسفورد لإتمام دراستى التمهيدية للماجستير لمدة عام واحد، كان لديَّ الطموح أن أترك عالم الدراسة الأكاديمية بانتصار آخر، وكان لدى أبى شعور قوى بأن أبناءه سيصبحون رؤساء وزارة؛ لذا يجب أن يكونوا مؤهلين لهذا المنصب، وقتها كان

أخى يبدأ أولى سنوات دراسته فى أوكسفورد، وكنت أتطلع إلى أن أمضى وقتًا أطول معه، لكن الميزة الحقيقية لديَّ كانت وجود سنة أخرى لى فى أوكسفورد، أستطيع فيها المنافسة على منصب رئيس اتحاد الطلبة.. فى هذه السنة خدمت فى اتحاد أوكسفورد وكنت أمينة للصندوق، ولكننى هزمت فى أول خطواتى نحو الرئاسة فى سنواتى الماضية، لكن هذه المرة.. فزت.

فى ديسمبر 1976، أزعج الأمر الكثير من الذكور الذين سيطروا على الاتحاد؛ فقد كانت نسبة الذكور إلى الإناث فى الاتحاد سبعة رجال مقابل امرأة واحدة.. هى أنا.

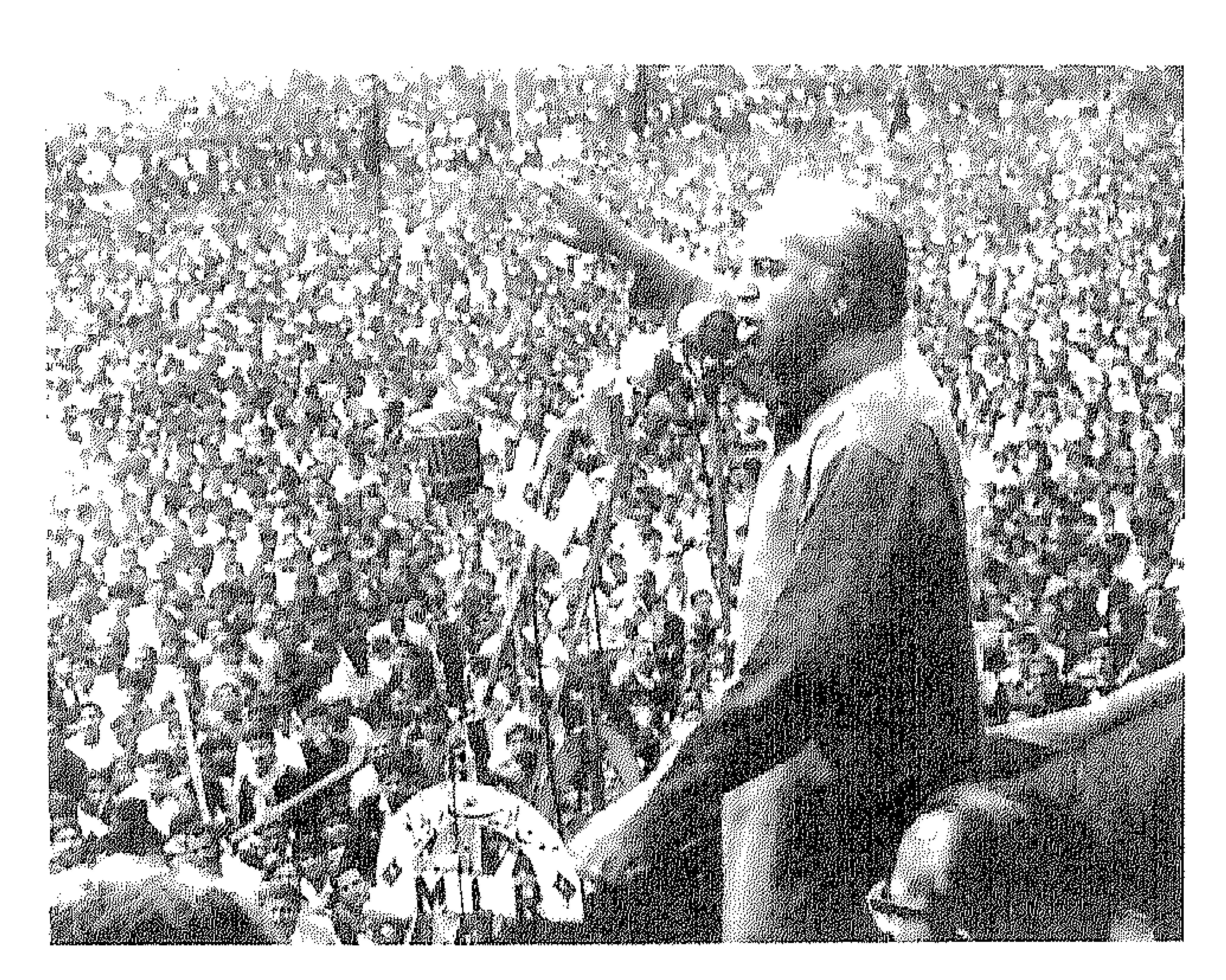
لقد فاجأ الأمر الجميع بمن فيهم والدى الذى كتب لى خطابًا قبل انتخابات الرئاسة الأمريكية فى 1976 بوقت قصير قائلًا:

«فى الانتخابات على أحدهم أن يربح، وعلى الآخر أن يتقبل الهزيمة.. عليكِ أن تبذلى أفضل ما عندك، لكن عليك أيضًا أن تتقبلى الهزيمة بصدر رحب».

بعدها بشهر واحد أتتنى رسالة أخرى من والدى، لكنها كانت مختلفة تمام الاختلاف؛ حيث قال:

«فى أوج ابتهاجى بانتخابك رئيسة لاتحاد أوكسفورد، لقد قمت بعملك بامتياز.. تهانينا القلبية الحارة على فوزك الغالى.. بابا».

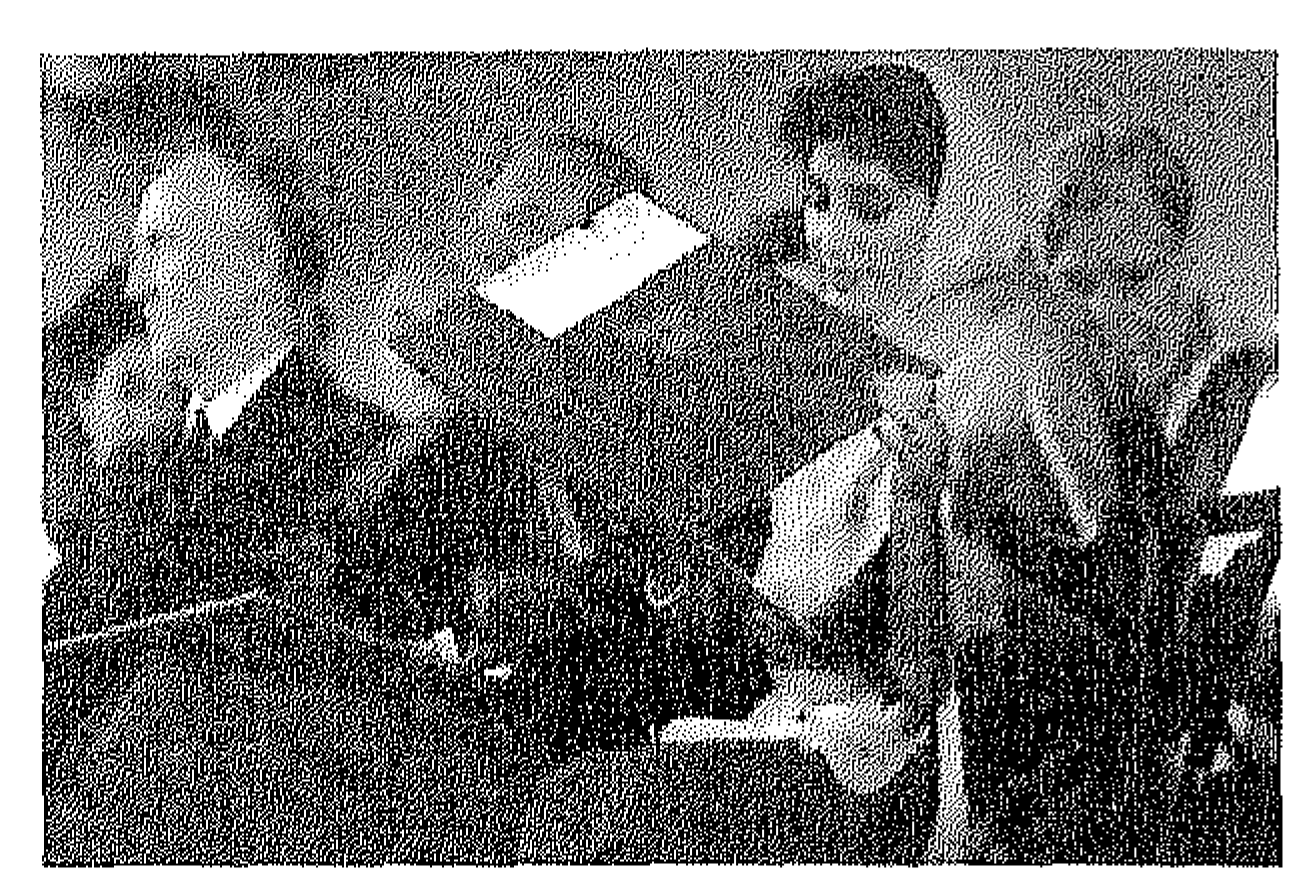
وبدأتُ بعدها فى يناير 1977 ممارسة مهامى كرئيسة لاتحاد أوكسفورد.



•• كان أبى يتمتع بشعبية ساحقة وحب حقيقى وكان أول رئيس ينتخبه شعبه فى باكستان .

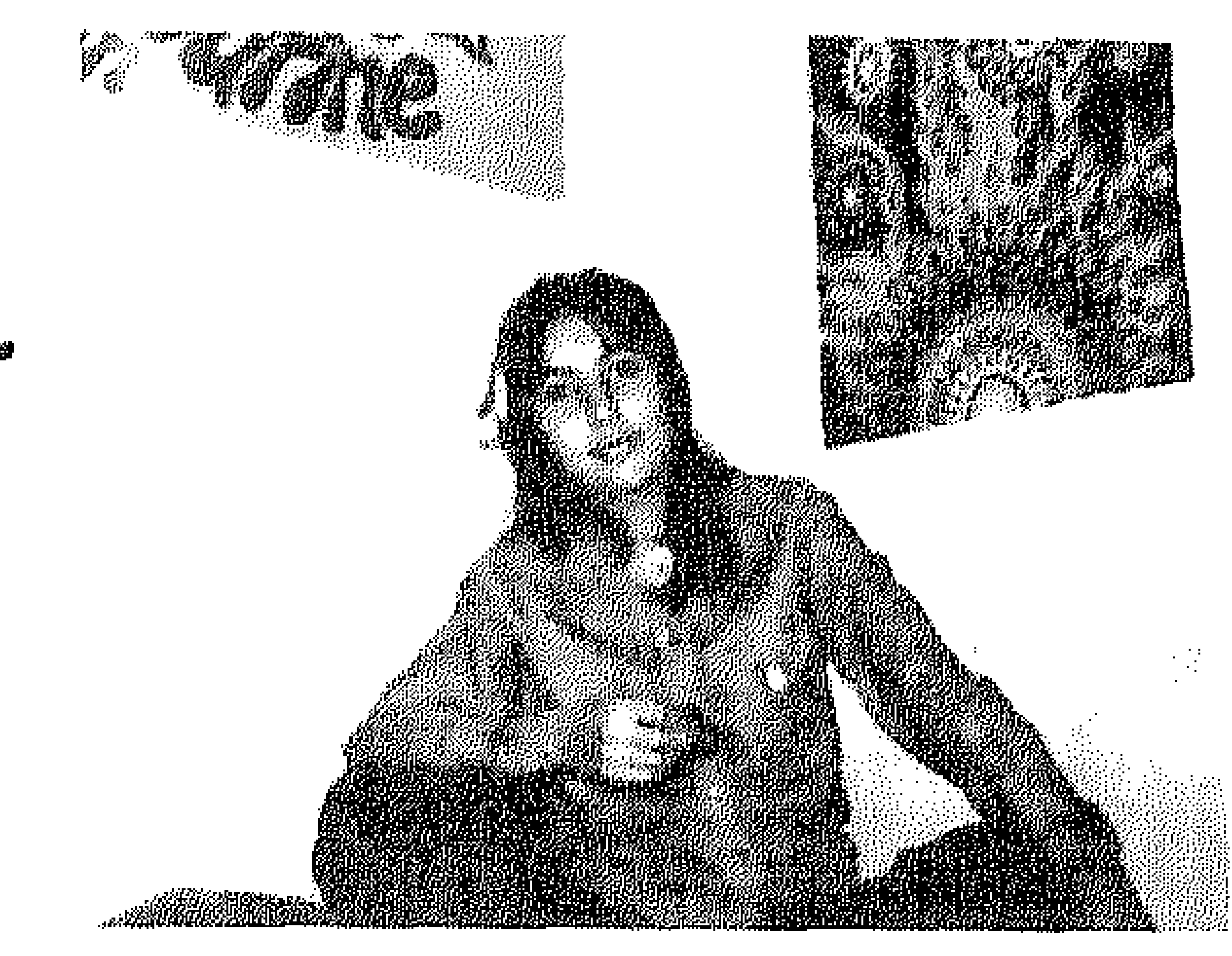


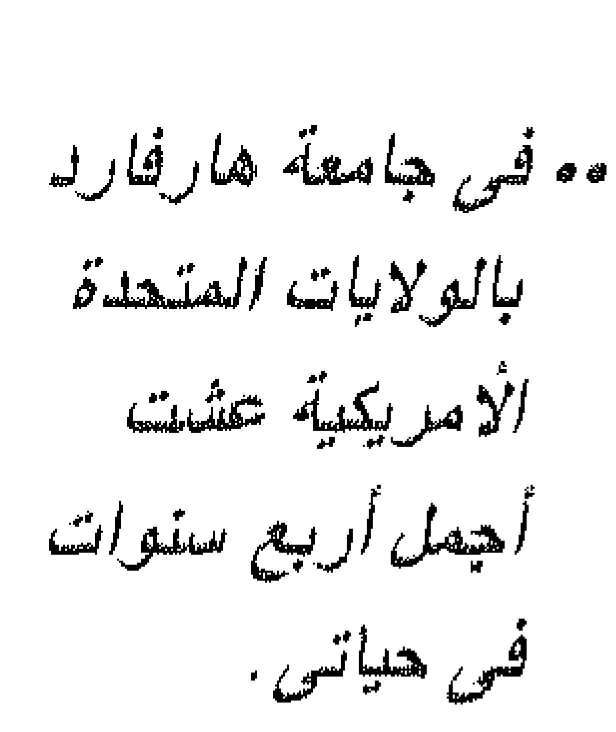
•• بعد ثمانية أشهر من انتخابى رئيسة اتحاد الطلبة فى أوكسفورد ، وكنت الفتاة الوحيدة بين سبعة رجال!



•• وتعلمت المعنى الحقيقى للديمقراطية عندما درست أنظمة الحكم المقارنة .

(وهذه الصورة لها أثناء منحها درجة فخرية من جامعة هارفارد)





•• فى جامعة هارفارد بالولايات المتحدة الأمريكية عشت أجمل أربع سنوات فى حياتى .



•• جون بيز . . المطربة التى كان زملاؤها فى الجامعة يقولون إنها تشبهها .

سنوات الصعود والهبوط

ربما تكون قصتها واحدة من أعظم التراجيديات العالمية.. ففضاؤها مرصع بلحظات النشوة والألم.. الانتصار والانكسار.. الزهو والعار.

أراها دائمًا بطلة لأسطورة إغريقية قديمة.. تلك الأساطير التى تختلط فيها المأساة بالملهاة يظل بطلها صامدًا إلى النهاية.. واقفًا فى وجه القدر.. يتلقى لطماته بصدر مفتوح.

رغم كونها امرأة قادمة من آسيا وبالتحديد من باكستان البلد الذى عاش أكثر من نصف تاريخه يطفو على بحر من الدماء.

ولدت بينظير فى 21 من يونية عام 1953 كطفلة مرفهة فى بيت رئيس باكستان وزعيمها المحبوب «ذوالفقار على بوتو»، ابنة ذكية لمَّاحة تنظر لأبيها الزعيم بولهٍ وإعجاب ورغبة فى أن تكون مثله زعيمة لها الهيبة نفسها والمكانة نفسها فى قلوب الجماهير.. فهى كانت بحق «ابنة أبيها».

حملت بينظير ملامح أمها الإيرانية نصرت بوتو، وإصرار وزعامة والدها «ذوالفقار على بوتو»، وكانت هى الابنة الكبرى والشقيقة لثلاثة هم سانام ومرتضى وشاه نواز.

عاشت العشرين عامًا الأولى من حياتها وربما أكثر قليلًا، حياة الطبقة الأرستقراطية الراقية فى باكستان، وأكملت تعليمها الجامعى فى جامعة هارفارد بالولايات المتحدة الأمريكية، ثم زادته بالدراسات العليا فى جامعة أوكسفورد.

كان عمرها ثلاثة وعشرين عامًا عندما انتخبت رئيسًا لاتحاد الطلاب بجامعة أوكسفورد، وكانت سابقة أولى من نوعها؛ حيث لم يحدث أن فاز بهذا اللقب أحد الآسيويين من قبل.

فى عام 1977 كانت بداية النهاية فى الفصل الأول فى حياة بينظير، فلقد تلبدت الغيوم، وتحولت السماء الصافية التى ظللت سنوات طفولتها وشبابها المبكر إلى السواد، مع الانقلاب الذى قاده ضياء الحق؛ الرجل الذى فضله والدها الرئيس عن بقية زملائه.. بل ورؤسائه، وقلده منصب رئيس أركان الجيش العسكرى.

وعاشت بينظير مأساتها الكبرى وهى تناضل بكل ما أوتيت من قدرة وقوة لإنقاذ والدها من حبل المشنقة.

قبل أن يشنقه الدكتاتور الدموى الجنرال ضياء الحق عام 1979 أوصى الزعيم ذوالفقار على بوتو ابنته بأن تقرأ سير حياة

النساء العظيمات، لكى تستلهم منها الدروس، واقترح عليها أن تدرس تاريخ «جان دارك» و«أنديرا غاندى».. الأولى أحرقها مواطنوها الفرنسيون وهى على قيد الحياة، والثانية اغتالها حراسها لأسباب طائفية.. فهل قرأت هى تلك النهايات؟

بعد إعدام الأب أمر الدكتاتور ضياء الحق باعتقالها هى وأمها نصرت بوتو، ثم فرض عليهما الإقامة الإجبارية بمنزلهما، وهربت بينظير خارج باكستان بعيدًا عن القمع والظلم والآلام، وعاشت تحلم بنهاية الكابوس الذى جثم على حياتها هى وأسرتها وأحالها إلى جحيم.

وفى عام 1987 التقت عاصف علي زاردارى، وتم زواجهما بصورة تقليدية عندما أقنعتها أمها نصرت بوتو بأنه عريس مناسب، وكان عاصف خريج جامعة أوكسفورد يصغرها بثلاث سنوات مرِحًا ويلعب البولو.

فى العام الأول لزواجهما، وبينما كانت تحمل ابنها الأول بيلاوال لعب القدر لعبته، واغتيل قاتل أبيها ضياء الحق بأيدٍ خفية، ومات فى حادث طائرة.

أيقظت وفاة عدوها اللدود حلمها القديم بأن تصبح الوريثة الشرعية لعائلة بوتو العريقة فى حكم باكستان، وبالفعل فاز حزبها بالأغلبية فى الانتخابات التشريعية؛ مما مهد لها الطريق إلى المنصب الرفيع الذى طالما حلمت به، وأصبحت بينظير فى 2 من ديسمبر

1988 رئيسة وزراء باكستان، كأول رئيسة وزراء لدولة إسلامية وكأصغر رئيسة وزراء.

ولم تهدأ أصوات المعارضين لها، بل استمروا فى حربهم ضدها بكل الوسائل المشروعة وغير المشروعة.. ثلاث محاولات للإطاحة بها آخرها فى سبتمبر 1989 عندما تقدمت رابطة الأحزاب بطلب طرح الثقة فى حكومتها، ونجت الزعيمة الصغيرة بفارق 12 صوتًا فقط فى معركة شرسة.

لم تدم السلطة طويلًا.. فقط أقل من عامين «من 2 من ديسمبر 1988 حتى أغسطس 1990» بعدها أقالها الرئيس إسحاق خان معتمدًا على سلطاته بموجب التعديل الثامن للدستور الباكستانى، ودعا إلى انتخابات برلمانية جديدة جرت فى أكتوبر 1990، وأسفرت عن فوز نواز شريف بمنصب رئيس الوزراء.

واستمرت بينظير ثلاث سنوات من 1990 إلى 1993 تناضل من أجل استعادة مكانها ومكانتها، وتنفى عن نفسها تهم الفساد التى لاحقتها وفاقت الحدود.

كان السبب الرئيسى فى توجيه هذه التهم التى تمس شرف ونزاهة سليلة عائلة بوتو العريقة، هو زوج الزعيمة ورئيسة الوزراء عاصف على زاردارى، فقد اشتهر بلقب «مستر 10%»؛ إشارة إلى نسبة العمولة التى كان يتقاضاها عند إبرام الاتفاقات التجارية مع الشركات العالمية التى قيل إنه حصد من ورائها الملايين.

وفى عام 1993، صعدت المرأة الحديدية مرة أخرى واحتلت منصب رئيسة الوزراء من 1993 حتى 1996.

والغريب أنها قامت بتعيين عاصف على زاردارى وزيرًا للاستثمارات الخارجية، وكأنها تتحدى العالم وتغامر بمستقبلها السياسى وسمعتها كرئيسة للوزراء من أجل عاصف؛ الشخصية الأكثر إثارة للجدل فى تاريخ المرأة الأسطورية بينظير.

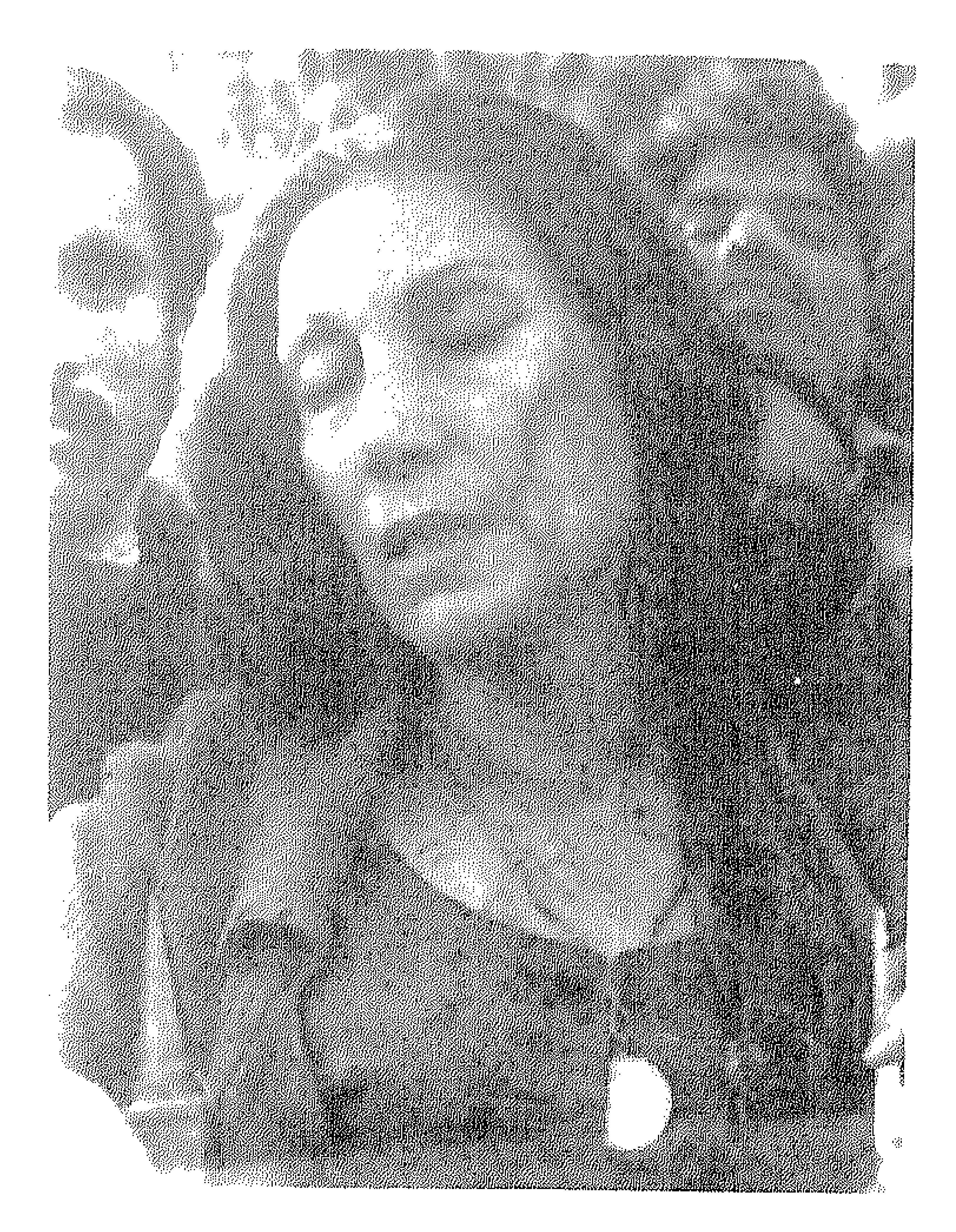
ومع ازدياد النفوذ وارتفاع سقف الصلاحيات الممنوحة له توغلت الشائعات وتوحشت؛ قيل إن عائلة بينظير اختلست ثلاثة مليارات دولار أثناء وجودها فى السلطة، وقال مسئول باكستانى إن هذه الأموال مصدرها المخدرات، كما قامت سويسرا بالاستجابة لطلب الحكومة الباكستانية بتجميد حسابات عائلة بوتو، واعترضت بريطانيا على طلب الحكومة الباكستانية عام 1997 بحجة عدم وجود اتفاق بين البلدين فى هذا الشأن.

ودخلت رئيسة الوزراء وزوجها المحكمة بتهمة الفساد واستغلال النفوذ، وقضى الزوج حوالى ثمانى سنوات سجينًا، أما بينظير فقد رحلت هى وأولادها إلى منفاها الاختيارى بلندن ودبى؛ خوفًا من تنفيذ حكم السجن عليها هى أيضًا.

وهكذا عاشت «بى بى».. أو «بينكى» حياة صاخبة لا تعرف الهدوء أو السكينة، لا فى أيام السلطة والحكم، ولا فى أيام الذلة والظلم.

ألم أقل لكم إنها بطلة خرجت لتوها من إحدى الأساطير الإغريقية القديمة؟!

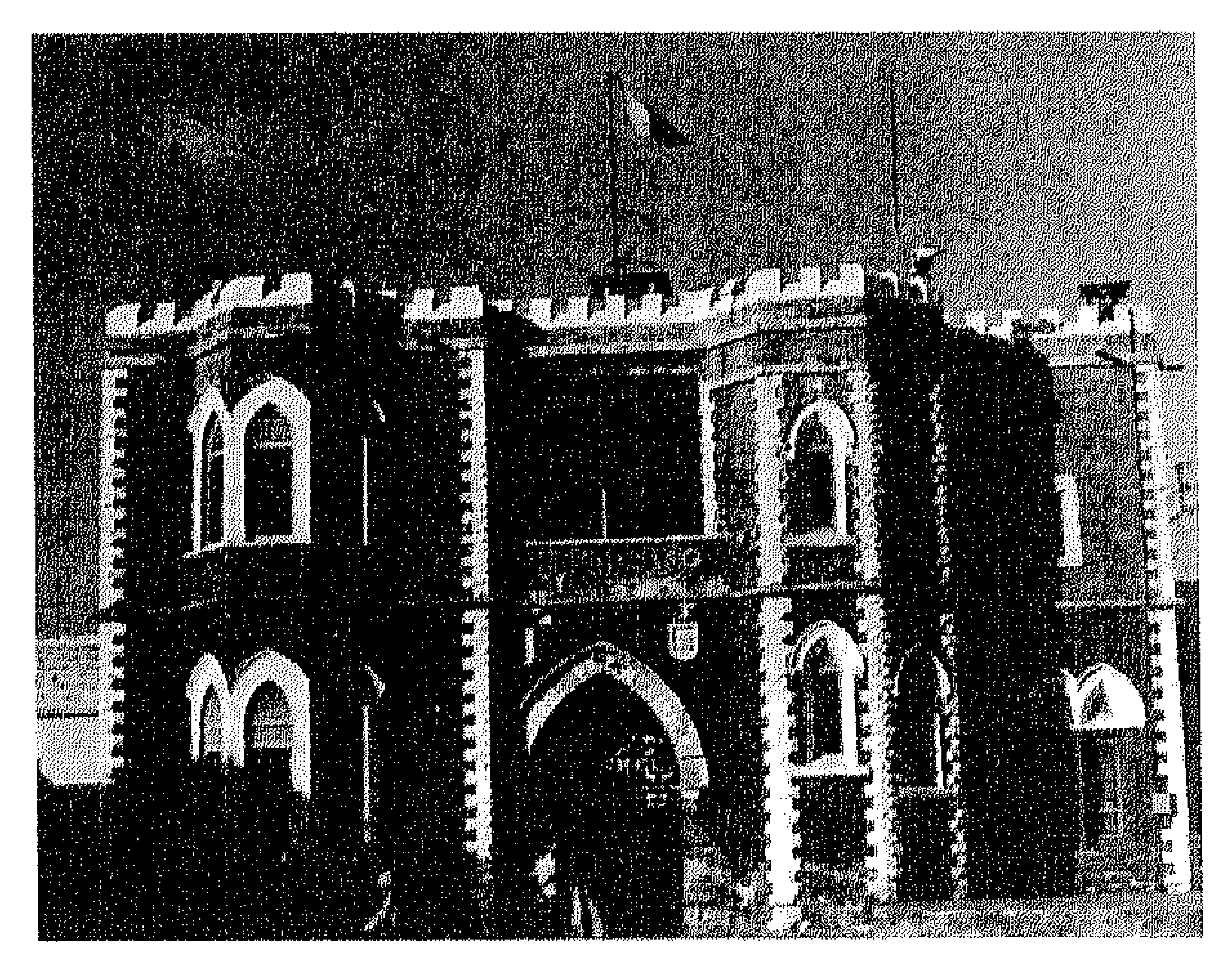
•• الانتقام . . الانتقام . . هكذا هتفوا لى عندما كنت عائدة بالقطار إلى (لاركانا) لزيارة قبر أبى بعد خروجى من المعتقل ، وقلت لهم إن علينا أن نحول حزننا إلى قوة ونهزم ضياع الحق فى الانتخابات .



•• 12 غرزة فى وجه أمى بسبب جروح بعد أن قامت قوات ضياء الحق بضربنا وإجبارنا على حضور مباراة كريكت فى لاهور . . فى مساء ذلك اليوم تم اعتقالى واعتقال أمى وهى على سريرها فى المستشفى.



•• رفعت رأسى عاليًا عندما خرجت من السجن المركزى فى كراتشى لحضور زفاف سانام فى سبتمبر 1981 ، وفى صباح اليوم التالى أعادتنى الشرطة إلى السجن .





•• كنت في كراتشي 1983 عندما اعترض المحامون على قانون الزواج ونادوا بإجراء انتخابات.

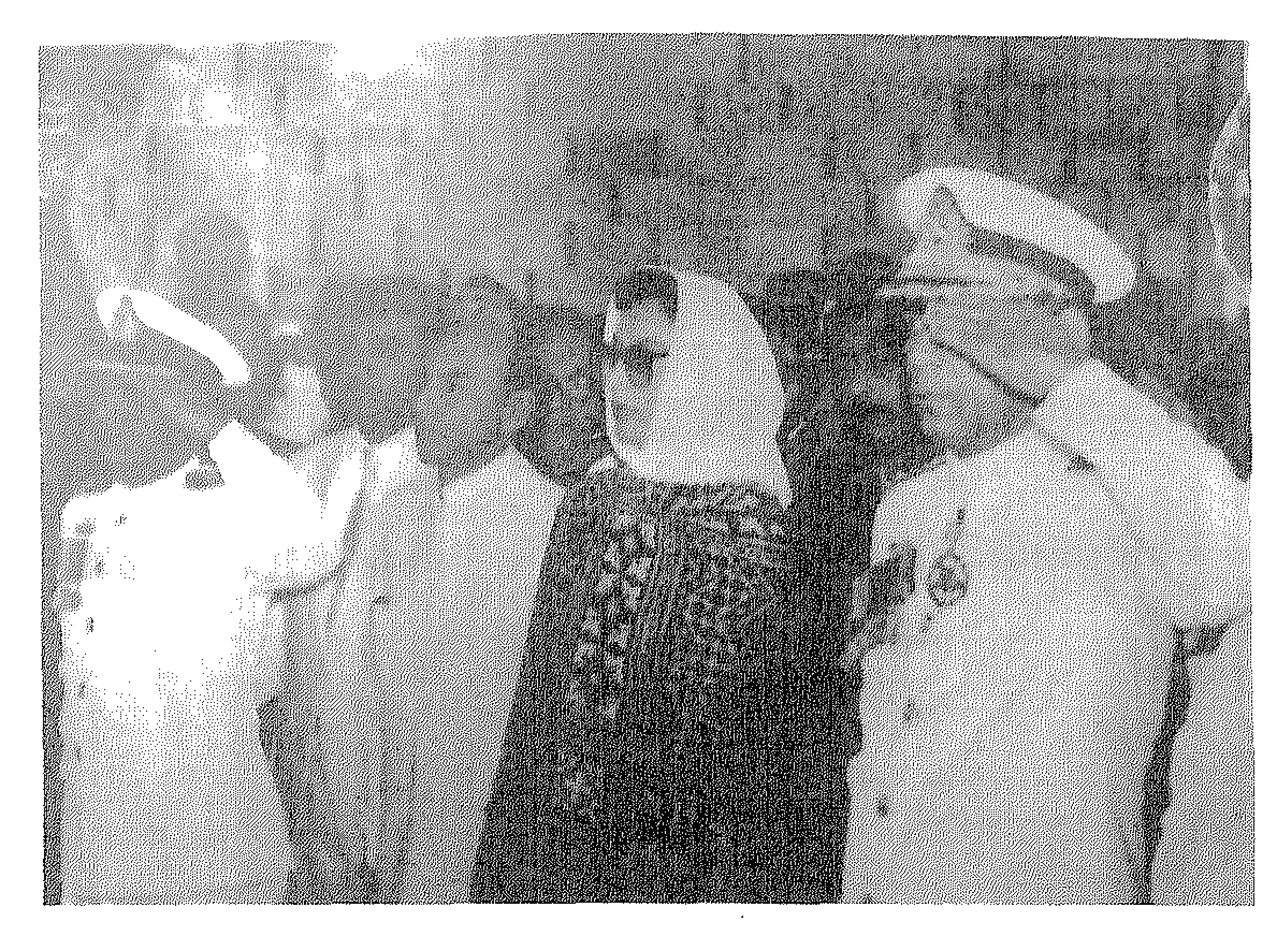


•• ضرب النساء أثناء معارضتهن لقانون ضياء الحق الذي قلل قيمة شهادة المرأة لنصف شهادة الرجل.



●● العودة إلى باكستان: أكثر من مليون باكستانى فى استقبالى فى لاهور فى إبريل 1986، مناصرىّ أغرقونى بالورود.







.. عاشت بينظير سنوات
على كرسى الحكم
وسنوات أكثر فى
صفوف المعارضة ،
وبين هذا وذاك عاشت
لحظات الألم والأمل.

الذهاب إلى المـوت

هل نزلت بينظير أرض الوطن وهى تحمل كفنها على يديها؟ الكثيرون رأوا ذلك جليًّا فى المشهد الرهيب الذى اجتمعت فيه القمتان: قمة الفرح.. وقمة المأساة.. يوم 19 من أكتوبر 2007.

مشهد مهيب.. احتشدت الجماهير العريضة على جانبى الطريق، واندفعوا بمشاعرهم المكتومة لأكثر من عشر سنوات قضتها بينظير رئيسة الوزراء المحبوبة التى أقصيت عن منصبها فى 1996.. منها ثمانى سنوات خارج باكستان.

الكل متلهف.. متشوق لرؤية الزعيمة الجميلة القوية بثوبها الجديد.

الأعين على أقصى اتساعها.. الآلاف يريدون بينظير.

كيف تبدو الآن؟ ماذا فعلت بها السنون؟

لكنها كانت كما هى.. بينظير 2007 هى نفسها بينظير 1996.. بشخصيتها الآسرة و«كاريزمتها» التى لا يضاهيها فيها أحد.. ابنة باكستان العاشقة لتراب بلدها.. المؤمنة بأن مصيرها بيد الله.. المرأة الحديدية التى خرجت من الشرق.. وبهرت الغرب.. بل بهرت العالم كله.. لم تفقد شيئًا من جاذبيتها.. بل زادت صلابة وتحديًّا.

عادت من المنفى وباتت محط آمال المتطلعين لتحقيق الديمقراطية والرخاء، لكن السؤال الذى يطرح نفسه بقوة عما إذا كان بوسعها أن تحقق الآمال المعقودة عليها داخل البلاد وخارجها.

كان من المقرر أن تكون عودة بوتو فاتحة برَّاقة تبشر بإجراء معركة انتخابية توحى بانتصار باهر.. وكان حزب الشعب الباكستانى الذى تتزعمه قد رتب مجىء مئات الآلاف من أنصاره إلى كراتشى للترحيب بقائدة الحزب بعد غيابها عن الوطن، وكانت الرسالة الموجهة إلى خصومها السياسيين تنذر بأن بوتو هى المرأة التى سيفوز حزبها فى الانتخابات البرلمانية التى ستعقد فى مطلع العام الجديد، وبأن بوتو سوف تنجح فى تولى منصب رئيسة الوزراء للمرة الثالثة.

- المكان: كراتشى؛ إقليم السند الذى شهد طفولة هذه السيدة ومراهقتها، ونشأتها فى عائلة سياسية أبًا عن جد.

• الزمان: 19 من أكتوبر 2007.

• الحدث: عودة بينظير بوتو إلى باكستان بعد غياب 11عامًا عن السلطة وثماني سنوات عن باكستان.

• المشهد: آلاف الباكستانيين في انتظار عودة زعيمتهم.

• ما قبل المشهد:

بعد مرور ستة عقود على إعلان قيام باكستان التى انفصلت عن الهند عام 1947 بعد أن كانت جزءًا منها فى شبه القارة الهندية، لم تخلُ باكستان من الفتن والحروب وإراقة الدماء، ومنذ ذلك الوقت تعرضت البلاد إلى سلسلة محاولات اغتيالات سياسية شهدتها باكستان خلال تلك الحقبة، وقد طالت تلك المحاولات الرئيس برويز مشرف نفسه.

وقد تزامنت عودة زعيمة حزب الشعب الذى يعتبر أكبر الأحزاب السياسية فى باكستان مع تفاقم الأزمة السياسية فى البلاد التى بدأت بمحاولة إقصاء برويز مشرف لرئيس المحكمة العليا افتخار تشودرى؛ وهو ما أدى إلى احتجاجات شديدة مثلت أخطر تحدٍّ يواجهه منذ تسلمه السلطة عام 1999 بالانقلاب العسكرى الذى أطاح بالرئيس نواز شريف، وازدادت سوءًا على إثر فوز الرئيس مشرف بولاية رئاسية جديدة فى الانتخابات التى أجريت فى أكتوبر 2007 بعد أن شككت المعارضة فى نتائجها.

وكانت باكستان قد أنهت المواجهات التى استمرت ستة أشهر بين الجيش الباكستانى وجماعة إسلامية متطرفة تحصنت فى المسجد الأحمر فى العاصمة إسلام آباد بعد سقوط ما يقرب من 150 قتيلاً داخل المسجد.

واقتضت طبيعة النظام السياسى الباكستانى أن تصبح القوى الإسلامية طرفًا مهمًّا فى معادلة توازن هذا النظام، ليس بسبب الميول والاتجاهات الدينية للشعب الباكستانى وحسب، وإنما أيضًا لما تحظى به المعارضة الإسلامية بقيادة مجلس العمل الموحد المعارض الذى يضم ستة أحزاب إسلامية من حضور سياسى بارز إثر الانتخابات البرلمانية التى أجريت عام 2002، ونتيجة للتحالف الوثيق بين الإسلاميين والجيش منذ عهد الجنرال ضياء الحق الذى منحهم حق تكوين إمارات إسلامية تابعة لسلطة نظام إسلام آباد.

العمليات الانتحارية التى شنها المقاتلون القبليون فى شمال غرب باكستان ضد قوات الجيش والشرطة صيف 2007، إلى جانب أحداث المسجد الأحمر وإغلاق مشرف عددًا كبيرًا من المدارس الإسلامية، أنهت هذه العلاقة بين الجيش الباكستانى والأصوليين الإسلاميين وعلى رأسهم جماعة إسلامى وجمعية علماء باكستان الذين لا يخفون تعاطفهم مع حركة طالبان وتنظيم القاعدة.

إلا أن أخطر القوى الدينية على الإطلاق فى باكستان هى تلك القوى التى تتخذ من السلاح وسيلة للحوار، مستبيحة ذبح المسلمين

فى المساجد غالبًا بدعوى التكفير لخلافات مذهبية بين فريق وآخر، وهى صورة قد لا يوجد مثيل لها خارج باكستان، ولعل جماعتى (جيش الصحابة السنية) وجيش محمد (الشيعية) نموذجان ممثلان للحالة الدموية التى تحكم العلاقة بين المتشددين من أهل السنة والشيعة فى هذا البلد الإسلامى الكبير.

كما أنه لا يمكن التقليل من الدور السياسى الذى تلعبه الفرق الدينية فى باكستان كالقديانية والبهائية والإسماعيلية وغيرها، وهى جماعات لها حضور قوى، وإن كان مستترًا فى بعض مؤسسات الدولة المختلفة، وخصوصًا المؤسسات التعليمية والإعلامية.

ومن جهة أخرى، تتعقد خريطة الأحزاب السياسية فى باكستان، فإلى جانب حزب الشعب الذى كانت تتزعمه بوتو والذى أوصت بأن يتزعمه ابنها الشاب الصغير بيلاوال تحت إشراف والده عاصف زاردارى، وحزب الرابطة الإسلامية الذى يرأسه نواز شريف، يوجد حزب الرابطة الإسلامية جناح قائد أعظم (الحزب الحاكم) وتسعة أحزاب سياسية أخرى كلها تحمل اسم (الرابطة الإسلامية).

غير أن مشرف دفع ثمنًا باهظًا لتحالفه مع واشنطن فى الحرب على الإرهاب، خصوصًا بعد إغلاق المدارس الدينية المشتبه بأن لها علاقات مع الجماعات المحظورة، وحيث أصبح يواجه قضية الوضع الساخن لجبهة الحدود مع أفغانستان المجاورة والعجز

عن ضبطها، ووقوعه بين المطرقة والسندان، ما بين الضغوط والرغبات الأمريكية بضرورة أن يبذل جهدًا أكبر لضبط هذه الحدود؛ لإحكام القبضة على طالبان وبن لادن، وما بين الخشية من تحوُّل هذا الضبط إلى معركة شاملة مع القبائل والمسلحين فى المنطقة؛ وهو ما جعل واشنطن تضغط على الرجل فى اتجاه العمل على تقاسم السلطة مع بوتو بعد إصدار العفو عنها بموجب اتفاق بين الطرفين قبيل الانتخابات التى جرت فى السادس من ديسمبر 2007 بعد أن تعهدت بعدم مقاطعة نوابها (نواب حزب الشعب) للتصويت.

ووفقًا لهذا الاتفاق الذى تم بمباركة أمريكية يتم انتخاب الرئيس مشرف لفترة رئاسية ثانية مدتها خمس سنوات، ويتم فى المقابل إسقاط كل قضايا الفساد الموجهة إلى بوتو، إضافة إلى إجراء تعديل دستورى يسمح بإعادة انتخاب بوتو رئيسة للوزراء لفترة ثالثة.

ورؤية الإدارة الأمريكية أن تقاسم السلطة بين مشرف وبوتو من شأنه أن يحقق تقدمًا أكبر فى الحرب على الإرهاب وفى إعادة الديمقراطية إلى البلاد، فى الوقت الذى رأى فيه البعض أن عودة بوتو يمكن أن تقترن بمرحلة جديدة من ازدياد حدة العنف فى باكستان والتى كانت التفجيرات إحدى بوادرها.

نعود إلى مشهد رجوع بينظير إلى كراتشى؛ فقد أثار هذا المشهد جميع من رأوه وتابعوه بشغف، حيث أجهشت بينظير رئيسة

وزراء باكستان السابقة بالبكاء حين لمست قدماها أرض الوطن للمرة الأولى منذ ثماني سنوات من منفاها الاختياري بعد أن حطت طائرتها في مطار كراتشي.

واحتشد نحو 200 ألف من أنصارها على امتداد ستة كيلو مترات في الطريق من المطار إلى المدينة لتحيتها وإعلان الدعم لها.

وعبَّرت بوتو عن إحساسها وقالت: «عندما لمست قدماي أرض باكستان غمرتني العواطف فعلاً.. لم أكن لأعتقد أن هذا اليوم الذي كنت أعُدُّ من أجله الساعات والدقائق واللحظات والسنوات قد جاء أخيرًا».. هكذا أعلنتها بوتو بعد أن وصلت إلى كراتشي.

استقبال بوتو طغت عليه أجواء كرنفالية تخللها عزف الموسيقى، فيما ارتدى عدد كبير من أنصارها ملابس ملونة بالأحمر والأسود والأخضر وهي الألوان التي يتميز بها حزب الشعب.

وبطبيعة الحال، لم يخلُ المشهد من بعض المشاجرات التي نشبت قبيل وصول بوتو؛ حيث حاول عدد من الأشخاص اختراق السياج الأمني للوصول إلى أرض المطار.

وعندما وصلت، شقت سيارتها طريقها بصعوبة بالغة وسط حشود الجماهير، حتى إنها اضطرت في بعض الأوقات إلى التوقف تمامًا حين كان بعض أنصارها يندفعون إلى مقدمة السيارة لتحيتها، فعلى الرغم من مرور ثماني سنوات على غياب بوتو

عن البلاد، فإنها مازالت تتمتع بشعبية كبيرة ودعم ملحوظ كسليلة عائلة بوتو العريقة سياسيًّا.

وكانت الحكومة الباكستانية قد حشدت قرابة الـ 20 ألف جندى فى مدينة كراتشى؛ تحسبًا لوقوع أعمال عنف، فى أعقاب تهديدات ميليشيات إسلامية باغتيال كل من بوتو ومشرف، ولكن بينظير رفضت توصيات السلطات الباكستانية بإلغاء الموكب الذى تعتزم المشاركة فيه من مطار كراتشى وحتى ضريح مؤسس باكستان محمد على جناح خوفًا على حياتها، وقالت: «لا أعتقد أن أى مسلم حقيقى سيحاول الاعتداء عليَّ؛ لأن الإسلام يمنع الاعتداء على النساء، والمسلمون يعرفون أنهم إذا هاجموا النساء فإنهم سيذهبون إلى جهنم».

وبخلاف القوات التى انتشرت فى مدينة كراتشى، فإن قرابة الـ 2500 جندى انتشروا فى محيط مطار كراتشى، علاوة على إغلاق عدد من الشوارع والمدارس، وكانت السلطات الأمنية الباكستانية واثقة من نجاح الإجراءات الأمنية لتأمين وصول زعيمة حزب الشعب.

لكن أتت الرياح بما لا تشتهى السفن؛ فالذى حدث على أرض الواقع جاء مخالفًا لتلك الثقة الأمنية، فبعد ساعات طويلة من الاحتفالات التى رافقت موكب بوتو من المطار حتى وسط المدينة والتى هيمنت عليها روح الفرحة والبهجة قام أحد الأفراد بعملية انتحارية حيث فجر نفسه داخل الحشود البشرية.

لم تتعرض بينظير لأى أذى ، لكن 139 شخصًا لقوا مصرعهم ، كما أصيب أكثر من 500 شخص آخرين بجروح من جراء تلك العملية الانتحارية، وجاء هذا الاعتداء الدموى المروع على نحو لم تشهده باكستان حتى الآن فى تاريخها.

وعلى الفور ، نقلت بوتو بعيداً عن السيارة التى كانت تقلها عبر الشوارع التى اكتظت بمئات الآلاف من المهنئين ، وقال مسئول رفيع فى الشرطة فى كراتشى إنها سالمة ونقلت إلى مسكنها.

ولم يعلن أحد مسئوليته عن الانفجار ، إلا أن بعض المتشددين الذين على صلة بتنظيم القاعدة والذين أغضبهم تأييد بوتو لحرب الولايات المتحدة الأمريكية على الإرهاب قد هددوا فى وقت سابق من وصولها إلى باكستان باغتيالها.

كانت الجثث متناثرة فى كل مكان والجرحى يصرخون طلباً للنجدة، ولم يقترب أحد من الجثث؛ خوفًا من وقوع انفجار آخر ، وسارع عمال الإنقاذ إلى انتشال الجثث من حطام السيارات المحترقة، بينما أضاءت النيران سماء الليل بعد انفجارين آخرين.

وقع الهجوم عقب منتصف الليل بعد نحو عشر ساعات من وصول بوتو إلى باكستان قادمة من دبى ، ويبدو أن بينظير بوتو نفسها كانت تتوقع أن تتعرض إلى محاولة اغتيال حينما بدأت المرحلة الأخيرة من رحلة العودة إلى باكستان؛ لأنها قالت بعد محاولة الاغتيال:

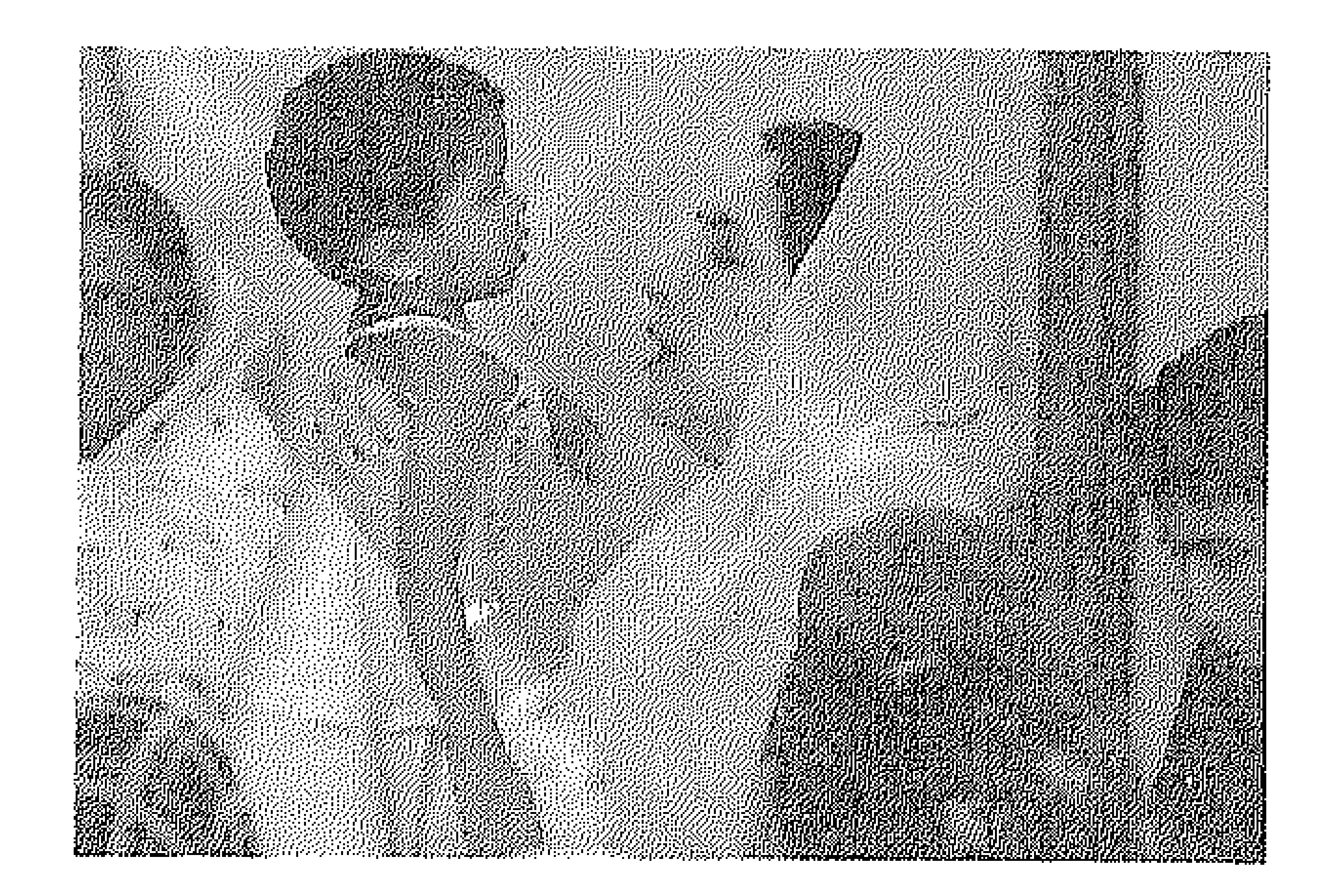
«بعد هذا الحادث ، طلبت منى السلطات التنقل فى سيارات ذات نوافذ خاصة تسهم فى توفير الحماية لى ، وكذلك أن أتحرك برفقة حراس شخصيين مسلحين ، لكننى رفضت؛ لأننى كنت قد بدأت أشعر بأن الطوق بدأ يضيق حولى عندما تم خفض عدد قوات الأمن حول منزلى فى كراتشى ، رغم أنه تم إبلاغى بأن هناك مخططات أخرى لاغتيالى . . أعرف هذا؛ لذلك فقد أعددت عائلتى وأحبائى لأى احتمال» .

وأضافت:

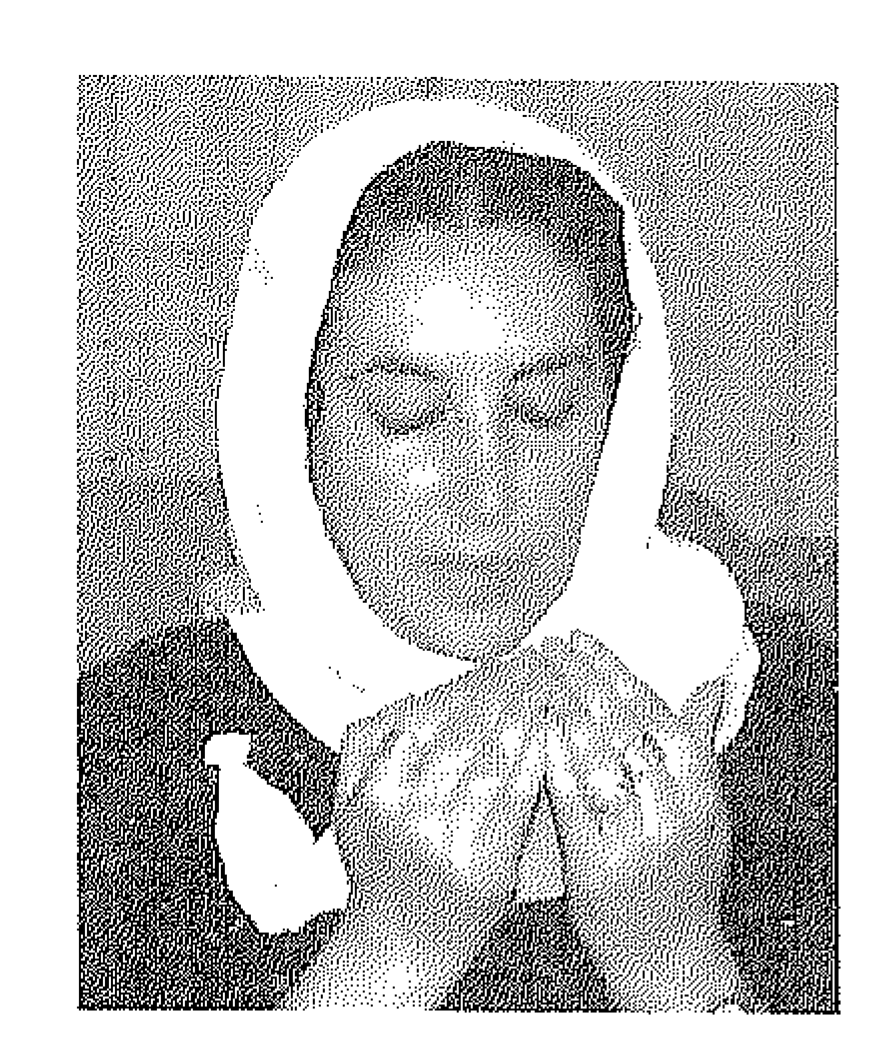
«قررت ألا أبقى سجينة منزلى الذى تحول إلى معتقل افتراضى ، وذهبت إلى قريتى لاركانا؛ لأصلى على روح والدى الذى تم إعدامه» .

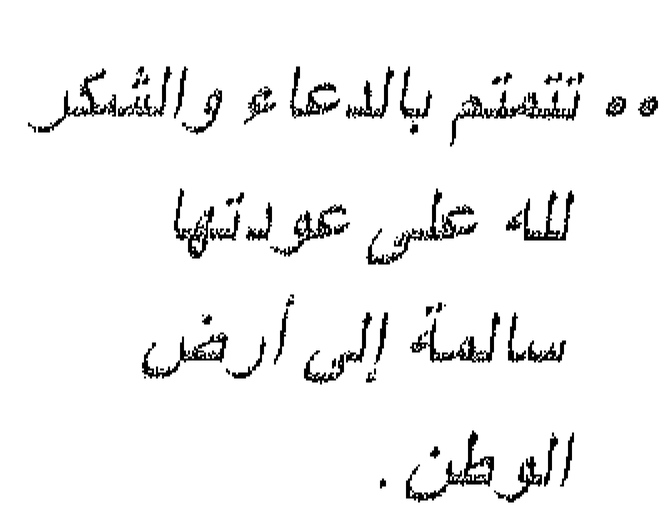
أما الرئيس برويز مشرف فقد قال فى بيان نقلته وكالة الأنباء الحكومية الباكستانية إن الهجوم «مؤامرة على الديمقراطية» .

بينظير بوتو التى قال عنها الرئيس الفرنسى نيكولا ساركوزى إن الكاريزما الشخصية لديها أهم من الجمال ، كانت وستظل فى وجدان الكثيرين رمزًا للمرأة القوية الشامخة الشجاعة .

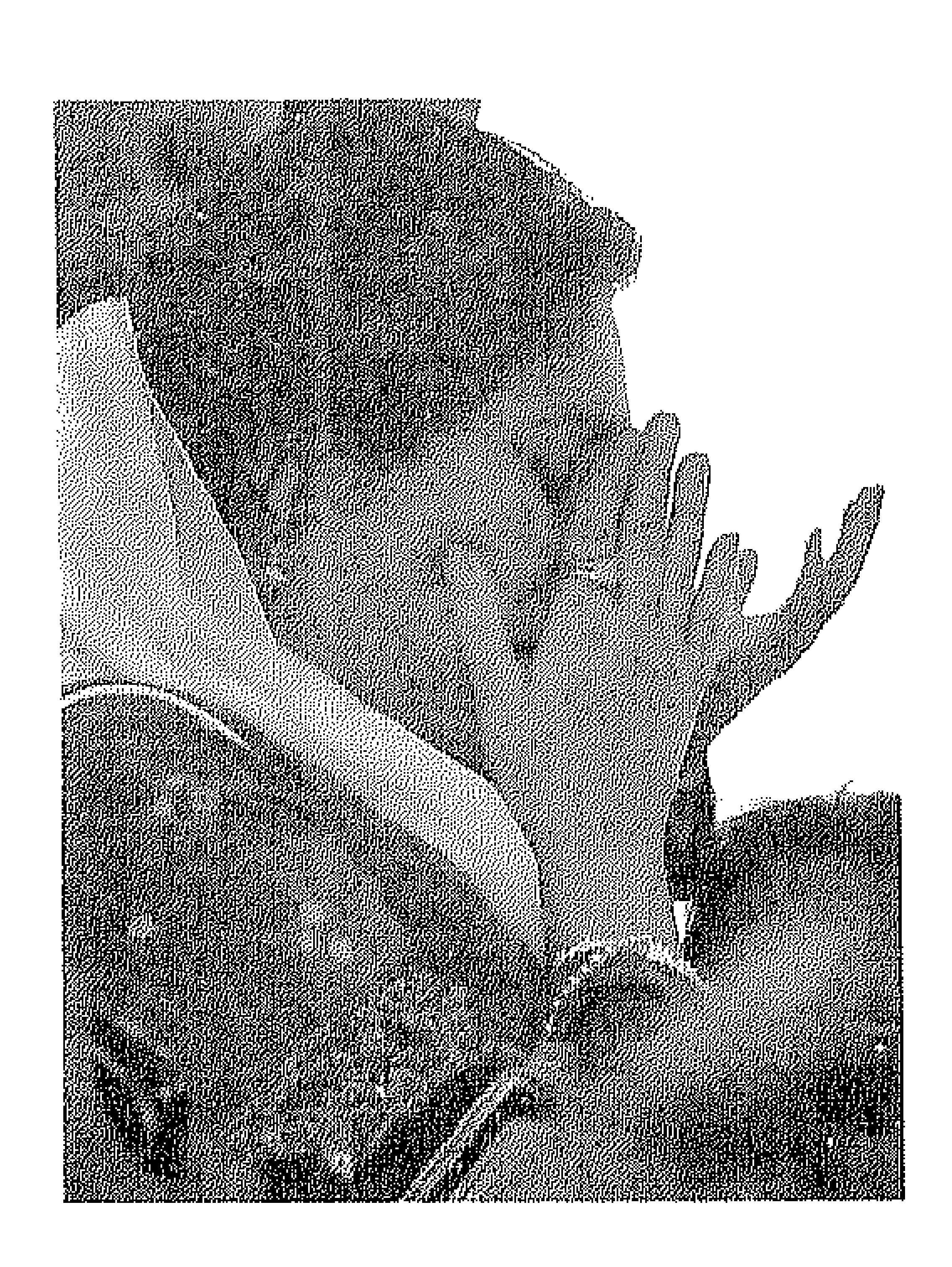


.. بمشاعر الأم..
وتلقائية العاشقة
لتراب وطنها تحتضن
طفلاً باكستانيًا صغيرًا
وقف في موكب
استقبالها.

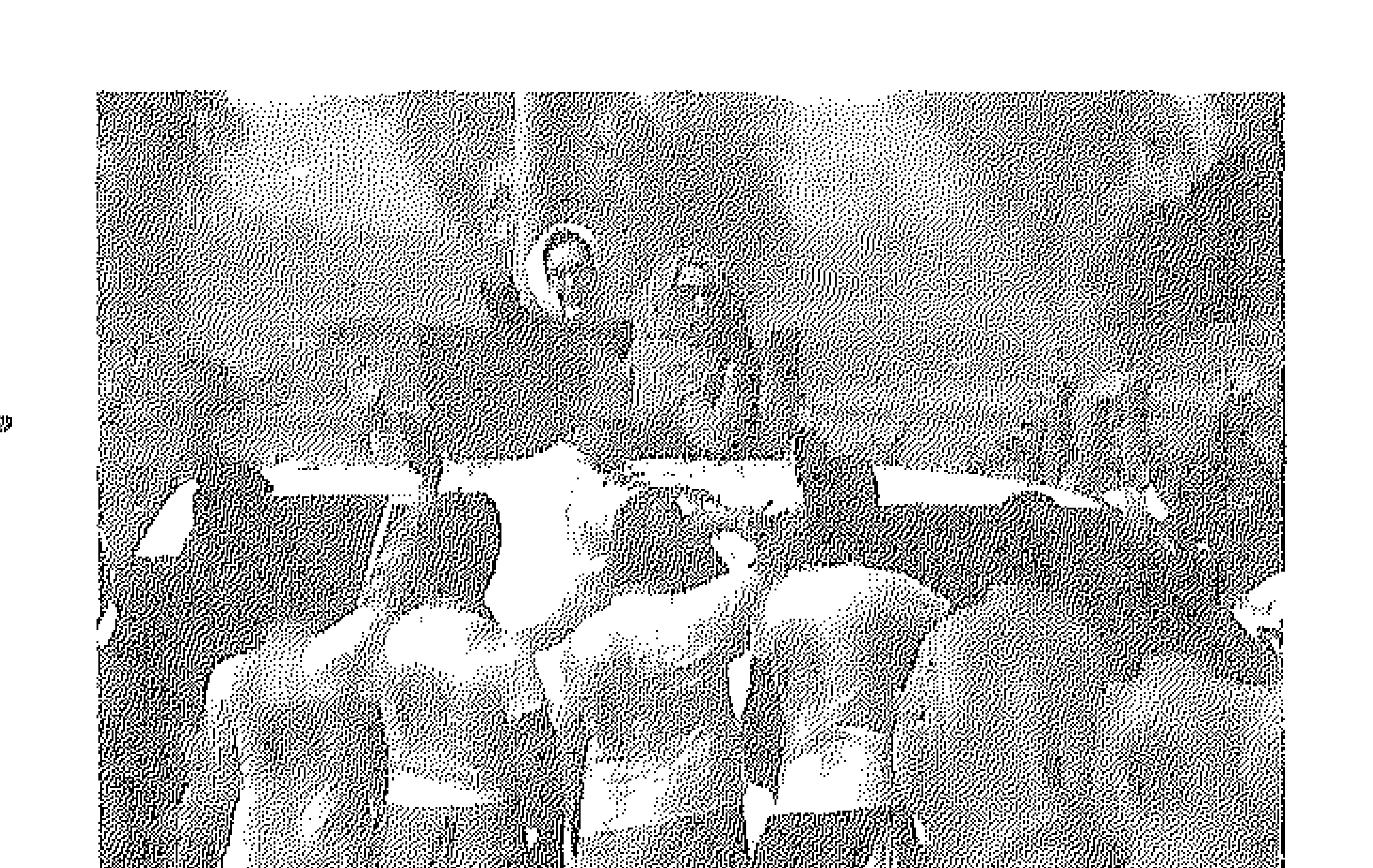




.. تتمتم بالدعاء والشكر
لله على عودتها
سالمة إلى أرض
الوطن.



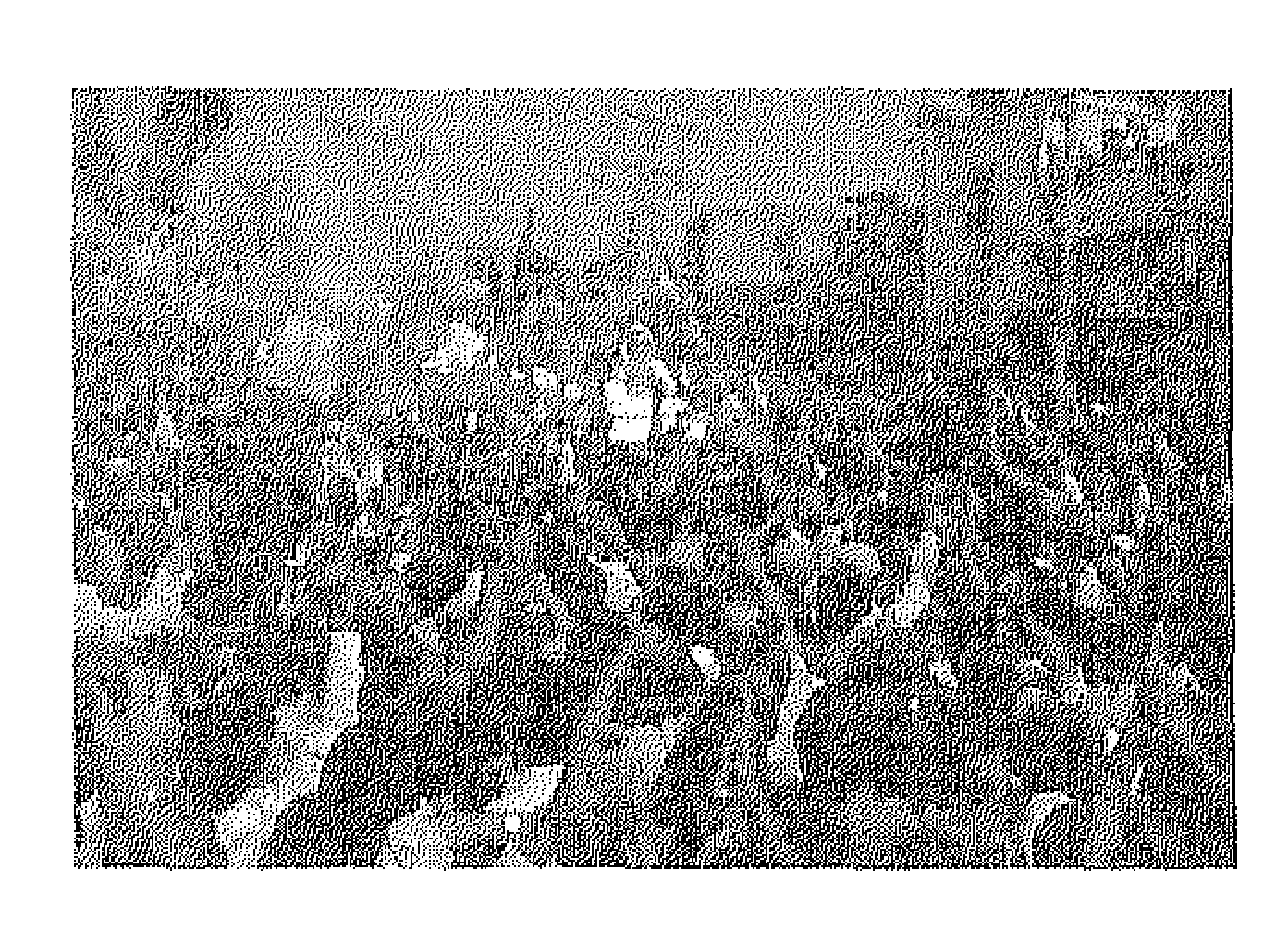
.. تبكي لحظة وصولها
إلى مطار كراتشي.



•• رغم سنين الغربة والعذاب
عادت بينظير إلى وطنها
باكستان تحمل الأمل فى تحقيق
حياة ديمقراطية ترسى فيها
مبادئ حقوق الإنسان.



•• السعادة ترتسم على وجه بينظير
يوم وصولها إلى باكستان بعد
سنين من الغياب تحيى الجماهير
التى وقفت على جانبى الطريق
لا ستقبالها.



•• الجماهير تحتضنها بكل الحب
وتلتف حولها حتى آخر لحظة!

أعلم أن أيامًا صعبة تنتظرنى

فى جريدة «لوس أنجيلوس تايمز» نشرت بينظير مقالًا بقلمها. كان ذلك قبل أشهر قليلة من اغتيالها.. وكما لو كانت تقرأ المستقبل كتبت تقول: (أعلم أن أيامًا صعبة تنتظرنى.. لكننى أضع ثقتى فى الشعب وأضع مصيرى بيد الله. أنا لست خائفة.. نعم. فنحن عند نقطة تحوُّل. لكننى أعلم أن الوقت والعدل وقوى التاريخ تقف إلى جانبنا..).

وهذا نص المقال الذى كتبته بينظير فى سبتمبر 2007 ونشرته جريدة «لوس أنجيلوس تايمز» الأمريكية:

هناك لحظات فى التاريخ تشكل نقطة تحول بالنسبة للمستقبل. الحرب الأهلية كانت لحظة من هذا النوع فى الولايات المتحدة الأمريكية، سقوط جدار برلين كان كذلك لألمانيا والاتحاد الأوروبى، اليوم لحظة الحقيقة لباكستان، القرارات التى تتخذ

الآن تقرر ما إذا كان بالإمكان احتواء التطرف والإرهاب، لإنقاذ باكستان من انهيار داخلى، الاستقرار عرضة للخطر ليس فى باكستان وحدها، بل فى العالم المتحضر أيضًا، فى باكستان ديمقراطية، كانت الحركات المتطرفة عند الحد الأدنى فى كل الانتخابات الديمقراطية، لم تكسب الأحزاب الدينية المتطرفة أكثر من 11 بالمائة من الأصوات، ولكن فى ظل حكم دكتاتورى هو الأبرز خلال فترة رئاسة الجنرال ضياء الحق فى الثمانينيات، ولسوء الحظ خلال حكم الجنرال برويز أيضًا حقق التطرف الدينى موطئ قدم فى وطنى.

وسواء استغل زعماء مثل ضياء الحق الدين لأهدافهم السياسية الخاصة أو تسببت الدكتاتوريات بالحرمان واليأس، تبقى الحقيقة أن التطرف تهديد لبلدى والمنطقة والعالم، خلال فترتى ولايتى كرئيسة وزراء فرضت حكومتى حكم القانون على جميع مناطق باكستان، ومن ضمنها وزير ستان وبدعم من سكان تلك المناطق القبلية تمكنًا من اجتثاث كارتل مخدرات دولى كان يدير عمله بحصانة تحت حكم دكتاتورى.

اليوم، أخذ بارونات المخدرات شكل متطرفين وإرهابيين متدينين، وحكومة باكستان الحالية تخلت عن مناطق واسعة من البلاد لقوات طالبان والقاعدة، مدعية أنها مناطق تصعب السيطرة عليها، غير أن أية حكومة ديمقراطية تستطيع استعادة السلطة فى

تلك المناطق، علينا أن نكون واقعيين حيال تاريخ باكستان وواقعها السياسى، فى عالم منضبط، ربما لا يمكن للجيش لعب دور فى الشئون السياسية، لكن باكستان مازالت أقل من منضبطة فى هذا الجانب، قوات الأمن عملت بصورة أساسية كمؤسسة سياسية فى البلاد تحكم إما مباشرة بواسطة الجنرالات وإما بطريقة غير مباشرة عن طريق التلاعب بالحكومات الديمقراطية.

أعرف أن بعض الأشخاص فوجئوا؛ لأننى أتفاوض حول التحول إلى الديمقراطية وأتحدث عن مستقبل باكستان مع مشرف، لا يمكن أن يكون هناك تنازل بشأن الدكتاتورية، البرلمان يجب أن يكون صاحب السيادة؛ ولهذا السبب أوضحت لمشرف أن حزبى - حزب الشعب الباكستانى - يدعم الدستور الذى يقضى بأن يكون الرئيس مدنيًا منتخبًا بصورة شرعية من البرلمان والجمعيات فى الأقاليم، بعد مفاوضات كثيرة أعلنت أن مشرف قرر الاستقالة من منصبه كقائد للجيش.

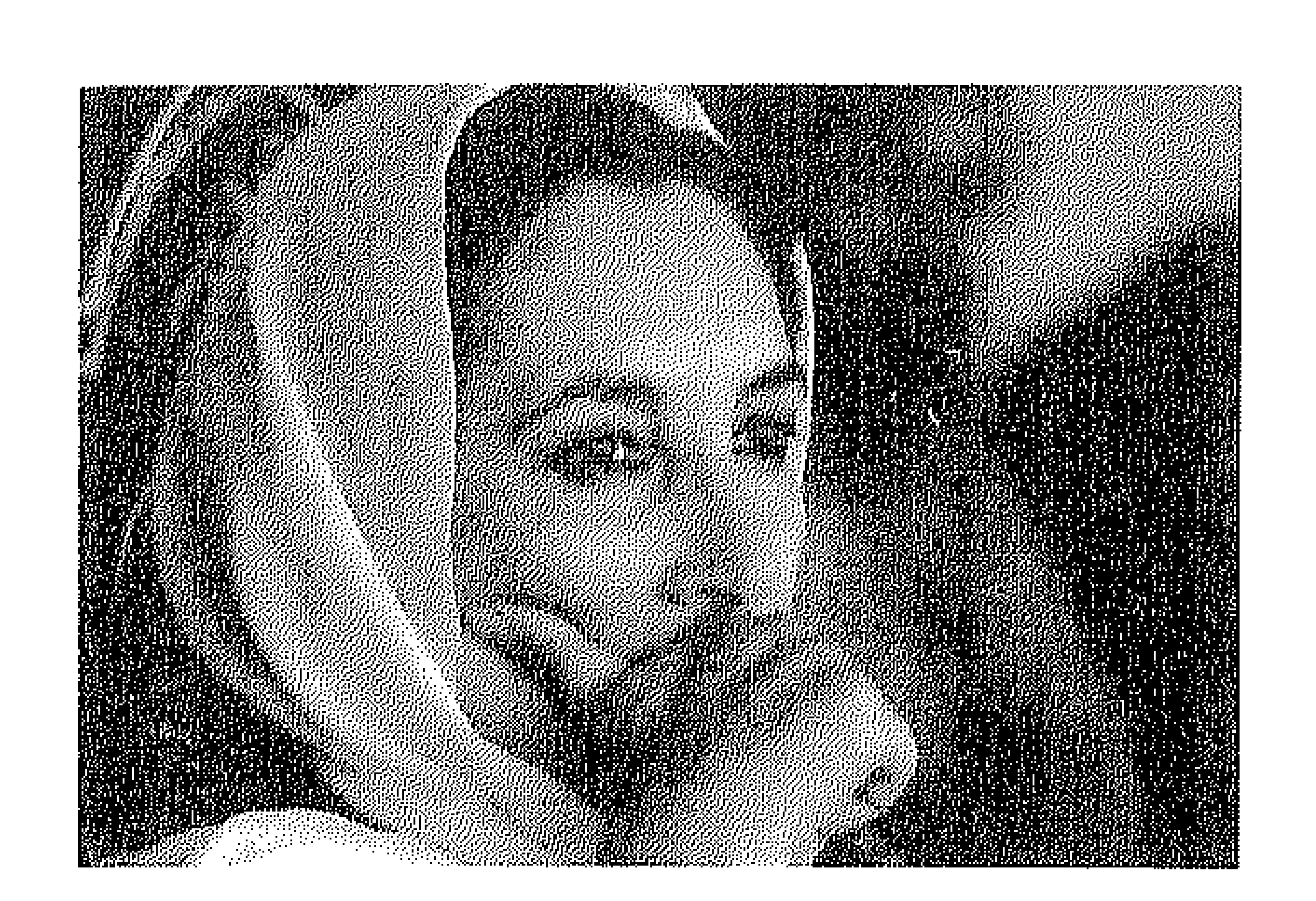
لكن ذلك ليس القضية الوحيدة، يجب إلغاء الحظر على تولى المناصب المفروضة على رؤساء وزراء انتخبوا مرتين، مثلى، فذلك ليس جزءًا من دستور باكستان، كما يجب منح حصانة لجميع أعضاء البرلمان والمسئولين العاملين الذين انتخبوا قبل الانقلاب العسكرى عام 1999، والذين لم يدانوا بأية جريمة فى اتهامات وجهت إليهم من منطلق سياسى، ويجب السماح لجميع الأحزاب

وقادتها بالمشاركة فى الانتخابات بحرية، ويجب تفويض حكومة تصريف أعمال محايدة بالاضطلاع بمسئولياتها فى البلاد قبل الانتخابات المقبلة، ويتعين تشكيل لجنة مستقلة للانتخابات بمشاركة جميع الأحزاب السياسية، كشوف الانتخابات يجب أن تكون خالية من أى تلاعب سياسى، عمليات الاقتراع يجب أن تكون شفافة، وتعداد الأصوات يجب أن يكون بعيداً عن أى تدخل سياسى، والعملية بكاملها يجب أن تكون تحت إشراف مراقبين دوليين لضمان قدسيتها وصحتها.

لكن انتخابات حرة ومباشرة ليست كافية لحل المشكلة فى باكستان، يجب أن يكون لدينا حكم حر وعادل وفعال، وهذا يتطلب حشد كل القوى المسئولة والمعتدلة فى البلاد لتعمل من أجل الهدف ذاته.

مشرف يواصل التمتُّع بدعم المجتمع الدولى والقوات المسلحة فى باكستان، لكن هذا الدعم ليس بديلًا لإرادة الشعب الذى تحرر الآن من السلطة والوهم. ازدياد الفقر والبطالة يظهر بوضوح أنه فى غياب الديمقراطية يصبح من غير الممكن تلبية احتياجات الشعب، وأعتقد أنه ما لم تعد السلطة إلى الشعب من خلال صناديق الاقتراع، فإن المتطرفين سوف يواصلون استغلال هذا الأمر لمصلحتهم، أعتقد أن الديمقراطية والاعتدال يسيران معاً.

يجادل البعض بأنه من خلال اتفاقيات وقف إطلاق النار ومعاهدات السلام يمكن دمج المتطرفين فى التيار السائد وجعلهم معتدلين، لكن التجربة فى باكستان أثبتت العكس، كل اتفاق من هذا النوع عمل على تشجيع المسلحين والإرهابيين، أوضح مثال على ذلك ما حصل خلال حصار الجيش للمسجد الأحمر فى إسلام آباد، الذين تحصنوا فى المسجد حاولوا فرض قوانينهم فوق قوانين باكستان. ستة أشهر من المفاوضات معهم فشلت، تلت ذلك نتيجة دموية عندما حاول الجيش السيطرة على التمرد. حادثة المسجد الأحمر أكدت أنه من غير الممكن عقد صفقات مع المتعصبين دينيًّا، باكستان على مفترق طرق. نجاحنا يمكن أن يكون إشارة إلى مليار مسلم فى أنحاء العالم بأن الإسلام متسق مع الديمقراطية والحداثة والاعتدال. أعود إلى باكستان، وأنا أعلم أن أيامًا صعبة تنتظرنى. لكننى أضع ثقتى فى الشعب. أضع مصيرى بيد الله. أنا لست خائفة. نعم، نحن عند نقطة تحول ولكننى أعلم أن الوقت والعدل وقوى التاريخ تقف إلى جانبنا.



•• هل كانت بينظير
تتوقع تلك النهاية
المأساوية
لحياتها . .
فيم كانت تغوص
بتفكيرها فى تلك
اللحظة؟



•• رغم الإجهاد الذى
يبدو على وجهها . .
ظلت تتمسك بالحلم
وبإصرار حتى
النهاية!

الفصل الأخير

نزل الصمت ثقيلًا بعد هدير أصوات التفجيرات الرهيب ، وكأن الزمن قد توقف فجأة.

الكل فى حالة ذهول لا يفتش فى أجزاء جسده بحثًا عن الجزء المصاب أو المبتور، لكنه يبحث عن شيءٍ آخر.. أمل غامض يداهمه.

المئات من أنصار بوتو كانوا فى ذلك اليوم المشهود من شهر ديسمبر 2007 يهلِّلون، ويرفعون أصواتهم بالتشجيع والتأييد والتحية، ويتلقون من بوتو إيماءات السعادة، وعلامة النصر، وابتسامات الثقة.. لم يكونوا يدركون أن يومًا من أيام الحماسة والفرح سيتحول فى لحظة إلى أكبر كابوس يمكن تخيله.

رفع الجميع رءوسهم رغم الجروح التى شقت أجسادهم.. والدماء التى أغرقت وجوههم. حاولت عيونهم أن تخترق المشهد

الرهيب الذى كانوا هم جزءًا منه ليبحثوا عنها.. فالألم الشخصى يهون إذا كان الله قد منَّ عليهم بنعمته وأنقذ حبيبة الملايين وأمل الكثيرين: بينظير.

لحظات توقف عندها الزمن فى ذاكرة كلٍّ من عاشها، فبعد الهجوم الدموى على موكب بينظير بوتو فى السابع والعشرين من ديسمبر 2007 وبعد لقائها مع أنصارها بروالبندى فى إطار حملتها الانتخابية، ساد كثير من الترقب فى أوساط المتابعين لما حدث داخل باكستان وخارجها.. الكلُّ يريد أن يعرف ما مصير بوتو.

فى تلك اللحظة ساد الصمت لوهلة.. الكلُّ يمنى نفسه بأن رحمة الله الواسعة قد أنقذتها فى هذه المرة مثلما حدث فى المرة السابقة رغم هول المفاجأة التى كانت تصيب الكثيرين منهم وهم يقلبون الجثث التى تحيط بهم من كل جانب، فقد ظل الجميع يبحث عن وجه واحد ويدعو بينه وبين نفسه أن يراه مبتسمًا شامخًا كما اعتاد أن يراه دائمًا.. إنه الوجه الذى كان قبل دقائق يبتسم.. ترفع صاحبته كفها الصغيرة كما اعتادت لتحيى الجماهير.. كل من اصطف لتحيتها لم يكن يدرى أنها التحية الأخيرة.. والابتسامة الأخيرة.. ولم يكن يدرى أنه ما كان ينثر الزهور فرحًا لموكبها.. لكنه ينثرها فى موكب الوداع.

وبينما كانت تهرع سيارات الإسعاف والشرطة والذين نجوا من هذا الانفجار لإنقاذ الضحايا، تضاربت الأخبار والأقوال عن

بوتو وعن العملية نفسها، فى البداية وبعد الحادث بفترة قصيرة أفادت التقارير الأمنية عن سقوط العديد من القتلى.. وبعدها ذكرت محطات التلفزيون أن بوتو نفسها قد أصيبت فقط.. وجاء فى بيان أولى أنها نقلت إلى المستشفى وحالتها لا تدعو إلى القلق.

ولكن بعد ذلك بنحو عشرين دقيقة، أفاد المراسلون بأن هناك معلومات أخرى تفيد بوفاة بينظير بوتو، بعدها بلحظات حملت محطة (جيو) التلفزيونية الباكستانية إلى العالم كله الخبر المفجع.. بوتو لفظت أنفاسها الأخيرة.

بعد دقائق من الانفجار.. بقى الجميع للحظات مصدومًا.. لا يصدق ما حدث، بعدها انفجر عدد كبير من المواطنين بالبكاء.. فيما اندفعت جموع غاضبة فى كل اتجاه فى مشهد أعاد إلى الأذهان ما حدث عند إعدام والد السيدة بوتو قبل ثلاثة عقود من السنين.. وكذلك ما حصل عند اغتيال رئيسة وزراء الهند الراحلة أنديرا غاندى قبل عقدين.

أما أخطر ما فى الأمر فهو وجود خطة منسّقة لاغتيالها، وأن الأمر تجاوز مسألة التفجير الانتحارى؛ إذ شارك فى عملية الاغتيال قنّاصون أصابوا بينظير بوتو إصابات تدل على مهارة وحنكة القائمين بالعملية فى الرقبة والرأس وأردوها قتيلة.

وسرت الأنباء أن تنظيم القاعدة هو الذى دبر عملية الاغتيال؛ حيث وجهوا إليها من قبل تهديدات بالقتل طالبين منها عدم المشاركة

فى الانتخابات التى كانت مقررة فى الثامن من يناير 2008 وإلا سيتم قتلها، لكن لم يصدر من تنظيم القاعدة أى بيان يتضمن مسئوليتهم عن الاغتيال.

وقالت قناة تلفزيونية باكستانية إن القتلة قاموا بعملية منظمة لتدبير اغتيالها، وترصدوا سيارتها وأطلقوا عليها وابلًا من النيران، وتبين فيما بعد أن رصاصة أصابت عنقها مما أدى إلى مصرعها.

من الواضح والجلى أن مدبرى عملية الاغتيال أيًّا كانوا لم يريدوا لبوتو أن تحيا ولو ليوم آخر.. أو أن تخرج بإصابات.. مدبرو العملية أرادوا لها الموت.. بنسبة 100%.. رصاصات قناصة.. تفجير انتحارى.. عملية اغتيال بينظير بوتو صوت الديمقراطية، والتى تمت أثناء مغادرتها لتجمع انتخابى بمدينة روالبندى؛ مما أشعل الغضب فى إقليم السند الذى هو مسقط رأسها.

وعبَّر رحمن مالك المسئول بالحزب عن حزنه قائلًا: «لقد استشهدت».

وتوفيت بوتو فى مستشفى بروالبندى وقالت محطة ارى - وان التلفزيونية إنها أصيبت برصاصة فى الرأس، فيما تؤكد وسائل أخرى أن الرصاصة أصابت عنقها، وتقول مصادر أخرى إنهما رصاصتان فى العنق والرأس، تتضارب البيانات عن عدد

الرصاصات وأين استقرت فى جسدها. . الرأس، أم العنق أم الاثنين معًا؟

وكما كان متوقعًا بعد الاغتيال وتنبأ به الجميع بمن فيهم قوات الشرطة الباكستانية، أثار نبأ اغتيالها ردود فعل سريعة غاضبة من أنصارها فى إقليم السند وعاصمته كراتشى؛ حيث أشعل محتجون النيران وأطلقوا النيران وألقوا الحجارة، الأمر الذى دعا مسئولًا كبيرًا بالشرطة بعد الاغتيال بوقت قصير إلى أن يعلن قائلًا: «وضعت الشرطة فى السند فى حالة تأهب قصوى. . زدنا انتشار القوات ونقوم بدوريات فى كل البلدات والمدن. . حيث توجد اضطرابات فى كل مكان تقريبًا».

وبينما ذهب بعض أنصار بوتو إلى الشارع للتعبير عن جام غضبهم، حاول العشرات من أنصارها الدخول إلى المستشفى الذى كانت ترقد فيه جثتها لوداعها، لكن قوات الشرطة منعتهم. بعدها توجه رئيس الوزراء الباكستانى السابق نواز شريف إلى المستشفى، والذى عبَّر بدوره عن حزنه العميق لاغتيال بوتو قائلًا: «لقد اتصلت بى أول من أمس وهنأتنى بعيد ميلادى، كما أرسلت لى باقة ورد. أنا أشعر الآن بأنى مضطرب وحزين للغاية. أنا لا أصدق أننى فى المستشفى الذى يرقد فيه جثمانها ولا يمكن أن أصف المشاعر التى يمر بها الشعب الباكستانى اليوم، ليس فقط لأن هذا يعد كارثة لحزبها بل كارثة لحزبى أيضًا وللأمة الباكستانية جمعاء.

أما الموقف الرسمى لحكومة باكستان فقد عبَّرت عنه وكالة الأنباء الرسمية قائلة: «إن الرئيس برويز مشرف أدان بأشد العبارات الممكنة الهجوم الإرهابى الذى نتجت عنه وفاة بوتو المأساوية وأبرياء باكستانيين كثيرين آخرين، وحث الشعب على التزام الهدوء فى مواجهة هذه المأساة والفاجعة بعزم متجدد على مواصلة الحرب ضد الإرهاب».

ولكن هل فعلًا نجح فى هذه الحرب، أم أن الطريق أصبح سهلًا أمام هذه الجماعات بعد اغتيال بوتو أحد رموز الليبرالية والديمقراطية فى باكستان؟

يثير الاغتيال الذى وقع قبل 13 يومًا من الانتخابات التى كانت بوتو تأمل الفوز بها تساؤلات كثيرة حول باكستان حليفة الغرب التى تكافح بالفعل لاحتواء أعمال عنف متشددين إسلاميين.

أما التقارير الأمنية التى بدأت تصدر واحدًا تلو الآخر فقالت الشرطة إن مهاجمًا انتحاريًا أطلق الرصاص على بوتو بينما كانت تغادر موقع التجمع فى ساحة قبل أن يفجر نفسه.

وقال أحد ضباط الشرطة ممن كانوا فى الموقع: «أطلق الرجل النار أولًا على سيارة بوتو.. انحنت.. وعندئذ فجر نفسه».

وقيل إن 16 شخصًا قتلوا فى الانفجار الذى اغتيلت فيه بوتو.. وأصيبت شيرى رحمن المتحدثة باسم حزب الشعب الباكستانى فى الهجوم.

أما فرزانا راجا المسئول الكبير بحزب الشعب الباكستانى فقال فى إحدى المحطات التلفزيونية والدموع تكاد تغلبه: «إن هذا التفجير من عمل من يريدون تفكيك وقتل باكستان لا بينظير بوتو.. لقد كانت رمزًا للوحدة.. لقد قضوا على عائلة بوتو.. إنهم أعداء باكستان».

وكان ذوالفقار على بوتو والد بينظير أول رئيس للوزراء ينتخب من قبل الشعب فى باكستان.. والذى أعدم فى روالبندى عام 1979 بعدما أطيح به فى انقلاب عسكرى بقيادة الجنرال ضياء الحق لتكتب النهاية نفسها لابنته الكبرى بينظير فى المدينة نفسها.. روالبندى.. هذه النهايات الواحدة المتشابهة.. تحت عنوان الموت فى روالبندى.. وإن اختلفت التفاصيل والمقدرات.. كأنها لعنة تطارد عائلة بوتو، ليستمر نهر الدماء الباكستانية ودماء عائلة بوتو واحدًا تلو الآخر. قصة غريبة رواها أحد المقربين لها، تحكى أن بوتو ذهبت إلى إحدى العرافات فى العاصمة البريطانية لندن قبيل عودتها إلى باكستان فى أكتوبر 2007 لتستطلع لها نجمها وتسألها فى أمر عودتها إلى باكستان.. فهل كانت تريد أن تعرف ماذا يخبئ لها القدر.. حتى تتجنب مفاجآته أو صدماته التى حملها لها القدر طوال حياتها؟ أم أنها كانت تريد أن تتأكد أن هذه المرة تختلف عن كل ما فات من سنوات عمرها؟! لكن كان رد العرافة متشائمًا؛ إذ أخبرتها أنها تتجه إلى طريق مكلّل بالخطر، فزاد الأمر بينظير تحدّيًا؛ لأنها امرأة تعرف طريقها إلى القدر.. وتمضى إليه على الرغم من كل

التحذيرات. وطلبت من ذويها البقاء فى بريطانيا بمن فيهم زوجها وابنة أخيها فاطمة مرتضى بوتو التى تشبهها العائلة بها. وفعلاً كان الخطر والموت يتبعها في كل مكان بعد عودتها إلى بلادها ومنذ لمست قدماها أرض مطار بلادها، حيث نجت من انفجارين استهدفا موكبها فى مدينة كراتشى أكبر مدن باكستان مخلفين موتى ومصابين ممن كانوا يشاركون فى الاحتفالات بعودة بينظير بعد ثمانية أعوام قضتها فى المنفى بين دبى ولندن ممهدة بتحدٍ واضح لجلب الليبرالية التى توجت زعيمة لها فى باكستان، بمقالات فى الصحف البريطانية والأمريكية أثناء فترة منفاها حول الحلول الأمثل لوضع باكستان على الطريق الصحيح مُصِرَّةً على تطهير البلاد إذا ما تم انتخابها رئيسة لوزراء باكستان من تنظيم القاعدة وقوى الإسلام المتطرف.

الأمر الذى دفع قوى الإسلام المتطرف المتمثل فى تنظيم القاعدة وذيوله فى باكستان إلى الخوف على مكانته والتربص بالزعيمة الليبرالية، وشجعهم على هذا الموقف النظام العسكرى المرتعش من عودة بوتو.

وقال السيناتور فرات الله بابار المتحدث باسم حزب الشعب الباكستانى والذى كان شاهد عيان على عملية الاغتيال: إن بوتو سقطت على أرض السيارة المكشوفة التى كانت تستقلها لتحيى أنصارها، ولفظت أنفاسها الأخيرة لدى وصولها إلى المستشفى

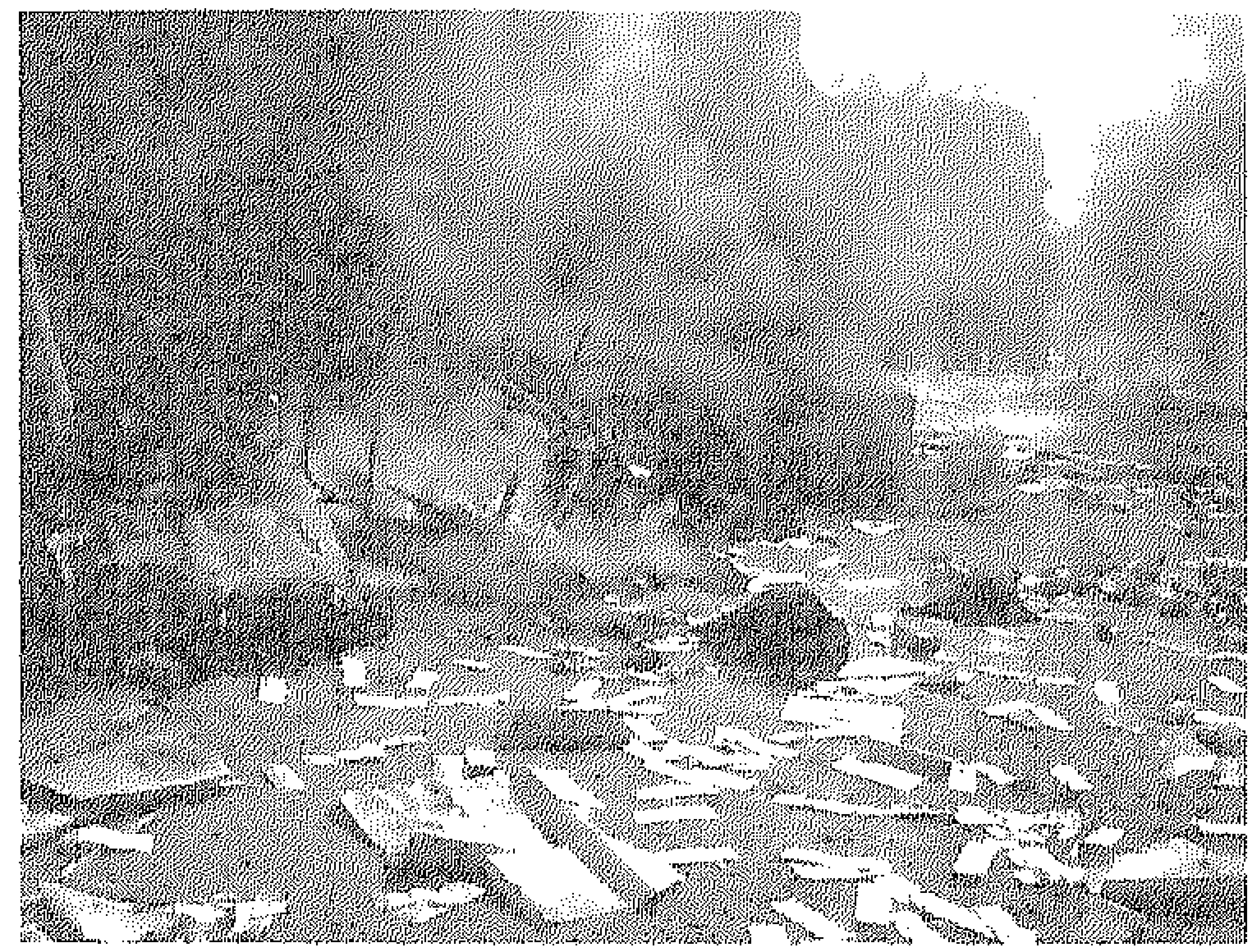
الذى نُقلت إليه فى محاولة لإنقاذها، ويقع على بعد خمسة كيلو مترات من موقع الانفجار.

وليلًا تم نقل جثمان بوتو من المستشفى استعدادًا لنقله فى وقت لاحق على متن طائرة عسكرية إلى مسقط رأسها فى مدينة لاركانا بإقليم السند حيث ووريت الثرى ورافق الجثمان زوجها عاصف زاردارى وأولادها الثلاثة عقب وصولهم فى الليلة السابقة لدفنها من دبى للمشاركة فى تشييع جثمان زعيمة حزب الشعب المعارض وقبل هذا الزوجة والأم: بينظير.

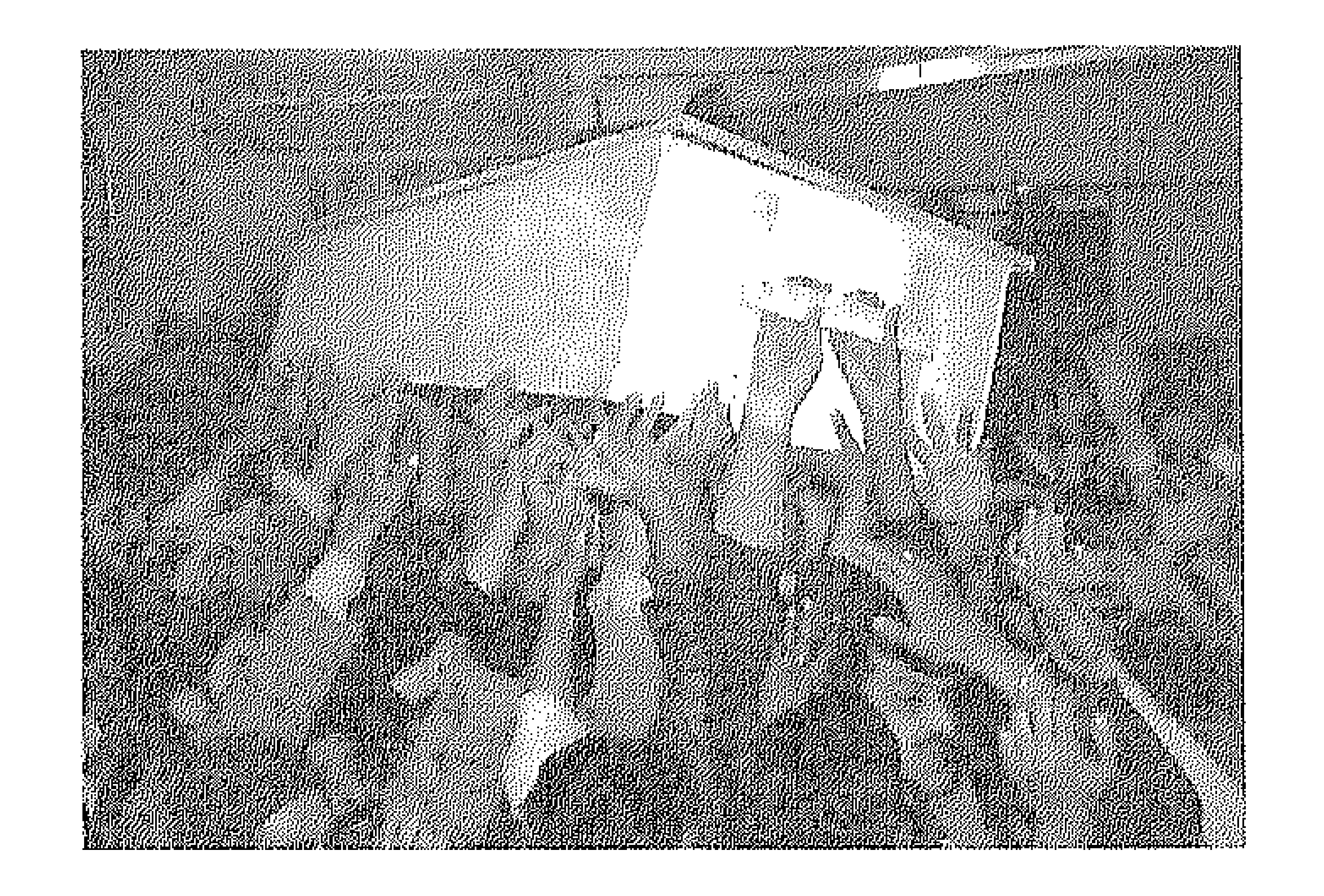
ويبقى القاتل غامضًا.. فأصابع الاتهام تشير إلى القاعدة أو طالبان.. لكن لم يصدر بيان من أى منهما يوضح مسئوليته عن عملية الاغتيال التى لو كان أحدهما هو المدبر لها لكان البيان محضَّرًا ومنسَّقًا مسبقًا.. ليتم توزيعه على القنوات الفضائية بعد دقائق من اغتيالها.. أما أنصارها ومحبوها فبرويز مشرف هو الجانى فى أعينهم؛ لأنه إن لم يكن قد تورط فعلًا فى مقتلها، فهو مُتهم بأنه لم يوفر لها الحراسة الأمنية الكافية للحفاظ على حياتها كما سبق أن وعد.



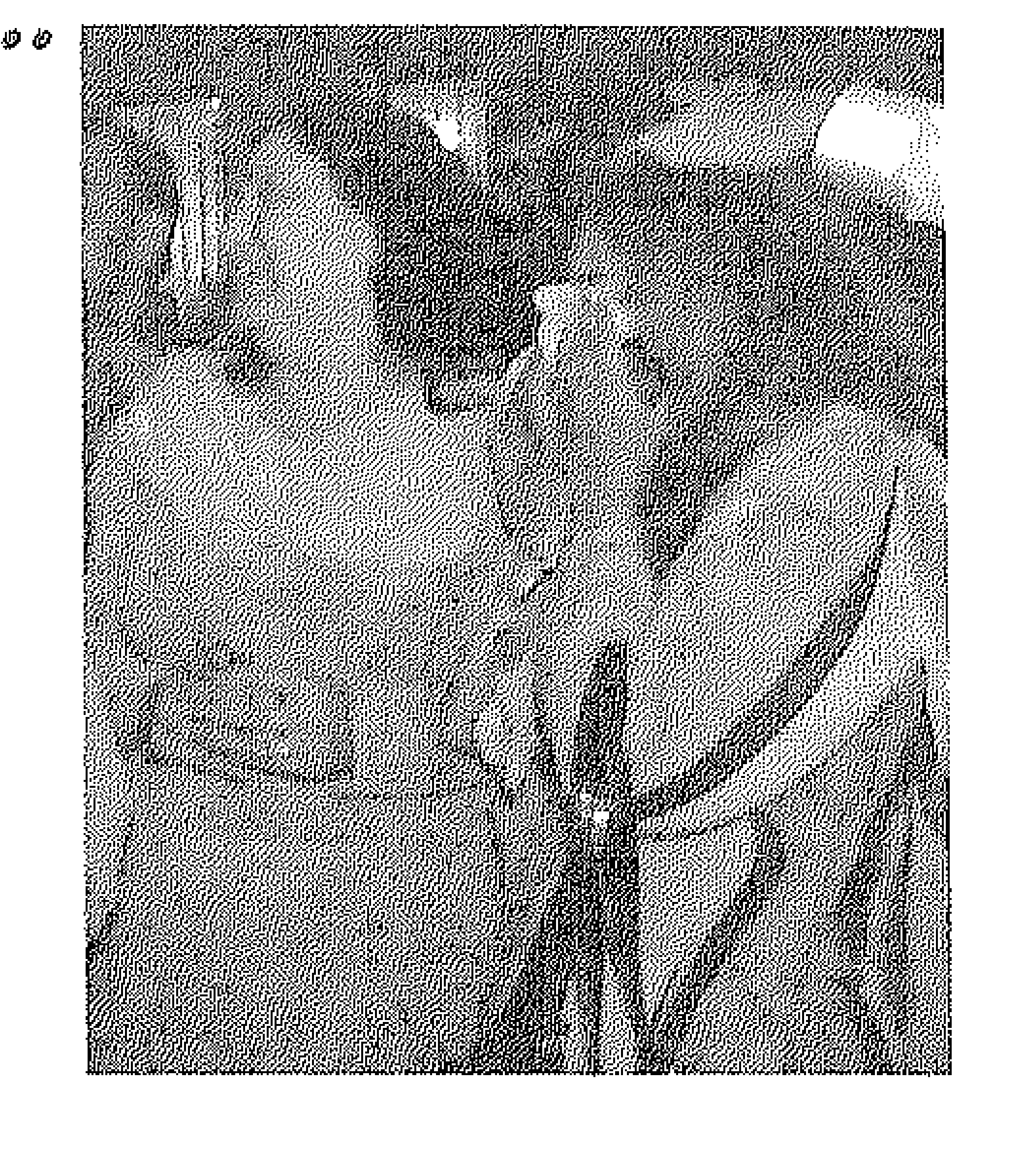
.. قبل دقائق
من اغتيال
الأسطورة.



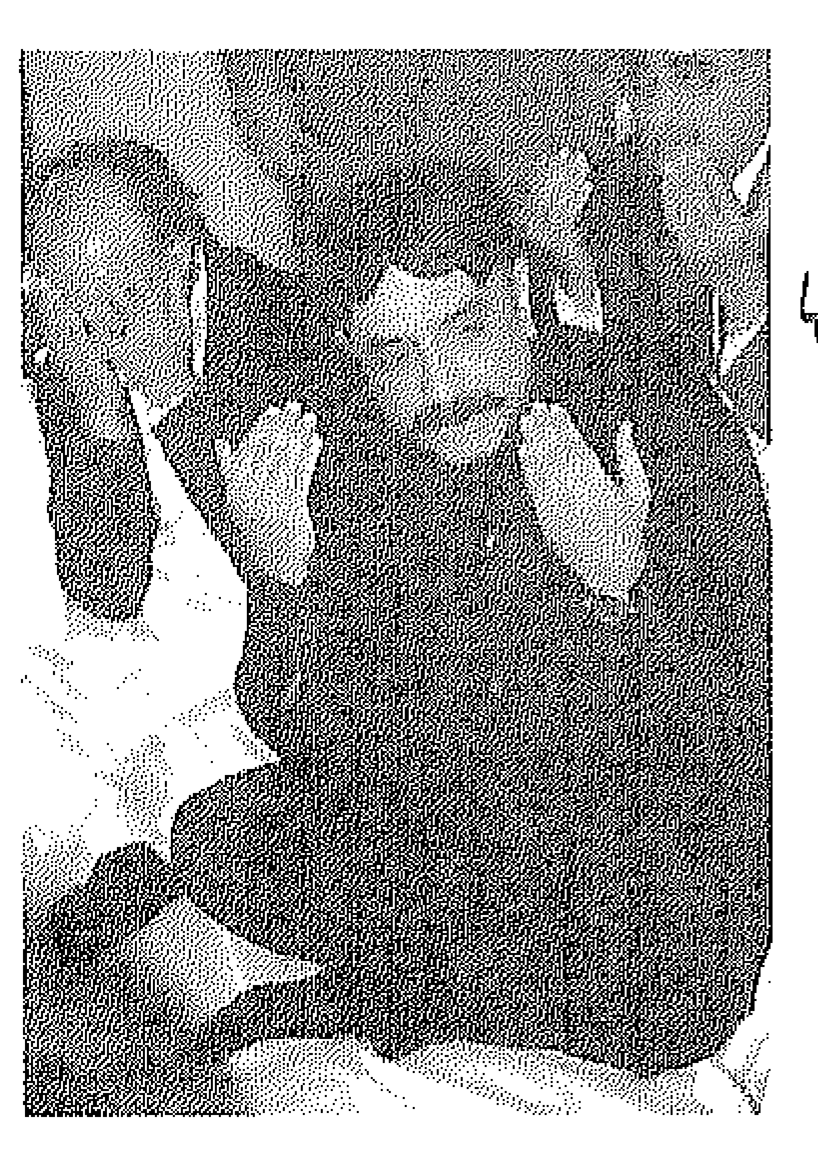
.. من حلم السلطة
إلى كابوس
الاغتيال!

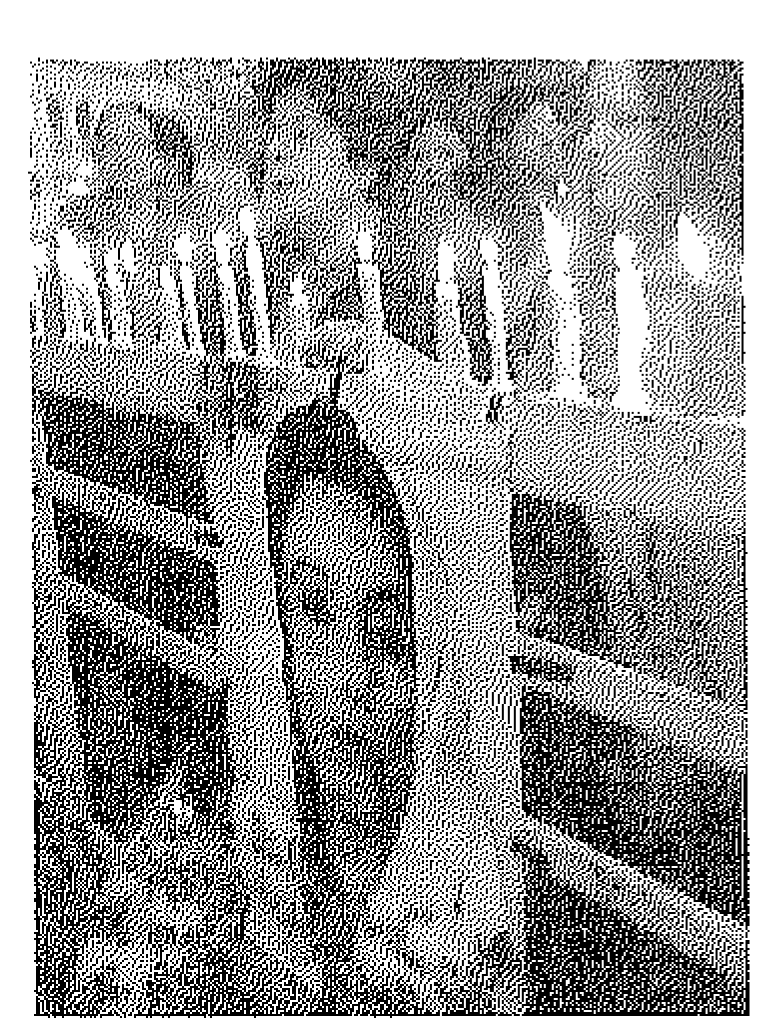


•• حمل نعشها الذين
أحبوها . . واحترموها
ورأوا فيها الأمل لتحقيق
ديمقراطية حقيقية .

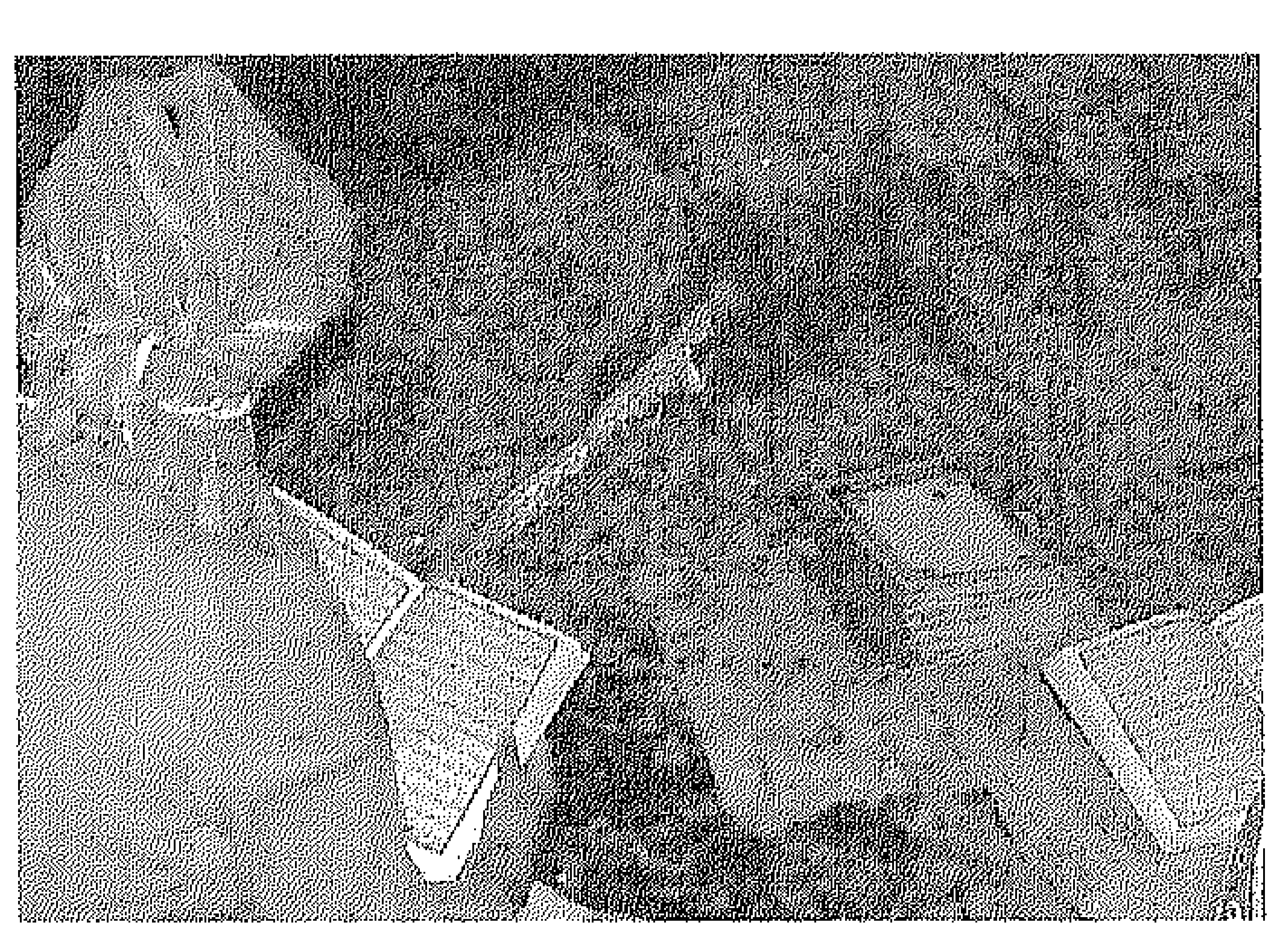


•• أنصار حزب
الشعب بكوها . .
وأحبوها ، وزوجها
عاصف زاردارى
يقرأ القرآن على
روح زوجته
الشهيدة .





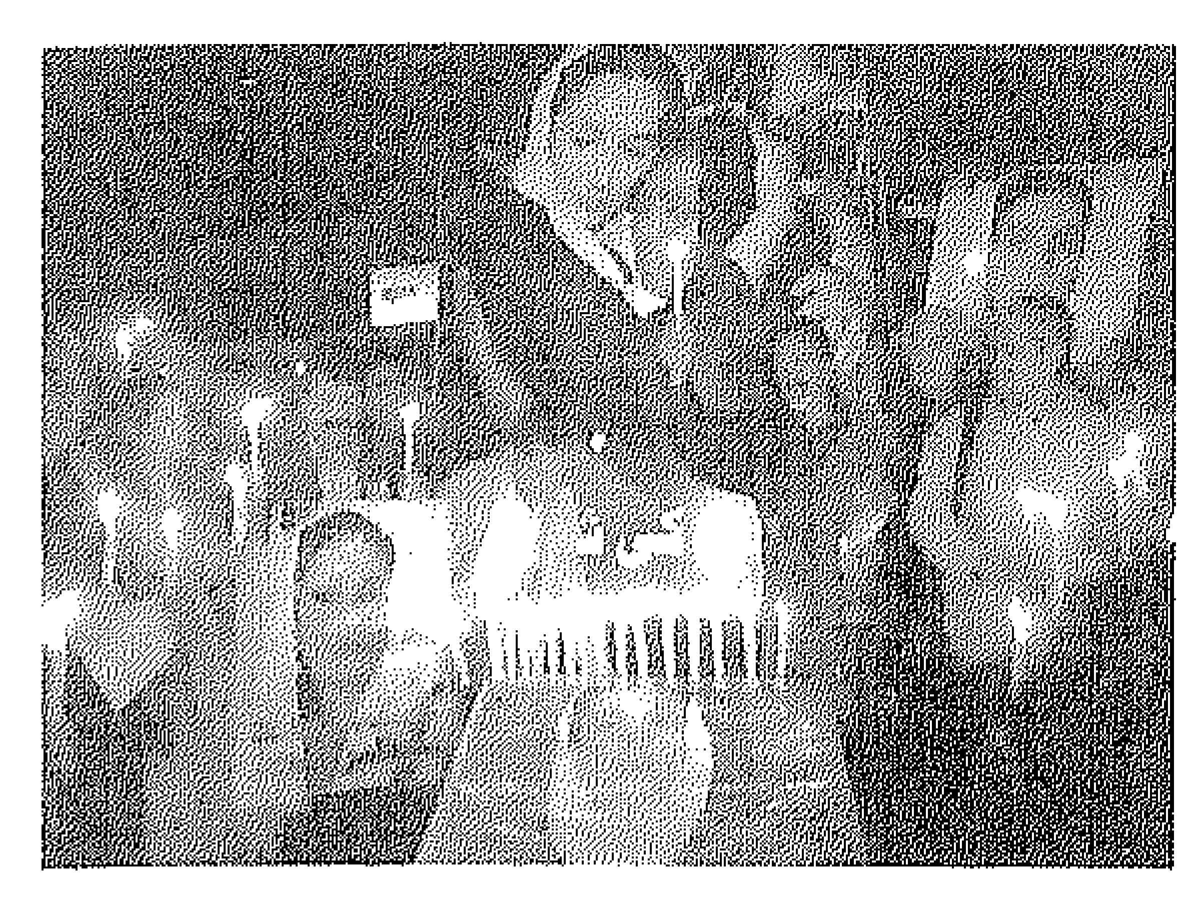
•• شموع الأمل على قبر الشهيدة .





•• أحباؤها يقرأون القرآن على قبرها .





.. دموع الشعب الباكستانى وآلاف الشموع حول صورتها فى وداعها الأخير.



.. وداعـــاً . . . . . !

مــن قتــل بيـنظيــر؟

من المستفيد؟

إنه السؤال الأشهر فى مثل هذه الأحداث الجسام.. والاغتيالات التى يهتز لها وجدان العالم.. ومنها اغتيال بينظير بوتو.

انحصرت الاتهامات والاستنتاجات والتحليلات فى أربعة اتجاهات فى البداية، وبعد الاغتيال مباشرة، ثم ما لبثت أن رجحت كفة اثنين منهما على حساب الاثنين الآخرين. ورغم الاجتهادات الأوليّة، لا تزال الأسرار تكشف لنا فى كلٍّ يوم عن بُعدٍ جديد كنا نظنه بعيدًا.

الاحتمالات الأربعة أو المستفيدون الأربعة الذين أشار إليهم المحللون السياسيون كانوا:

أولًا: الرئيس الحالى برويز مشرف.

ثانيًا: تنظيم القاعدة.

ثالثًا: جماعة طالبان.

رابعًا: الإدارة الأمريكية (الحليف اللدود لبوتو).

الاحتمال الأول: وهو تدبير الرئيس مشرف لقتل منافسته الأولى صاحبة الشعبية الكاسحة، وهذا الرأى تميل إليه معظم التحليلات، وأميل إليه أنا شخصيًّا. فهذا الرجل الذى أبدى استعداده لتنفيذ ما أمرت به الإدارة الأمريكية، فأصدر قرارًا بالعفو العام، عادت بمقتضاه بينظير من المنفى الاختيارى الذى قضت خلاله 11 سنة بين لندن ودبى. هذا الرجل لم يحتمل تلك المنافسة القوية، ولم يستطع كبح جماح الغيرة والغيظ داخله، خصوصًا وهو يجبر على خلع بذلته العسكرية بناء على مطالبة زعيمة حزب الشعب وإصرارها على تنفيذ ذلك.

فقد طالبت بينظير، مشرف بالتخلى عن قيادة أركان الجيش الباكستانى على أن يكتفى بمنصبه رئيسًا لباكستان.

ولم يجد مشرف مخرجًا للتملص من هذا المطلب الجماهيرى بعدما اندلعت المواجهات، واشتعلت المظاهرات والاضطرابات والعنف فى شوارع باكستان.

خلع مشرف بذلته العسكرية، وخلع معها أى شعور بالتعاطف تجاه هذه المرأة الحديدية التى نجحت فى أن تنتزع عنه أعز ما

يملك.. منصبه العسكرى.. الذى يعنى بالنسبة له رمز الرجولة والشموخ وراية القيادة.

برويز مشرف كان من المفترض أن يضع يده فى يد بينظير بناء على اتفاق المصالحة الذى تم برعاية الولايات المتحدة الأمريكية والذى تحصل بمقتضاه بينظير على عفو عام وإسقاط جميع تهم الفساد المتهمة فيها هى وزوجها عاصف زاردارى وأن يتم تعديل الدستور بما يسمح لها بأن تحصل على الحق فى فترة ثالثة كرئيسة للوزراء على أن تتعاون مع مشرف، وتتقاسم معه السلطة ليصبح هو رئيسًا للبلاد لفترة خمس سنوات مقبلة وتتولى هى منصب رئيسة الوزراء.

لم يكن مشرف وهو يقبل تلك الصفقة الأمريكية يتوقع أن عودة بينظير إلى وطنها ستقابل بكل هذه الحفاوة من قبل الجماهير الغفيرة من الشعب الباكستانى، ولم يكن يتصور أن شعبية عائلة بوتو لم تهتز بعد مرور كل هذه السنوات، ورغم كل الاتهامات بالفساد والرشوة التى وجهت إليها.

لقد نصحته الولايات المتحدة الأمريكية بأن يسمح لبينظير بالعودة حتى يضمن حليفًا أمريكيًّا يحظى بشعبية واسعة بين المواطنين. لكن الغيرة الإنسانية جعلته يبطن غير ما يظهر، ويصرح بعكس ما يخفى.. وشعرت بينظير بذلك. وقالت فى أكثر من موقف إن مشرف سيكون هو المسئول عن أى أذى يلحق بى لأنه لم يوفر لى الحماية اللازمة.

أما الاحتمال الثانى: الذى يشير إلى تنظيم القاعدة. فقد رجحت تداعيات ما بعد الاغتيال أنه احتمال بعيد، لأن القاعدة التى حاول مشرف والولايات المتحدة الأمريكية أن يلبساها هذه الجريمة لا تتخفى، ولا تنكر أبدًا العمليات التى تقوم بها، بل تسارع بإعلان مسئوليتها، وتذيع ذلك على القناة الفضائية الشهيرة.. التى تنفرد دائمًا بالتسجيلات الصوتية والتليفزيونية التى تعلن تفاصيل العمليات الكبرى التى ينفذها تنظيم القاعدة.. قناة الجزيرة الفضائية.

ويرجح أنصار هذا الاحتمال رأيهم بناءً على ما توفر لديهم من معلومات حول علاقة بينظير بوتو بأسامة بن لادن التى لم تكن على ما يرام، إذ إن ميل بوتو إلى التعاون مع الولايات المتحدة الأمريكية جعل منها هدفًا لزعيم تنظيم القاعدة، وهو التنظيم الذى استحوذ على نصيب الأسد من أصابع الاتهام بعد اغتيال بينظير.

وكانت بوتو قد اتهمت بن لادن من قبل بالعمل على تصدير الثورة إلى باكستان من خلال حلفائه من المتطرفين لمحاولة اغتيالها مرتين وقلب نظام الحكم أثناء وجودها فى السلطة ثلاث مرات، أما ما أثار غيظ بن لادن أكثر أنها قالت هذه التصريحات أثناء وجودها فى الولايات المتحدة الأمريكية العدو الأكبر له ولتنظيمه.

وكانت المرة الأولى التى تسمع فيها بوتو عن بن لادن كما تقول فى عام 1989 أثناء فترة ولايتها الأولى، عندما ضبطت سلطات مطار إسلام آباد شحنة مانجو قادمة من السعودية بداخلها عشرة

ملايين دولار، بعد الشك فى محتويات الشحنة لأن المانجو لا يأتى عادة من السعودية، وعرفت بوتو فيما بعد أن هذا المبلغ لم يكن سوى رشوة من بن لادن لبعض أعدائها فى البرلمان وفى الجيش للإطاحة بها.

كما قالت إن أحد مساعدى بن لادن ويدعى رمزى يوسف حاول اغتيالها مرتين فى عام 1993، حيث حاول فى المرة الأولى وضع قنبلة خارج منزلها إلا أنها نجت بأعجوبة، كما حاول اغتيالها ثانية بالاستعانة بقناص.

والثابت أن رمزى يوسف كان قد اتهم فيما بعد وأدين فى الهجوم بالمتفجرات على المركز التجارى العالمى عام 1993، ثم سلمته حكومة بوتو إلى الولايات المتحدة الأمريكية فى أعقاب ذلك لمحاكمته.

وفى عام 2001 اتهمت بينظير بن لادن بنسف مقر السفارة المصرية فى إسلام آباد، كما اتهمت أنصاره بإحراق مبنى البرلمان وخطف أوتوبيس ممتلئ بطلبة المدارس، وأشارت وقتها إلى أن هذا الهجوم تم ردًا على قيام حكومتها أثناء وجودها فى الحكم بإغلاق مراكز تدريب لأتباع بن لادن فى مدينة بيشاور الباكستانية على الحدود مع أفغانستان، وشن حملة اعتقالات ضد المتطرفين المنتمين إلى تنظيم القاعدة وتسليم بعض الإرهابيين المطلوبين للعدالة فى بلاد أخرى.

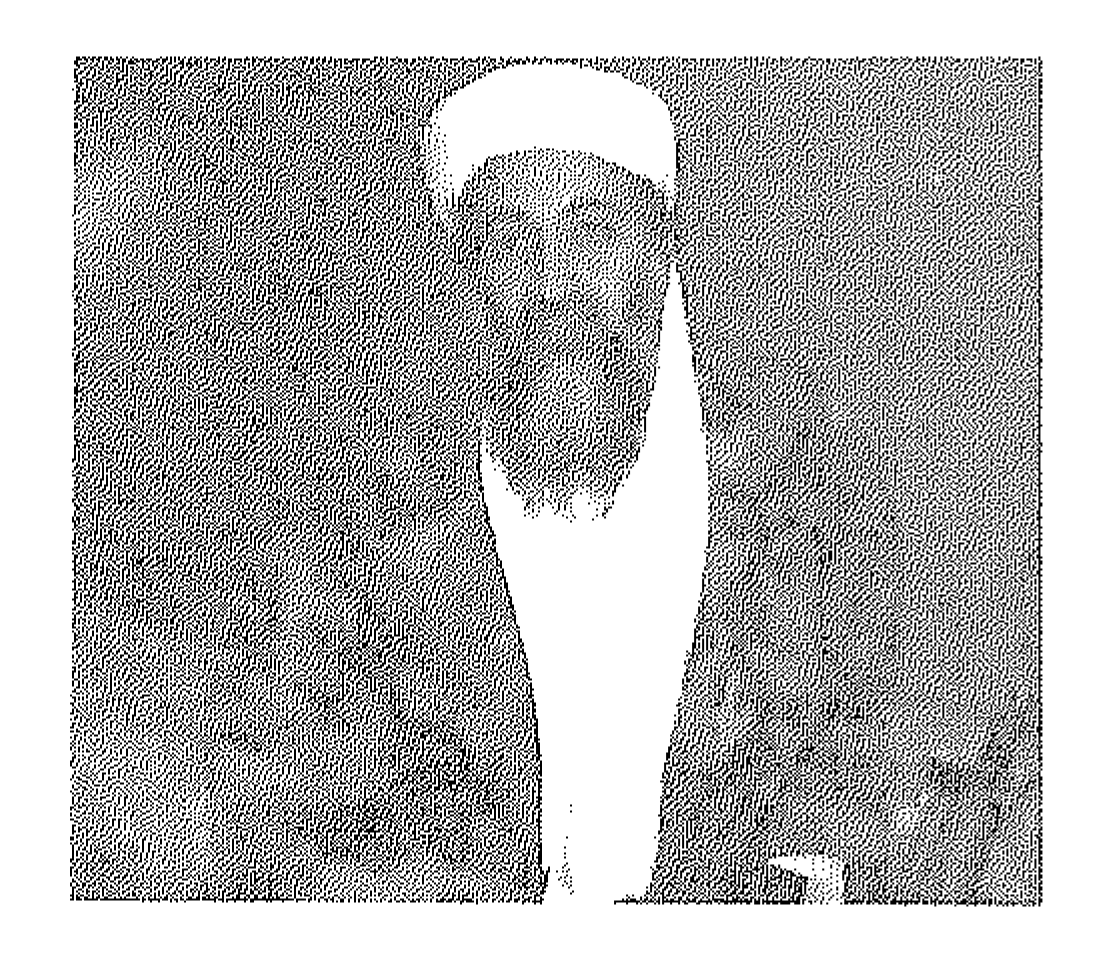
وبعد محاولة الاغتيال التى تعرضت لها بينظير فى أكتوبر 2007 بأسبوع قالت إنها تلقت تهديدًا بالقتل من شخص وصف نفسه بأنه صديق بن لادن فى رسالة قال فيها: إن بوتو من المحتمل أن تطعن أو تهاجم فى سيارتها أو حتى فى غرفة نومها.

الاحتمال الثالث: جماعة طالبان.. والجماعات الإسلامية المتطرفة فى باكستان، وهو احتمال قائم لأن بينظير كانت تعلن برنامجها العلمانى الذى يفصل السياسة عن الدين، وتؤكد عزمها إغلاق المدارس الدينية التى تكرس وتغرس قيم الإرهاب فى عقول الصغار.

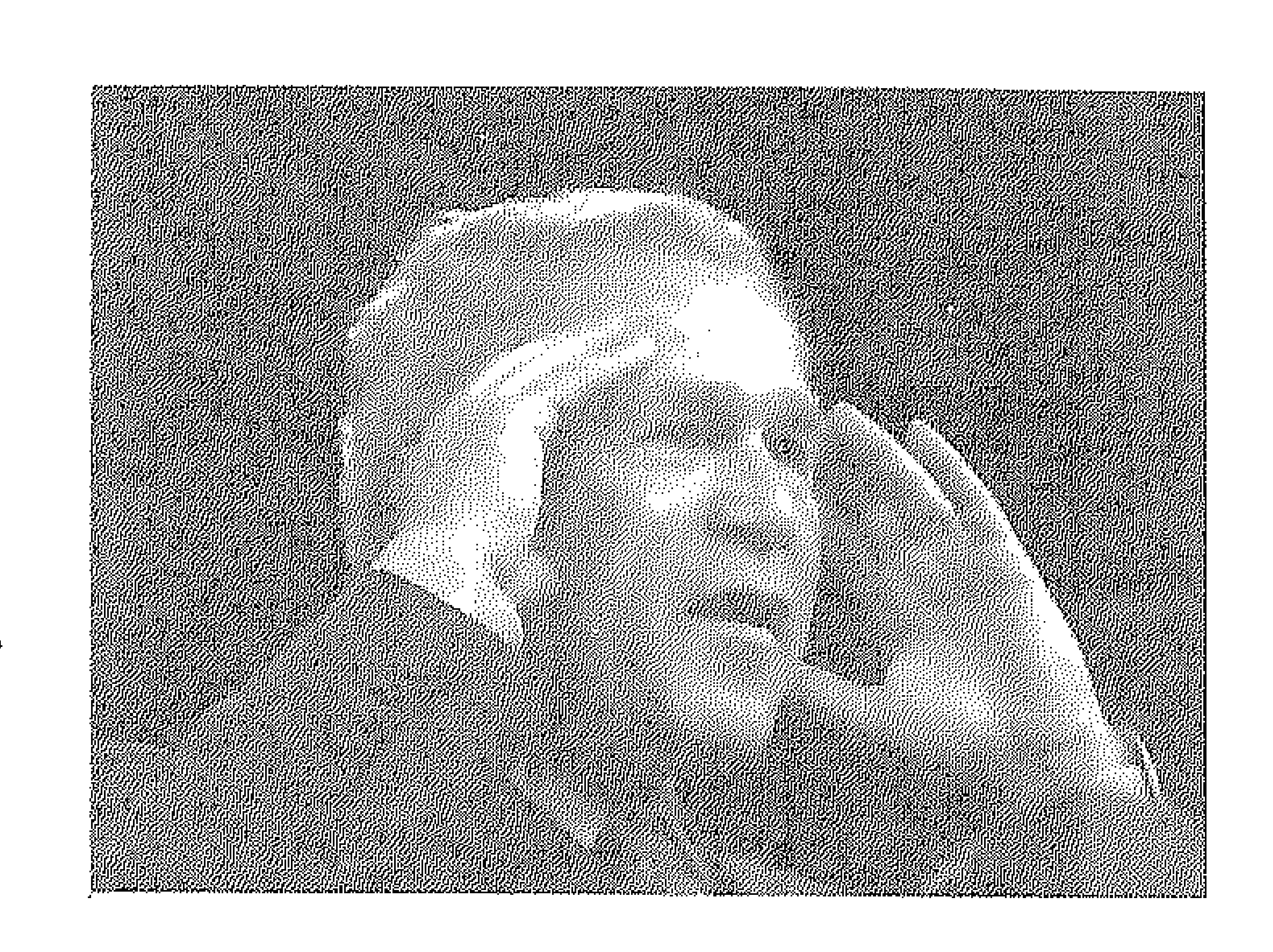
الاحتمال الرابع والأخير هو: اتهام الإدارة الأمريكية بالاتفاق مع بينظير بوتو على العودة إلى باكستان لتجميل صورة النظام عند الشعب الباكستانى الذى أصبح يحمل كراهية بلا حدود لنظام مشرف.

كانت واشنطن تريد أن ترفع شعبية حليفها مشرف لتحثه على مواصلة حربه الضروس ضد القاعدة ومعامل تفريخ الإرهاب فى أفغانستان.

أى أن بوتو وقعت فى الفخ الأمريكى.. وحوصرت بين خصومها فى نظام مشرف وأعدائها من طالبان ولم تتحرك أمريكا لإنقاذها أو حمايتها.. كما وعدتها أو أوهمتها.



•• هل فعلها بن لادن؟ لقد هددها أكثر من مرة بالاغتيال من قبل . . لكنه لم يعلن مسئوليته عن اغتيالها الفعلى!



•• بوش . . الرئيس الأمريكى الذى دفع بوتو إلى حافة الهاوية ثم وقف يتفرج!



•• كانت باكستان وستظل الصداع المزمن فى رأس الإدارة الأمريكية ، وكلما فكرت فى حل انقلب إلى ضده . . أتت بالزعيمة لتجمل وجه الدكتاتورية فقتلت الجميلة . . وعاش القبيح!

اغتيال ما بعد الاغتيال

باغتيال بينظير بوتو أسدل الستار عن قصة واحدة من أكثر السيدات والزعامات التى عشقتها الشعوب، ليس الشعب الباكستانى فحسب بل العالم أجمع، اغتيال حزن له الجميع.. فقدان تلك الإنسانة التى أعطت صورة مضيئة للمرأة فى العالم الإسلامى، فهى التى جمعت بين الاعتدال الإسلامى والأناقة والجاذبية والثقافة الغربية، فكانت جسرًا بين الشرق بأصالته وتاريخه والغرب بثقافته وتحضره.

أما أكثر ما دعا إلى الوقوف لهذه السيدة إجلالًا فهو هذه الشجاعة والصلابة فى قرار العودة الثانية إلى باكستان، هذا القرار الذى جاء محفوفًا بالمخاطر ملطخًا بالدماء والتى كانت تعلم أن دماءها هى أولى الدماء المطلوبة وأنها ستسيل يومًا من أجل هذا القرار، لكنها قررت العودة بلا رجعة وكان إحساسها وصلابتها وشجاعتها هى

بوصلتها التى تحركت بها، ففى أحد اللقاءات التليفزيونية عبَّرت عن إدراكها ويقينها بالخطر الذى يحيط بها فى باكستان، قالت بكل إيمان وثقة إن الموت يحيط بنا كلنا من كل جانب فالأم التى تذهب فى الصباح كى ترسل أولادها إلى المدرسة ممكن أن تموت.. فليس الموت سببًا أن نرجع عما نؤمن به، واجهت بتلك القناعة قدرها ووقفت وجهًا لوجه أمام طيور الظلام الذين كانوا يسعون دائمًا إلى النيل من صورتها ومن شجاعتها.

أما اغتيال تلك الصورة التى عشقها العالم والباكستانيون لبوتو فجاءت عن طريق الإعلام والقادة فى إسرائيل تلك الدولة التى عاشت فترات جفاء طويلة مع باكستان لعلاقتها القوية بالهند، فالعلاقة بين الدولتين تتمثل فى التعاون النووى والاستخباراتى، فإسرائيل سعت كثيرًا إلى تحقيق العديد من المصالح فى إطار تعاونها مع الهند والتى كانت متمثلة فى إنهاء حالة العزلة السياسية التى تعيشها ودخول السوق الهندية الواسعة والتعاون النووى مع الهند ولا سيما فى مجال التجارب النووية فى المحيط الهندى أو فى صحراء راجستان، ورغبة إسرائيل فى تطويق كل من باكستان وإيران ومراقبة التطور العسكرى والنووى بهما، فقامت إسرائيل بتزويد الهند بمعلومات استخباراتية عن باكستان مصدرها قمر التجسس الإسرائيلى (أفق 3) هذا غير صفقات الأسلحة التى تمت فى عام 2001 بين البلدين، والتى أثارت حفيظة النظام الباكستانى، فى

الوقت الذى أشارت فيه صحيفة «هاآرتس» الإسرائيلية إلى أن الولايات المتحدة الأمريكية أعطت الضوء الأخضر لإسرائيل كى تبيع للهند رادارات جوية من طراز فالكون الإسرائيلية قيمتها مليار دولار.

هذا الموقف الذى تغير فى عام 2005 العام الذى بدأت فيه العلاقات الباكستانية الإسرائيلية تأخذ منحى آخر نحو التطبيع إيثارًا للرضا الأمريكى الذى بوابته هى تل أبيب. والذى وصفه بروفيسور إسرائيلى فى جامعة «بار إيلان» شارحًا العلاقة بين إسرائيل وباكستان بأنها علاقة زواج غير مبنى على الحب بقدر ما هو زواج نفعى.. فإسرائيل تحقق اختراقًا جديدًا فى عمق الدول الإسلامية وباكستان تأخذ شهادة حسن السير والسلوك من الولايات المتحدة الأمريكية.

أما الموقف الإسرائيلى من اغتيال بينظير بوتو فجاء لكى يحمل قصدًا واحدًا وهدفًا هو تلطيخ ثوب بوتو بدماء أخرى، ومحاولة استثارة من حزنوا من أجلها ومؤيديها بأنها كانت لها علاقات إسرائيلية وثيقة تحاول استغلالها من أجل البقاء فى باكستان فقد ذكرت صحيفة «معاريف» الإسرائيلية أن بينظير طلبت الحماية من جهاز المخابرات الإسرائيلى «الموساد» معللة طلبها بأن مشرف لا يوفر لها هذه الحماية من خلال عدم السماح بوضع زجاج داكن اللون لنوافذ سياراتها أو استخدام أجهزة للكشف عن العبوات الناسفة.

وتابعت الصحيفة «إن بوتو أرسلت رسالة إلى أحد المقربين منها فى العاصمة الأمريكية واشنطن ويدعى مارك سيجال قالت فيها: «إنْ فى حالٍ أصابها سوء فإنها تحمِّل مشرف المسئولية».

وتذهب صحيفة أخرى هى «يديعوت أحرونوت» إلى أنه رغم الانتقادات الشديدة التى تتعرض لها بوتو من قبل الإسلاميين فى باكستان فإنها نقلت رسالة إلى إسرائيل مفادها أنها معنية بلقاء رئيس الوزراء الإسرائيلى إيهود أولمرت إذا ما نجحت فى الانتخابات التى كان مقررًا لها يناير من أوائل عام 2008، أما مراسل الصحيفة فى الأمم المتحدة فقد ذكر أن بوتو قالت قبل بضعة أشهر للسفير الإسرائيلى فى الأمم المتحدة دانى جيلرمان إنها تفكر فى إقامة علاقات دبلوماسية مع إسرائيل، جيلرمان الذى أكد أنه أمضى هو وزوجته ثلاث ساعات مع بوتو وزوجها قبيل عودتها إلى باكستان على مائدة عشاء عبَّرت خلالها عن رغبتها فى تطبيع العلاقات مع إسرائيل وأن يوصل هذه الرسالة إلى واشنطن. هذا غير التعازى التى صدرت من القادة والسياسيين فى دولة إسرائيل بدءًا من شيمون بيريز رئيس الدولة إلى إيهود أولمرت وتسيبى ليفنى والذين أكدوا جميعًا تعازيهم للشعب الباكستانى الذى لا يعتبرونه عدوًّا، بل صديقًا مهمًّا من العالم الإسلامى. هذا غير تعبيرهم عن خشيتهم أن تقع القنبلة النووية الباكستانية فى أيدى المتطرفين الإسلاميين.

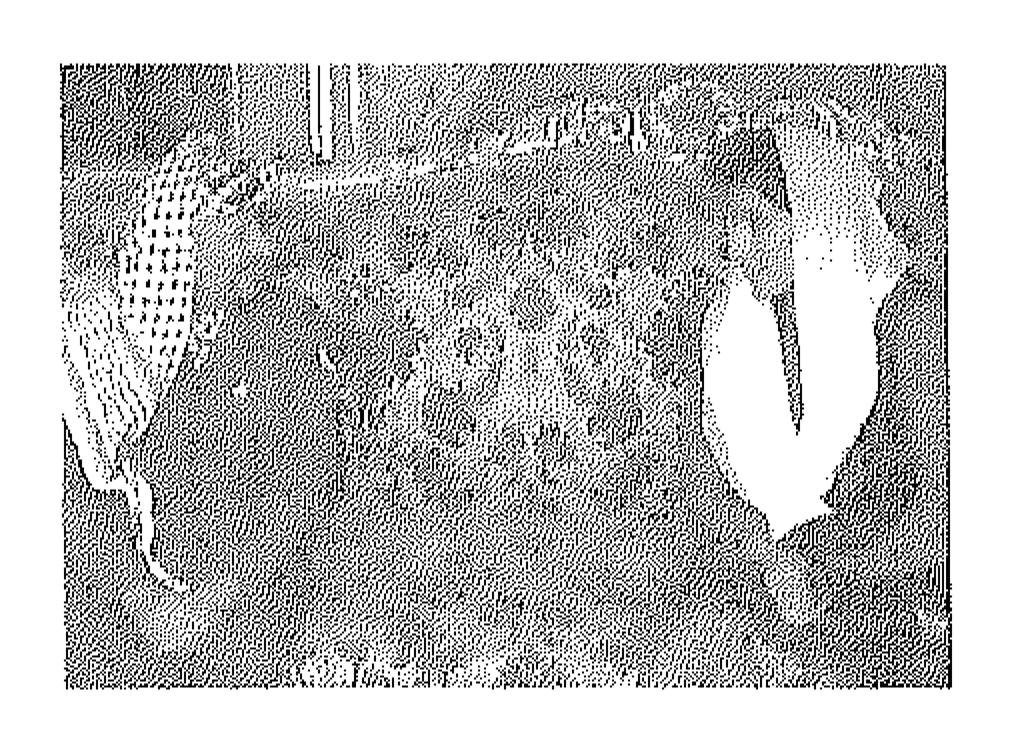
ومن أكثر المقالات التى جذبتنى أثناء انغماسى فى معرفة بوتو بعد العودة، هى التى كتبها عبد الله الأشعل عن بوتو، متحدثًا عن أن خسارة بوتو فى بيئة مثل بيئة باكستان لا يمكن أن تعوض، فهى شخصية جمعت بين الأناقة الشخصية والثقافة الغربية والاعتدال الإسلامى، فهى الصدمة التى جعلت العالم كله يتعاطف معها بسبب هذا المشهد المفجع لمقتل امرأة تدعو إلى الإصلاح والديمقراطية فى بيئة لا تتقبل هذه المصطلحات، حيث تسود الهمجية والتطرف، وازداد الحزن بعد أن اطلع العالم على وصيتها وتوقعها لاغتيالها فى النهاية ورغبتها فى استمرار الخط الإصلاحى الذى سارت عليه؛ مما أدى إلى تعاطف العالم كله معها واعتبار اغتيالها بهذه الطريقة إضافة إلى حياتها.

أما الأسوأ فهو محاولة إسرائيل تلويث هذه الصورة الجميلة مستغلة التقارب الذى قامت به حكومتها من باكستان واللقاء الذى تم ترتيبه بين مشرف وشارون فى 2005، هذا الموقف الإسرائيلى فى هذا التوقيت يوحى للمراقب بأن الذى قام باغتيال بوتو هو الجماعات الإسلامية، تلك الجماعات المعارضة للتقارب الباكستانى الإسرائيلى.

هذه الإساءة إلى ذكرى بوتو عند مشاعر الجماعات الإسلامية ومشاعر الرأى العام العالمى للدرجة التى تأثر بها البعض بالموقف الإسرائيلى إلى درجة الانقلاب من الحزن لموتها إلى الفرح له.

خصوصًا بعد نشر الجرائد الإسرائيلية ومواقع الإنترنت معلومات عن استضافة مندوب إسرائيل بالأمم المتحدة لها ولزوجها، كلّ هذا لا يعبر فقط عن نية مبيتة بانتهاز أية فرصة لتلطيخ صورة أية شخصية إسلامية معتدلة بتهمة التطبيع التى تستفز مشاعر المسلمين فى أى مكان، لكنه اغتيال لهذه الإنسانة أشنع من اغتيالها بالرصاصات والقنابل.. إنه اغتيال يدمر كل ما سعت إليه وناضلت من أجله فى حياتها الصعبة التى اختارتها والتى جعلت باكستان تلتف حولها طوال هذه العقود، وأن تفتح لها صدرها من جديد.

وهذه هى إسرائيل دائمًا تحاول تمرير أهدافها من وراء ستار.. أى ستار.



•• بوتو . . وعرفات.



•• صورة تجمع بين بينظير وشيمون بيريز رئيس وزراء إسرائيل.



Bhutto wanted ties with Israel, sought Mossad protection - Microsoft Internet Explorer

File Edit View Favorites Tools Help

Address http://www.israeltoday.co.il/default.aspx?tabid=178&nid=14909

israel today

NEWS

EDITORIAL

FEATURES

SERVICES

Jerusalem Depot

Headline News

Friday, December 28, 2007 by Staff Writer

Bhutto wanted ties with Israel, sought Mossad protection

Israeli media reports on Friday revealed that slain Pakistani opposition leader Benazir Bhutto intended to establish official relations with the Jewish state if elected and was seeking Mossad protection in the interim.

Speaking to *The Jerusalem Post*, Israeli Prime Minister Ehud Olmert grieved over Bhutto's assassination following an election rally on Thursday, and said that upon her return to Pakistan in October after years of exile Bhutto conveyed to him via a mutual acquaintance that she wanted close ties between Israel and Pakistan.

The Hebrew daily newspaper *Ma'ariv* further revealed that Bhutto had asked Israel's Mossad spy agency, along with the CIA and Britain's Scotland Yard, to help protect her in the run-up to Pakistan's January 8 election. Bhutto complained that current Pakistani President Pervez Musharraf was trying to make her an easy target for assassination by now allowing her to use adequate protective measures.

According to the report, Israel's Foreign Ministry was in favor of aiding Bhutto, though the government ultimately decided against it for fear of angering the Musharraf regime and upsetting relations with neighboring India, a close ally of Israel engaged in an ongoing bitter confrontation with Pakistan.

Israeli leaders lamented that Bhutto, a popular former prime minister who was twice deposed by authoritarian elements, could have served as a bridge between Israel and the Muslim world.

•• الأيدى الإسرائيلية تعبث بسيرة الشهيدة . .
والإعلام المغرض يحاول تلطيخ الثوب الأبيض!

اللّغــز الغــامـض

تتشابه ملابسات الاغتيالات الكبرى فى التاريخ، رغم اختلاف الأشخاص والأسباب.. الزمان والمكان، والدليل على ذلك أن ملف اغتيال الرئيس الراحل جون كينيدى مازال مفتوحًا بعد أكثر من أربعين عامًا من اغتياله، جريمة قيدت ضد مجهول رغم التحليلات والاستنتاجات والقرائن والدلائل.

كذلك يبدو أن اغتيال بوتو التى أصبحت بعد مقتلها «شهيدة الديمقراطية» سيظل لغزًا رغم آلاف التخمينات والوقائع والمشاهدات.

فبعد المذبحة التى أقيمت لاغتيالها يوم الخميس 27 من ديسمبر 2007 والتى راح ضحيتها المئات استخدمت الشاحنات الحكومية الضخمة لإزالة الدماء وآثار الدمار والزجاج وكل الأدلة من مسرح الجريمة.

وخلال هذه المؤامرة الجديدة تمت إزالة الدلائل الجنائية.

وهذا ما دفع زوجها عاصف زاردارى إلى أن يطالب الرئيس الباكستانى برويز مشرف بإجراء تحقيق دولى تشرف عليه الأمم المتحدة. لكن الرئيس رفض هذا الطلب رغم تصريحاته باستيائه مما حدث وغضبه من مسألة تنظيف مسرح الجريمة بهذه السرعة.

واستدعى الرئيس برويز مشرف شرطة اسكتلانديارد للتحقيق فى الحادث لأنه لم ير ضرورة لإجراء تحقيق دولى.

وبعد موتها كشف زوجها عاصف زاردارى رسالة كتبتها زوجته الراحلة بخط يدها إلى الرئيس الباكستانى برويز مشرف قبل أن تركب الطائرة التى أقلتها من دبى إلى كراتشى، وقال: إنها أصرت على أن تتأكد من تسلم برويز للرسالة قبل ركوبها الطائرة.

كتبت بينظير فى رسالتها: إذا حصل لى مكروه فأرجو التحقيق مع الشخصيات التالية أسماؤهم فى السلطة.. وعددت أسماء مسئولين أمنيين كبارًا تعتبرهم أعداءها على رأسهم كان: «إنجاز شاه» رئيس المخابرات الباكستانية والمسئول عن تدبير عمليات القتل لخصوم النظام وهو شريك قديم لبرويز مشرف ويؤمن كما تؤمن التنظيمات الدينية المتشددة بأن «الإسلام هو الحل».

وعندما نجت بوتو من محاولة الاغتيال الأولى فى أكتوبر 2007 اتهم مشرف بيت الله محسود وهو أحد النشطاء المؤيدين لطالبان،

ومسئول عن إدارة عدد من معسكرات تدريب الانتحاريين فى جبال وزيرستان النائية، لكن زارداري زوج بينظير قال وقتها: نحن لا نصدق أنه محسود.

وقبل المحاولة الأولى لاغتيال بوتو قال الحاج محمد عمر وهو أحد كبار قادة المقاتلين فى اتصال هاتفى مع أتباعه فى كراتشى: إنها عميلة لواشنطن وهى لا تعود بملء إرادتها وإنما تنفيذًا لتعليمات واشنطن ولندن لتصفية المجاهدين.

وطبقًا لمعتقدات طالبان التى تسيطر جماعاتها على مناطق مختلفة من باكستان لا يحق للمرأة الخروج من بيتها، فما بالك بترشيح نفسها رئيسة للوزراء.

فعندهم إذا تجرأت امرأة وخرجت للتسوّق بمفردها أو دخلت متجرًا صغيرًا لحق بها مسلحون وقبضوا عليها واتصلوا بزوجها ليقولوا له : تقتلها أنت أم نقتلها نحن؟

وكانت بينظير تدرك جيدًا أنه لا سبيل لتحقيق الديمقراطية فى بلادها ما لم يتم إخضاع الجيش الباكستانى للمؤسسة المدنية، ويعنى هذا الوعى أنها كانت تهدف إلى وقف الجنرالات العسكريين عن استخدام ذريعة التهديد الأمنى الهندى للبلاد فى السيطرة على الميزانية الوطنية، وتمرير أجندتهم السياسية الخاصة.

لذلك كانت ترى أن التوصل إلى صفقة سلام مع الهند ومقاومة تنامى نفوذ الحركات الإسلامية الأصولية فى بلادها فى أعقاب

هجمات 11 سبتمبر تقتضى وقوف المؤسسة العسكرية إلى جانبها، وهذا هو ما دفعها إلى إبرام صفقة سياسية بينها وبين الجنرال برويز مشرف للحفاظ على التوازن المطلوب بين المؤسستين العسكرية والمدنية فى البلاد.

فحسبما يقول بيتر جالبريت سفير أمريكا السابق بكرواتيا ومؤلف كتاب «نهاية العراق»: فإن باكستان لم تتمكن مطلقاً من بناء مؤسسات حكم فاعلة طوال العقود الستة التى مرت على انفصالها واستقلالها كدولة عام 1947.

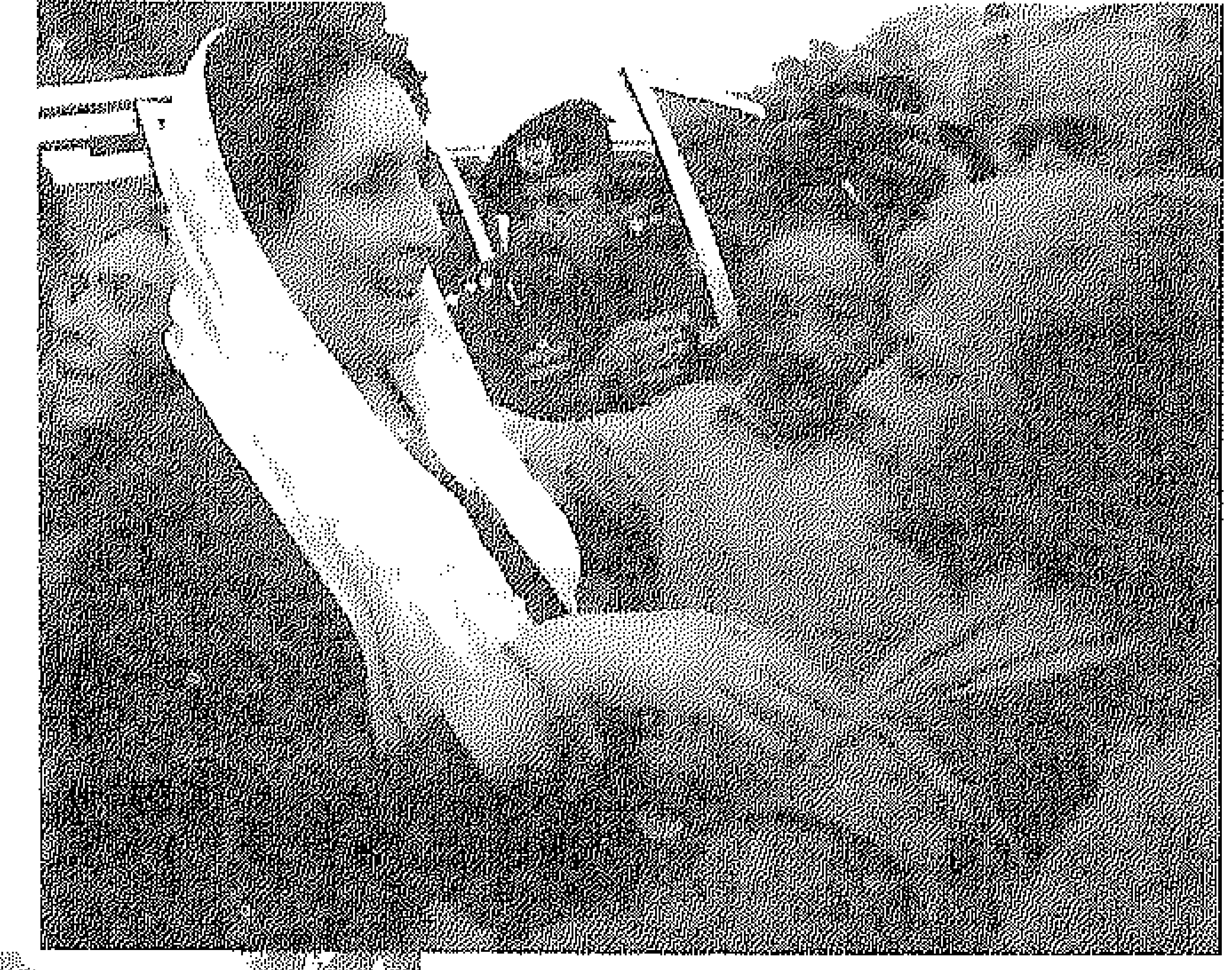
ونتيجة لذلك لم ترسخ فيها تجربة الحكم الديمقراطى، وهو ما أدى إلى عجزها فى تشكيل هويتها الوطنية.

ونتيجة لذلك أصبح هناك ثلاث جهات تسيطر على مقدرات باكستان ومصيرها هى: الجيش وذراعه الاستخباراتى العسكرى، وكالة الخدمات الاستخباراتية المشتركة، ثم المؤسسة النووية. وهذه الجهات الثلاث ليس لديها علاقات طيبة مع الولايات المتحدة الأمريكية. بل يعتقد أن وكالة الخدمات الاستخباراتية المشتركة تدعم سراً حركة طالبان فى الجارة أفغانستان، بينما لا يستبعد أن تكون لها علاقات مع تنظيم القاعدة.

أما المؤسسة النووية.. وهى الأهم.. فقد تناولت تكنولوجيا صنع القنبلة النووية مع ألد أعداء أمريكا: إيران وكوريا الشمالية، ورغم إصرار برويز مشرف وتأكيده لكونه شريكًا يعتمد عليه للولايات

المتحدة الأمريكية فى حربها على الإرهاب الدولى، فإنه يصعب تخيل أن تكون ممارسات كلّ من وكالة الخدمات الاستخباراتية المشتركة، والمؤسسة النووية فى بلاده بعيدة عن علمه وموافقته.

ويقول بيتر جالبريت.. (والذى لابد من تأكيده على أية حال، أن الولايات المتحدة الأمريكية ليست هى المسئولة عن المشكلات التى تواجهها باكستان، غير أنه ينبغى لواشنطن أن تطالب بإجراء تحقيق دولى مستقل فى مصرع بينظير بوتو، مادام يصعب التعويل على الحكومة الباكستانية القائمة، فى إجراء تحقيق نزيه فى هذه المأساة.. كما ينبغى للرئيس بوش أن يحسن اختيار الألفاظ التى يتحدث بها عن شراكته مع باكستان، وأن يغيِّر لهجته التى يصف بها شريكه الباكستانى بصفة خاصة، بأنه رجل على قدر كلمته، فمثل هذه اللغة لا تصلح لوصف دولة فاشلة تحوز ما لا يقل عن 70 قنبلة نووية، دون وجود مسئولية حكومية كاملة عنها فيما يبدو، وبرحيل بوتو، فليس ثمة أمل يلوح فى سماء هذه الدولة).



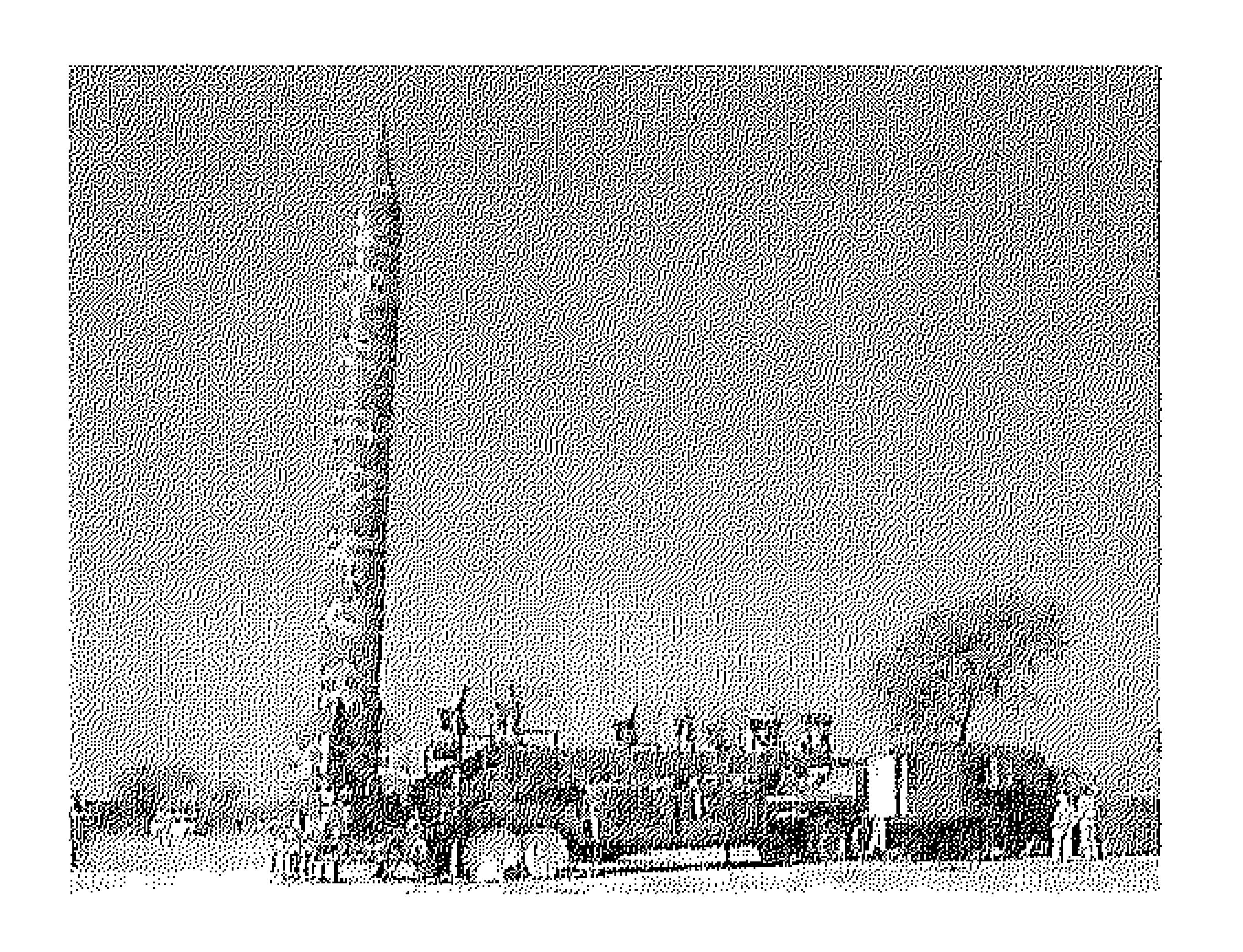
.. حبيبة القلوب بين الناس . .
هكذا عاشت . . وهكذا ستعيش
فى قلوبهم حتى بعد الرحيل!



.. من الجانى؟!



.. هل دفن سر مقتلها فى
الرمال . . ؟!



.. المفاعل النووى
الباكستانى . .
سر اللغز!

لسنا ملائكة

«أعتقد أنه لا يوجد فى الدنيا إنسان لا يعانى من التقصير أو الضعف» . أتذكر - الآن - هذه الجملة جيدًا. فقد سمعتها منها هى مباشرة أثناء حديثى معها فى إسلام آباد، وهى رئيسة للوزراء عام 1990.

أتأمل هذه الكلمات وتلك الجملة بعمق وأنا أشاهد شريط حياتها الدرامى. فهل أخطأت بينظير؟ هل كانت ملاكًا خالصًا أم شيطانًا متخفيًا؟

لقد قالتها بنفسها: لسنا ملائكة وأعتقد - شخصيًا - وبعد هذا السرد لقصة حياتها أنها فى النهاية إنسانة رغم كونها زعيمة ورئيسة وزراء ومناضلة عنيدة.

نعم أخطأت بينظير، واندفعت وراء عواطفها وأهوائها الشخصية فى أكثر من موقف فى حياتها.

أخطأت عندما سمحت لحياتها الخاصة بأن تخترق حياتها العامة كمسئولة كبيرة ورمز مهم لكل امرأة مثقفة مسلمة أو غير مسلمة، أخطأت عندما جعلها ضعفها الإنسانى كحبيبة وأم تسعى إلى الحب والبيت.. الزوج والاستقرار.. إلى تعيين زوجها عاصف زاردارى وزيرًا فى حكومتها وفتحت بذلك على نفسها أبواب الجحيم.

فسواء كانت الاتهامات الرهيبة التى حاصرتها وزوجها بالفساد المالى والسياسى حقيقية أو ملفقة، فلاشك أنها أعطت لخصومها الفرصة لمهاجمتها على طبق من فضة، عندما سمحت لزوجها بأن يشاركها السلطة.

فلم تفرق بين مائدة الاجتماعات فى مجلس الوزراء الذى ترأسه ومائدة العشاء فى بيتهما السعيد.

ويبدو أن بينظير التى تنتمى إلى برج الجوزاء متأججة العواطف، كما جاء فى تحليل شخصية مواليد هذا البرج، إذا وجدت الرجل المناسب تقدم له أضعاف ما يعطيه لها بشرط ألا يحد من حريتها واستقلاليتها، وأن يفهم تقلباتها وأهواءها ويمنحها حرية التصرف.

وهى تبحث عن الرجل الذى يجمع كل صفات الرجال التى تتمناها، ولكنها تواجه صعوبة فى التعبير عن مشاعرها وعواطفها

الحقيقية إذ تميل إلى إنكارها وتحليلها وفلسفتها، وهى تصارع وتحارب أحاسيسها الداخلية باستمرار ولكنها لا تتوصل إلى حل يرضيها خوفًا من تعقيد حياتها والحد من استقلاليتها.

أخطأت بينظير كثيرًا عندما اختارت أن تعيش فى الجحيم وسط كل هذه الاتهامات، وبعد إطلاق لقب (مستر 10%) على زوجها إشارة إلى تقاضيه عمولة 10% عن أى اتفاق تجارى.

وقالت فى فترة محنتها ومنفاها الاختيارى إن محنتى الكبرى هى أننى سياسية بالدرجة الأولى.. وفى الوقت نفسه أنا إنسانة، إن كونى سياسية عمل يمكن أن يستمر لأعوام قليلة عامين أو ثلاثة وربما أكثر قليلًا، والسؤال: وماذا بعد؟

وقالت إن الحياة الزوجية التى أنعم فيها مع زوجى هى الباقية، وعلاقتى معه حتى وهو داخل السجن غاية فى الإنسانية، إنه يقوم بتصحيح الشِّعر الذى أرسله إليه، كما أنه يكتب لى عن المشكلات التى تقابله.

وأفضفض إليه بما أريده وأحتاج إليه من منطلق كونى مسلمة وزوجة لرجل مسلم. إن زوجى يفرح بحديث أولاده عبر التليفون وما يؤلمنى الآن (كانت وقتها فى دبى عام 1998) أننى أعيش وحيدة كل عدة أشهر أسافر إلى أولادى فى دبى كى أراهم وأعطيهم من حنانى ما يقوِّى عزيمتهم حتى نصل إلى حل.

يسعدنى أن أعيش فى أسرة سعيدة فى صحبة زوج وسط أولادنا. إننى أحب زوجى، ولكن يدهشنى تمامًا سؤال الناس: لماذا أحب زوجى؟

ولماذا أرغب فى حياة أسرية مستقرة وسعيدة؟

وكانت بينظير خلال هذه الفترة الكئيبة من فترات حياتها تقول: إننى لا أريد دخول السجن.. إننى لم أرتكب الأخطاء الفادحة التى تثار حولى.

فى ذلك الوقت تم تجميد حسابات الزوجين حتى يمكن مساعدة التحريات الباكستانية فى الوصول إلى الحقائق، وفى عام 2005 استدعت محكمة سويسرية رئيسة الوزراء السابقة.. وزعيمة حزب الشعب المعارض وزوجها للمثول أمام المحكمة لمواجهة التهم الموجهة إليهما بالتورط فى جرائم غسيل الأموال.

أخطأت بينظير عندما أعطت لخصومها ذريعة للهجوم عليها والنبش الشرس فى سمعتها المالية والسياسية.. وهى افتراءات واتهامات تفوح منها رائحة المؤامرة أو محاولة الاغتيال السياسى لزعيمة لها اسمها ومكانتها. لكنها هى التى مهدت الطريق أمام خصومها بصورة لا يحلم بها أشد أعدائها ضراوة.

ولم يكن هذا خطأها الوحيد.. بل أخطأت بينظير مرة أخرى عندما جعلها حلمها المزمن بالعودة إلى السلطة تعود فى الزمن الخطأ.

فلم تدرس جيدًا الظروف التى ستضعها مرة أخرى فى عش الدبابير ولم تحسب حساباتها جيدًا بعد تغير الظروف فى باكستان وتنامى نفوذ التيارات المتطرفة، وتعدد التحالفات بينها وبين أطراف كثيرة من الصعب السيطرة عليها أو التكهن بنتائجها.

والأخطر من هذا كله أنها صدقت الرئيس بوش وابتلعت الطعم الجميل الذى قدمه لها، واعتقدت أن أمريكا يمكن أن تحمى حلفاءها.

الحلم بالسلطة جعل بينظير تعقد اتفاقًا وصفقة مشبوهة مع الحاكم العسكرى الدكتاتور برويز مشرف. وبمقتضى هذه الصفقة تحقق حلمها بالديمقراطية!

كيف يا بينظير؟

كيف يعيش الحلم فى أحضان الكابوس؟

وكيف يتحالف الاعتدال مع التطرف؟

كيف أعماك التشبث بالسلطة لتضعى يدك فى يد مشرف؟

أما الخطأ الفادح الذى لن يغفره التاريخ لـ «بينظير» فهو الوصية التى كتبتها قبل اغتيالها الآثم.. لتوصى بتولى ابنها الشاب الصغير بيلاوال زعامة حزب الشعب بعدها.. على أن يعاونه والده.. زوجها (مرة أخرى).

وبهذا الخطأ تثبت بينظير أن النخب السياسية الحاكمة فى العالم الثالث التى تدعو بكل حرارة إلى تكريس الديمقراطية، هى نفسها التى تسد الطريق إلى هذه الديمقراطية بممارستها العاشقة للسلطة حتى بعد الرحيل.

وهذا الخطأ – بكل أسف – من الممكن أن يزيد من حالة الفوضى، وإذا كان اغتيال بينظير قد عرقل مسيرة التحول الديمقراطى فى المدى القريب، إلا أن توريث زعامة الحزب لابنها وزوجها – حتمًا – سيؤدى إلى انهيار حزب الشعب الذى أرسى مبادئه بوتو الأب وراهن فيه على الخيار الديمقراطى.

فالزوج «الوريث» هو (مستر 10%) أو هكذا عرف فى باكستان وفى العالم كله، وهو موصوم بهذه الاتهامات الرهيبة فى سرقة أموال الشعب الباكستانى، ومعروف بتقاضى العمولات عن التعاقدات الحكومية أيام ولايتى بينظير.

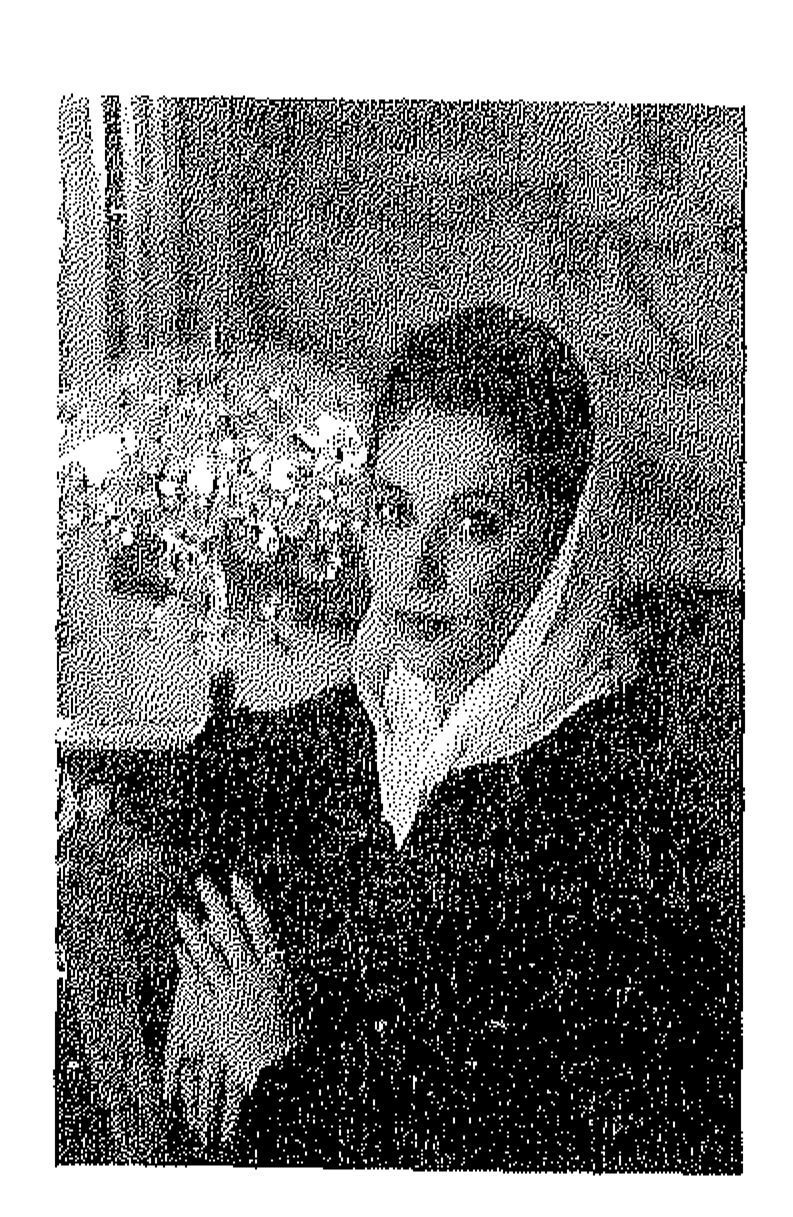
لماذا يا بينظير وقعت فى هذا الخطأ الفادح؟

لماذا تشبثت بحلم التوريث فأنساك الحلم بالديمقراطية.

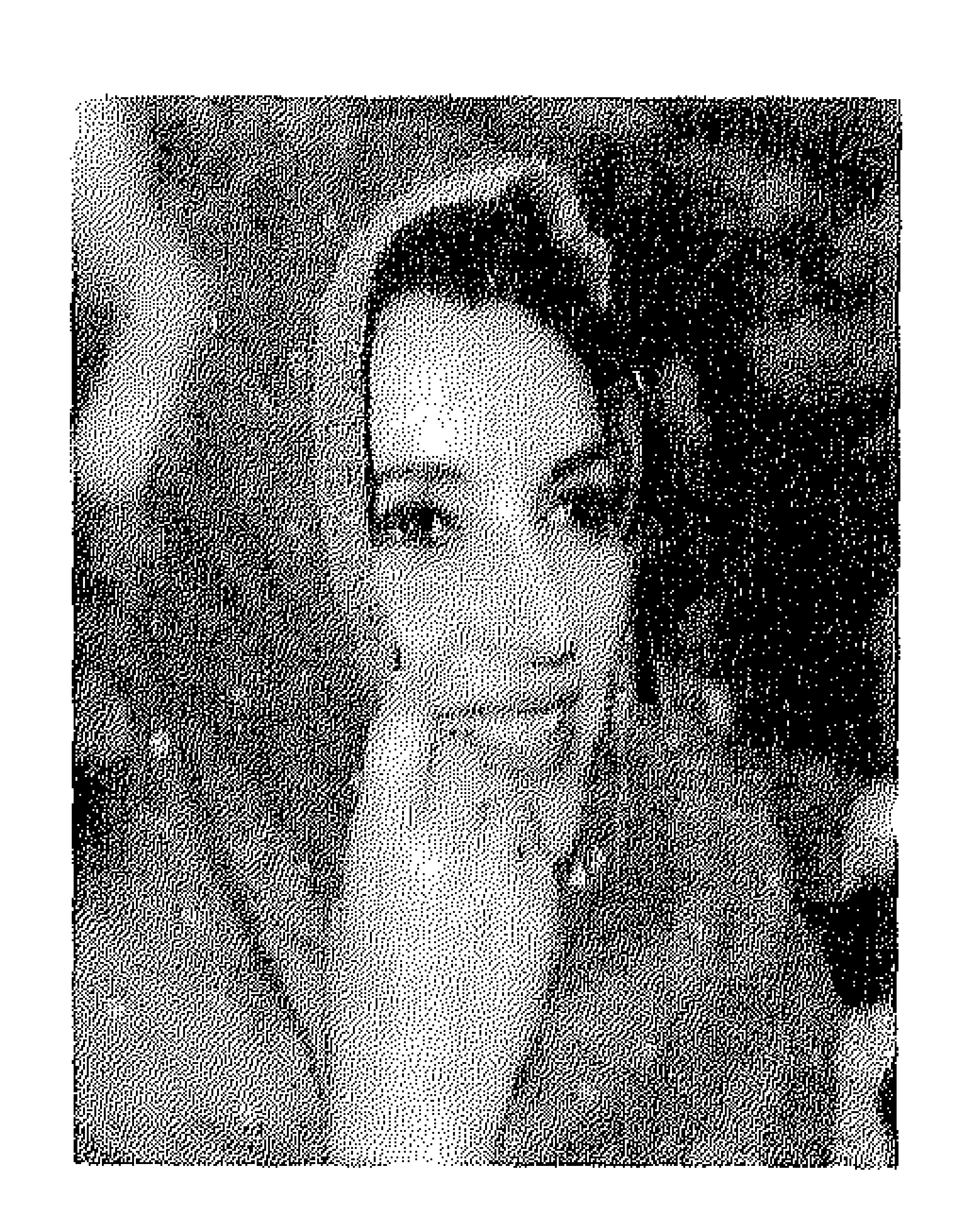
ولماذا سمحت بالبقع السوداء أن تعلق بثوبك الأبيض؟

أسئلة لن يجيب عنها إلا بينظير.

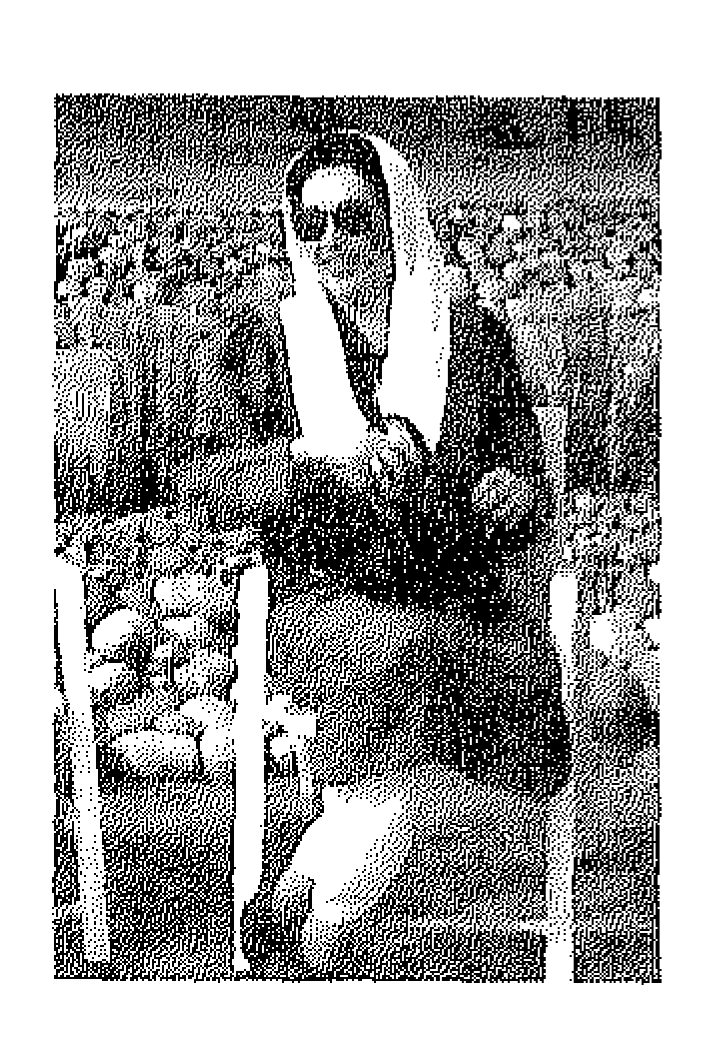
ولن تجيب عنها.



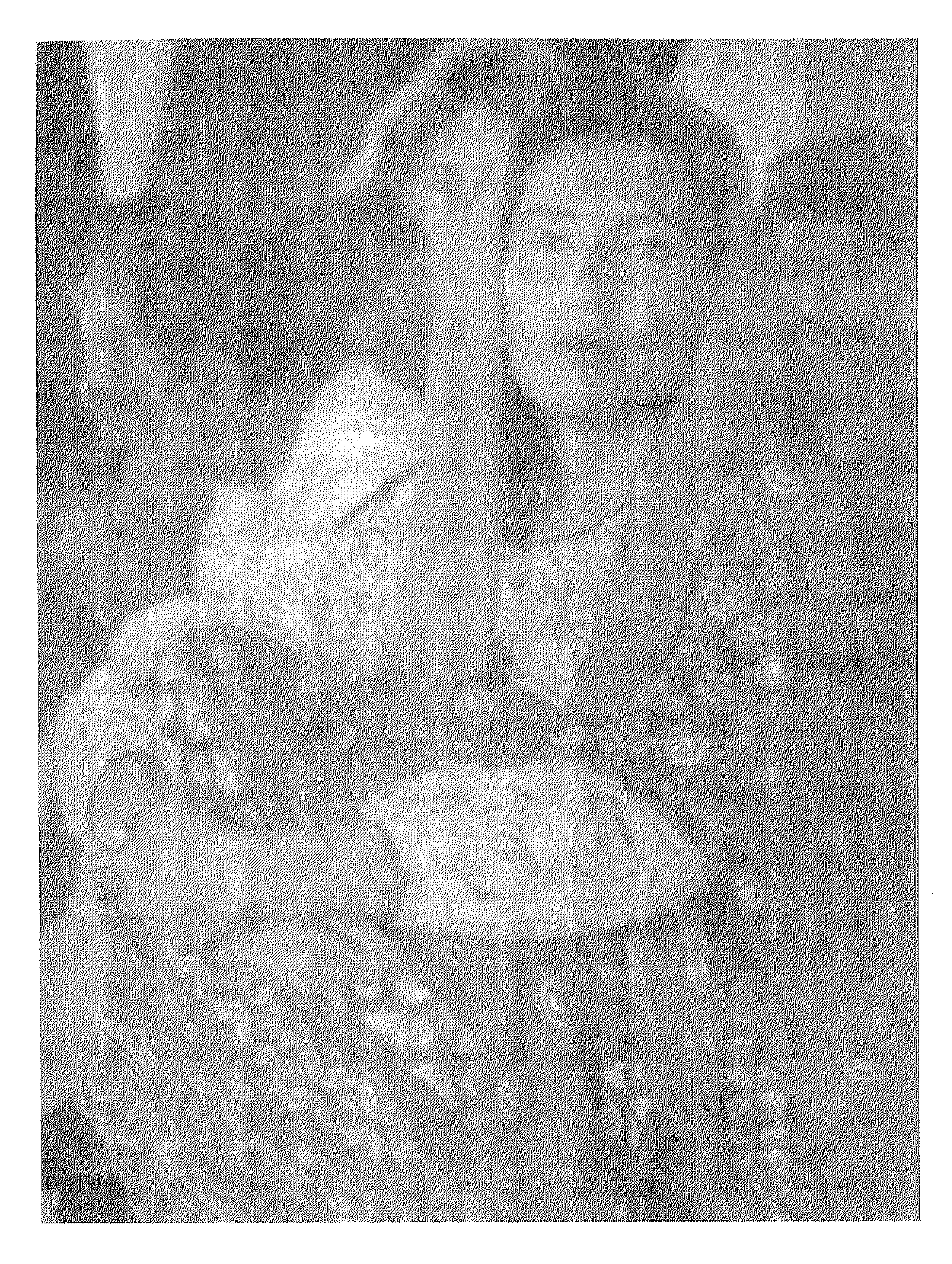
•• لست شيطانًا .. ولا ملاكًا!



•• حبها لزوجها كان
أبرز نقاط ضعفها.

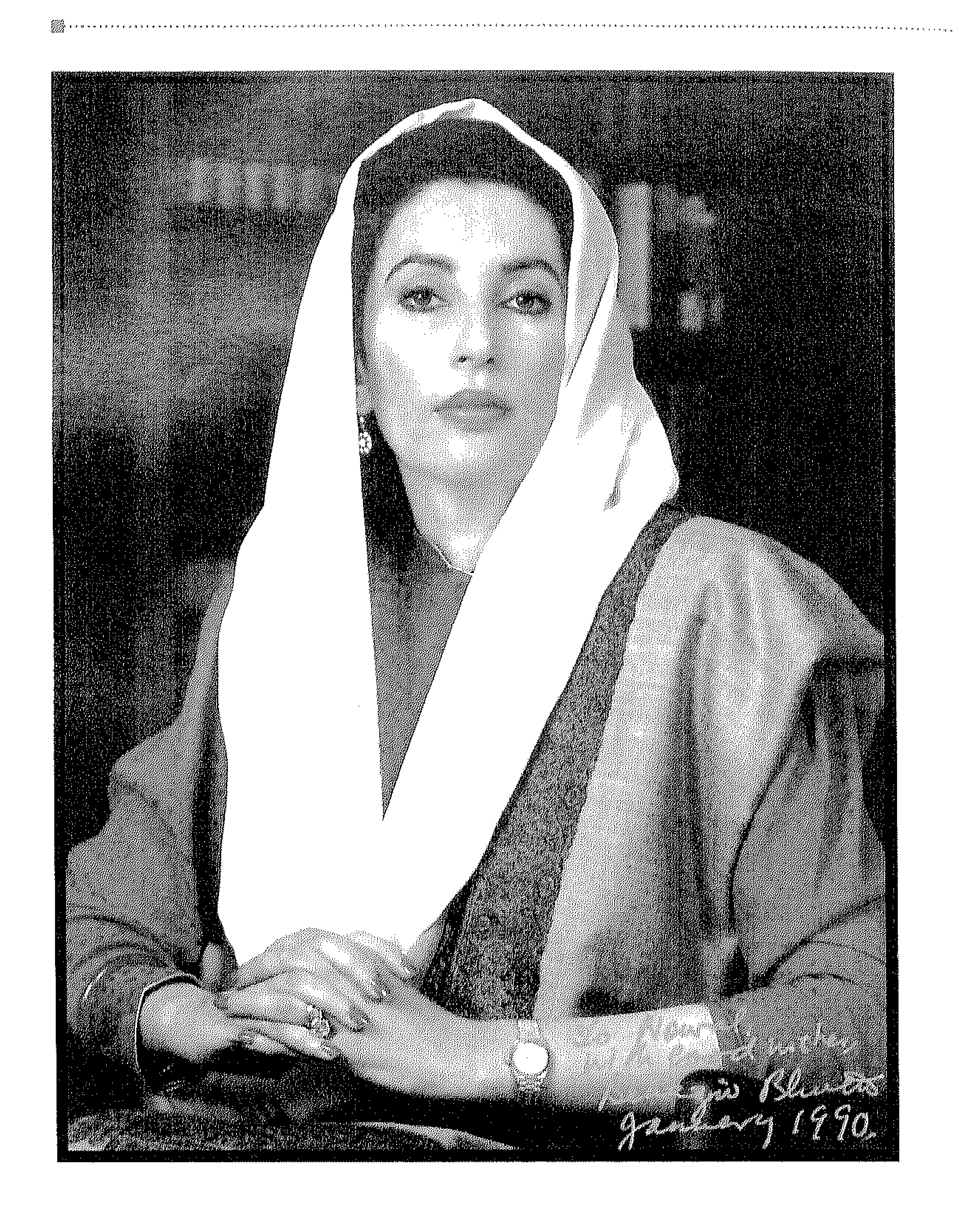


•• والزعماء يخطئون أيضًا!



•• لحظة شرود . . أم قراءة للمستقبل الذى ينتظرها؟!

ملحــق الصــور



To Nawal, with good wishes, Benazir Bhutto. January 1990

صورة مهداة من رئيسة وزراء باكستان السابقة بينظير بوتو للكاتبة نوال مصطفى
بعد عودتها إلى القاهرة من إسلام آباد (مرسلة بالبريد) عام 1990 .

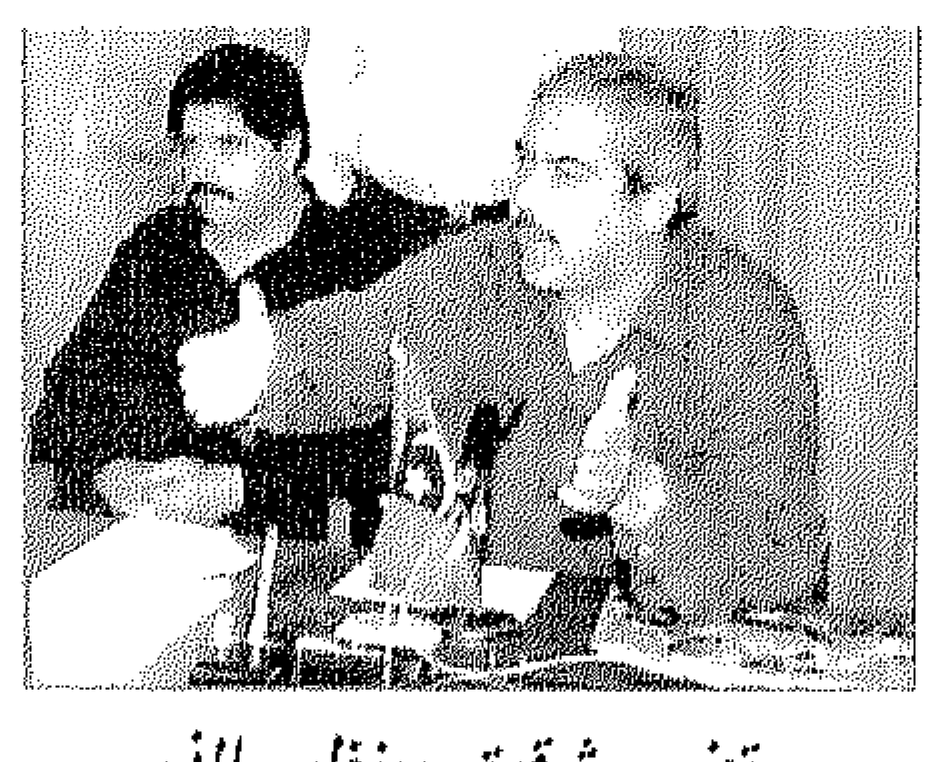


•• أثناء حوارى معها بمكتبها بمجلس الوزراء فى إسلام آباد . . ويومها حرصت على أن أهديها طبقًا من الفضة محفورًا عليه آيات قرآنية من «خان الخليلى» وصورة لنفرتيتى قدمتها إليها هدية من مصر . وفى المقابل أهدتنى هى كتابها «ابنة الشرق» .

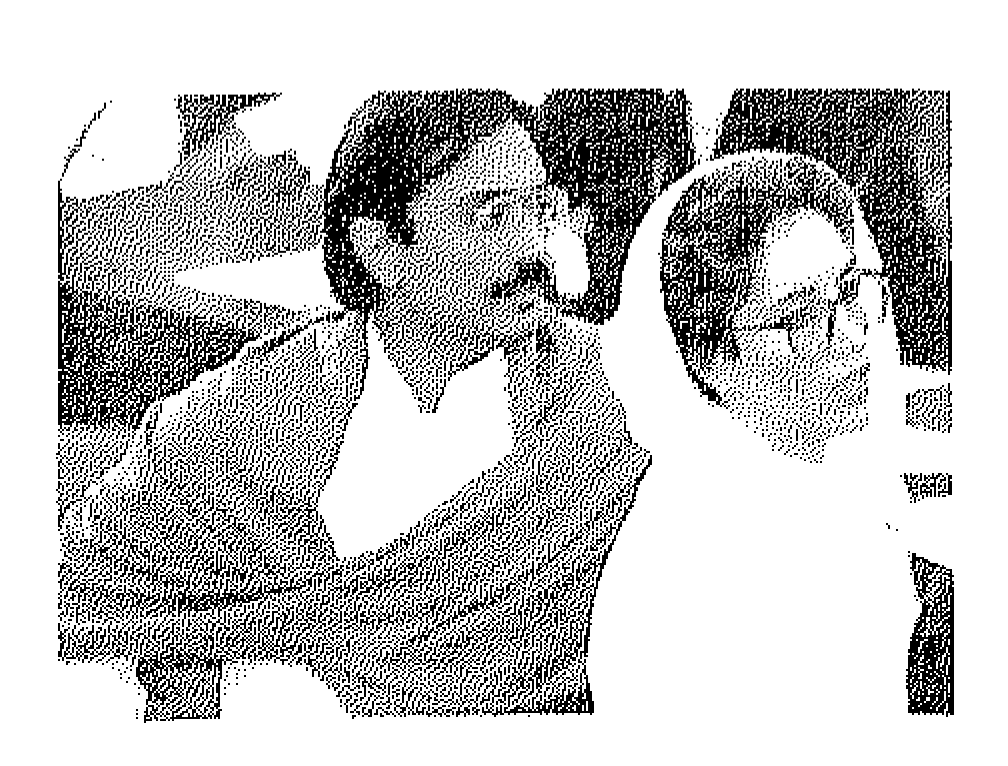




•• أنا بلقيس.. ملكة سبأ! هكذا كانت ترى نفسها.



•• مرتضى شقيق بينظير الذى
نازعها على زعامة الحزب ،
وقُتل فى ظروف غامضة . .
واتُّهمت هى وزوجها باغتياله .



•• عاصف زاردارى الزوج . .
والعقبة الكئود؛ فهل وراء
كل زعيمة رجل يدفعها إلى
الهاوية؟



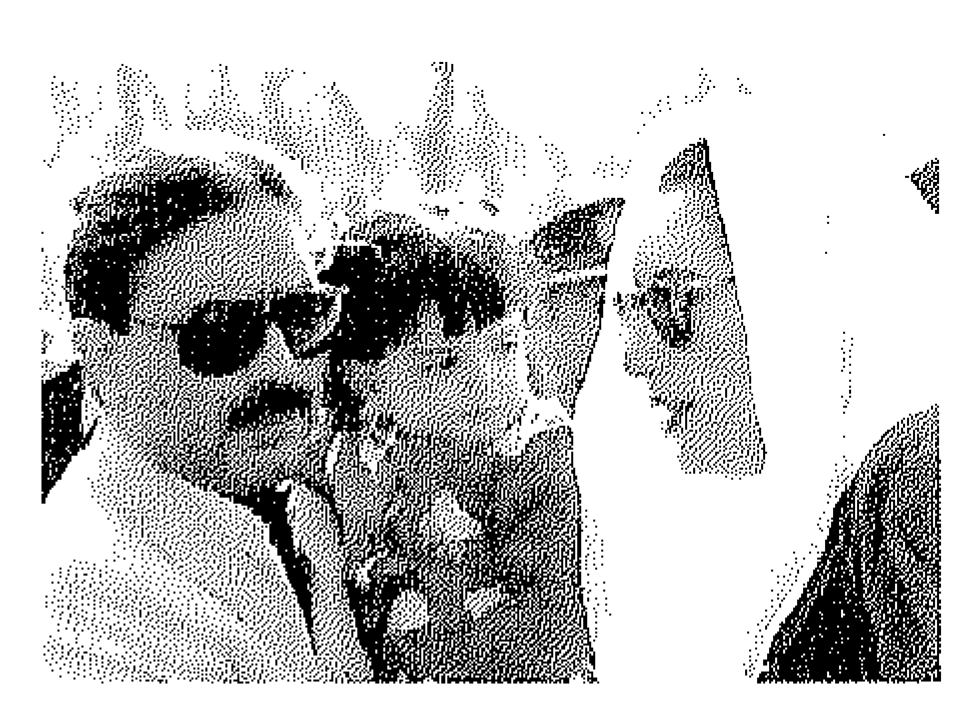
•• نصرت بوتو . . الإيرانية التى أعطت
بينظير الابنة مسحة الجمال الفريد .



•• الجميلة . . !



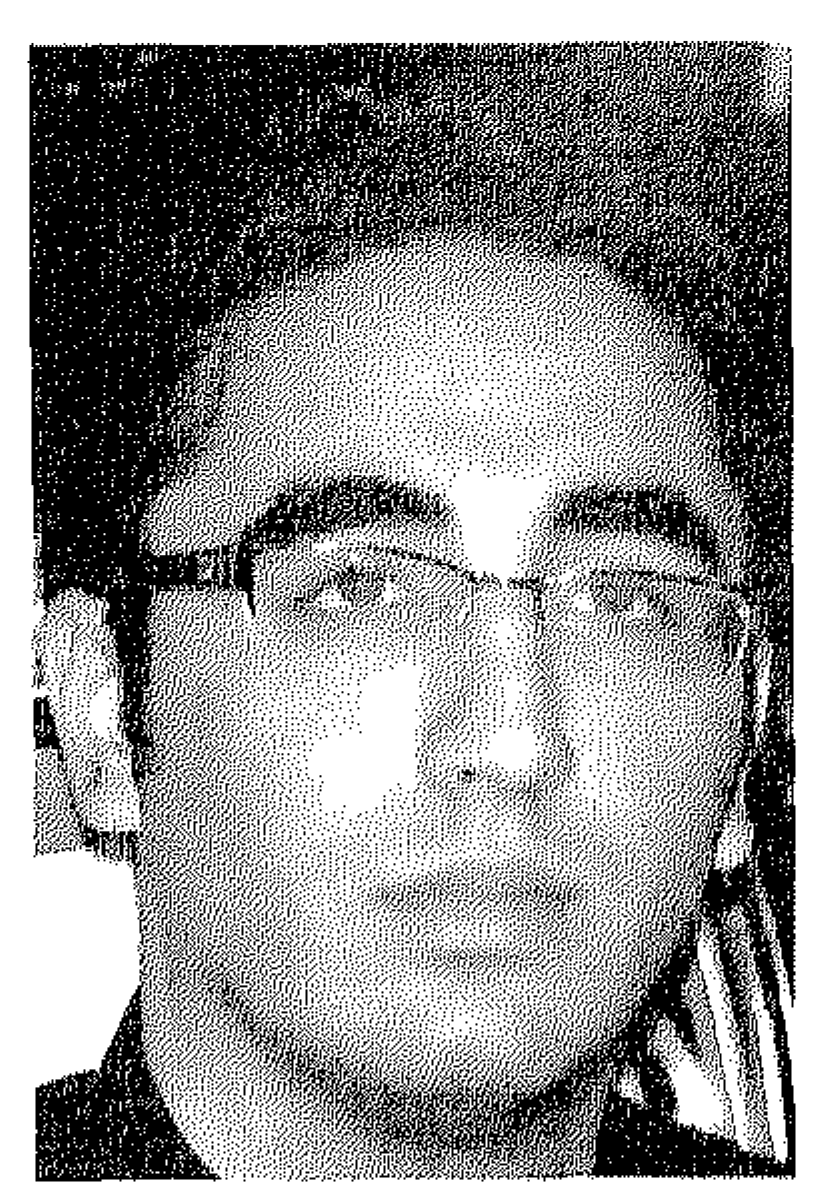
•• الأم والأبناء الثلاثة فى جلسة
حب بعيدًا عن السياسة!



•• مع ابنتها الصغيرة عاصفة
وزوجها عاصف .



•• فاطمة . . ابنة شقيقها مرتضى . . التى تطلق
عليها العائلة: بينظير الصغيرة!

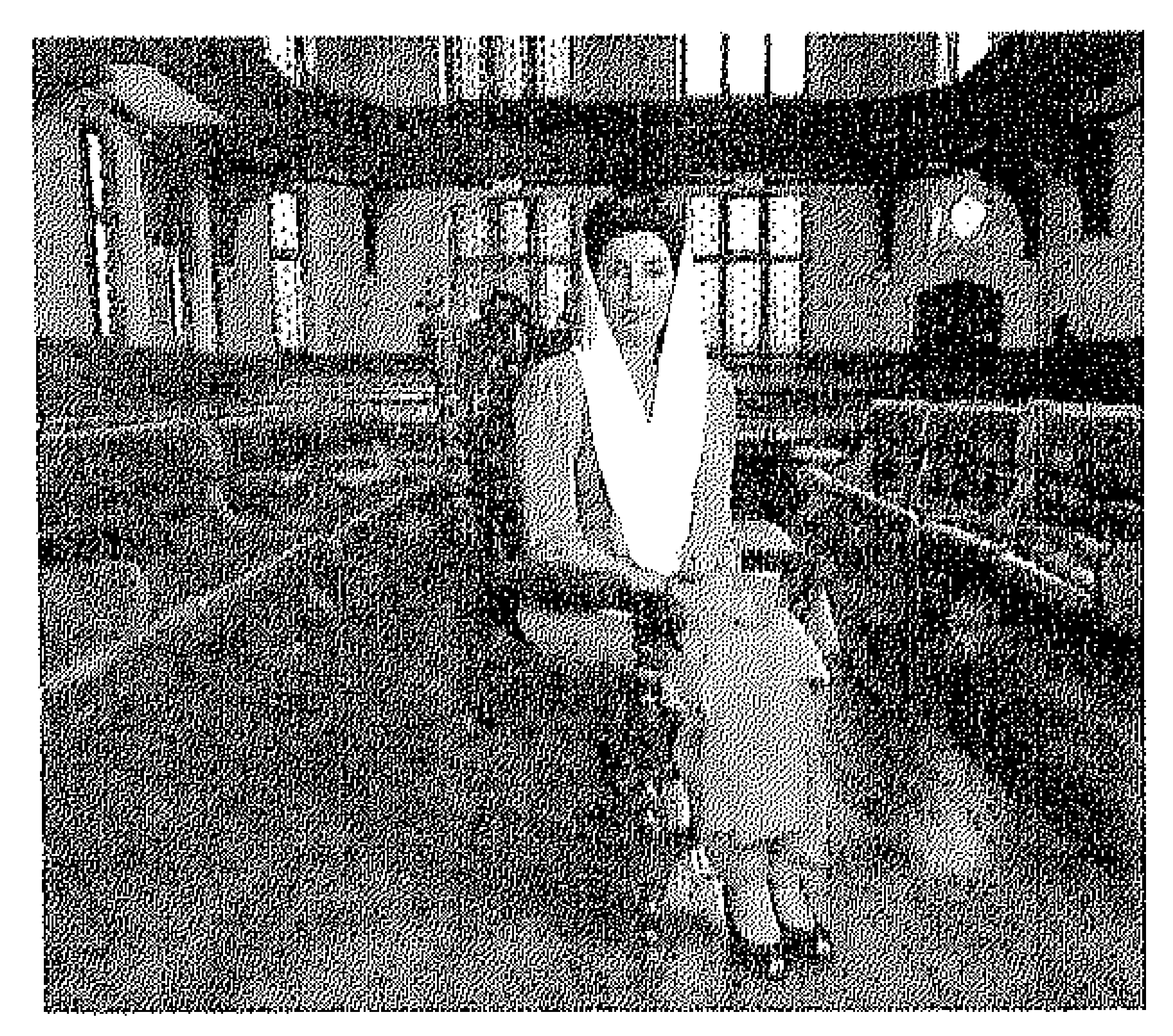


•• بيلاوال (19 سنة) الابن
الذى ورث بينظير .

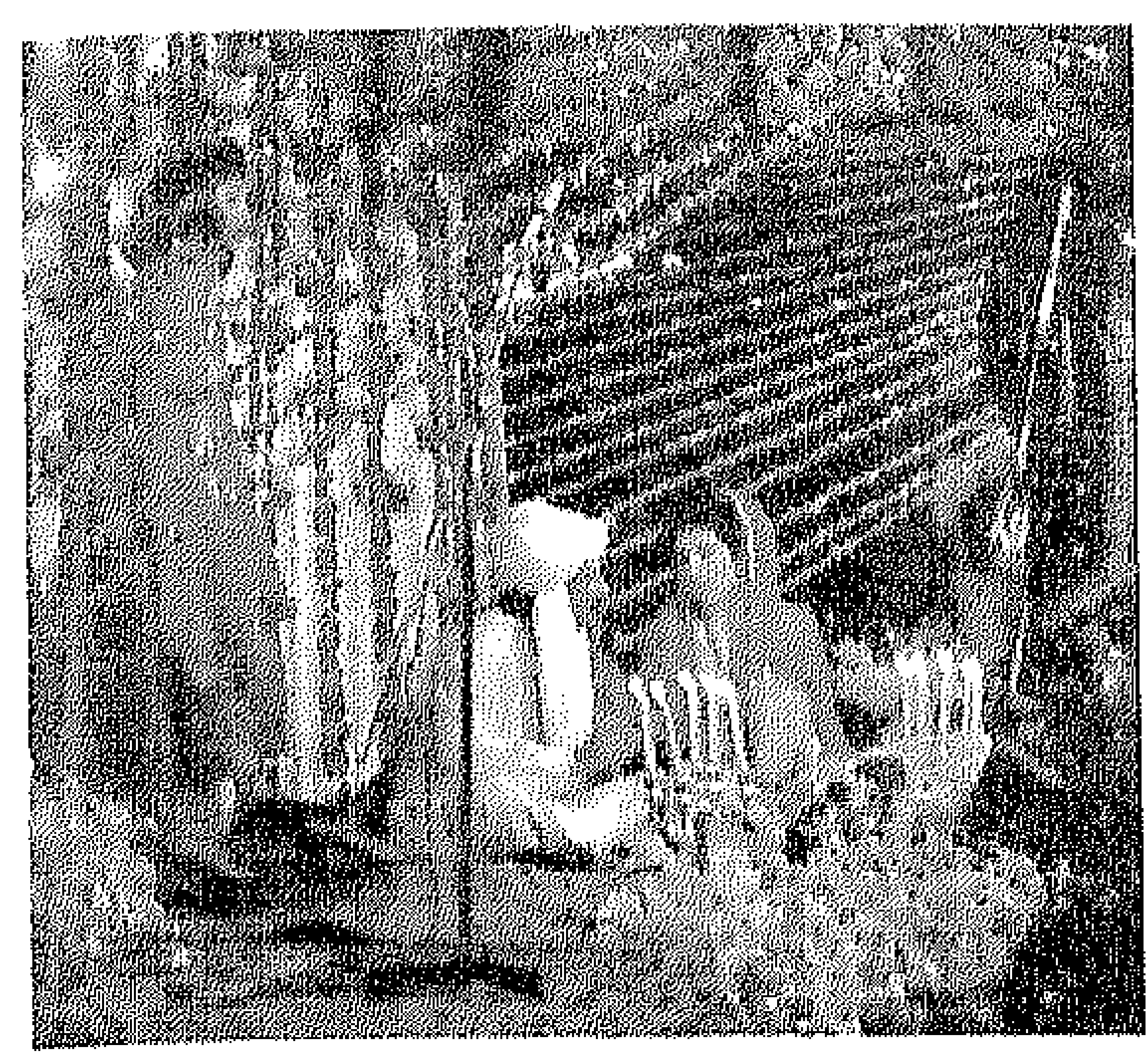
•• جاذبية المرأة . .
أم قوة الزعيمة؟



•• ذو الفقار على بوتو . .
ونصرت بوتو



•• فى البرلمان .



•• فى حفل زفافها عام 1987 .



•• تفكير عميق فى الماضى . .
أم فى المستقبل؟



•• هى . . وزاردارى .



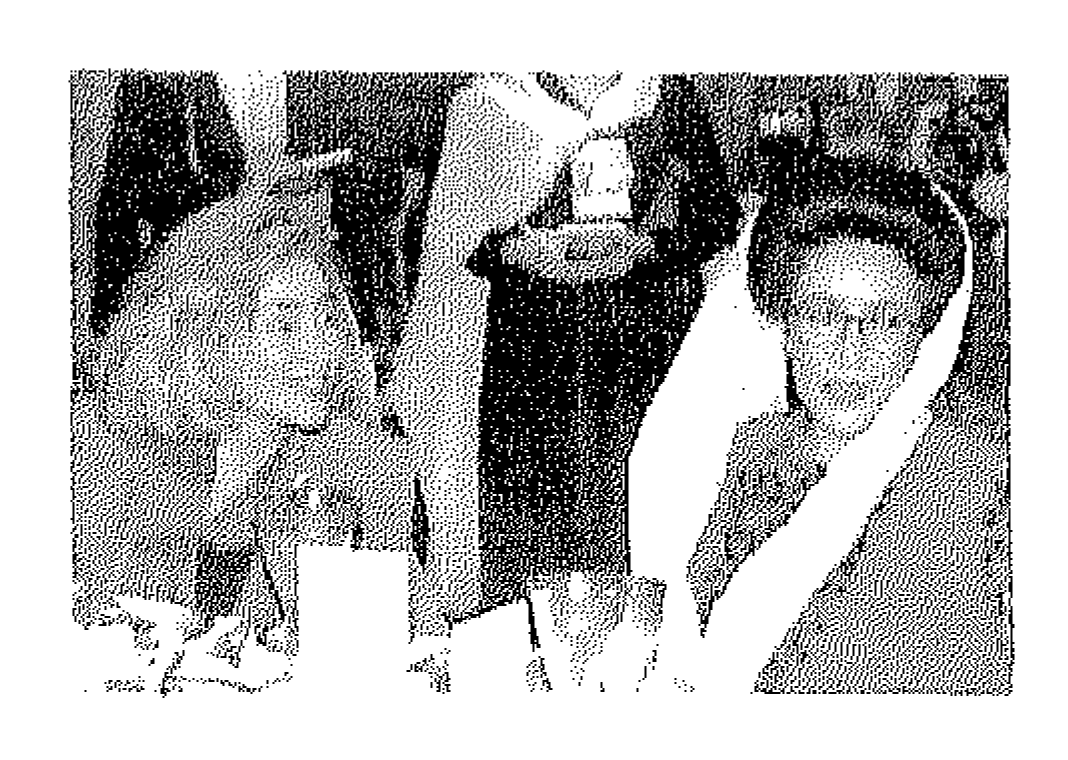
•• بينظير الأم بين ابنتيها بيختوار وآصيفة فى دبى قبل عودتها إلى باكستان .



•• الملكة إليزابيث ملكة بريطانيا في استقبال بينظير بوتو في قصرها .



•• مع كلينتون الرئيس الأمريكي السابق في حديقة البيت الأبيض ، وكانت وقتها رئيسة وزراء باكستان .



•• بينظير وهيلاري كلينتون .



•• في البيت الأبيض تصافح الرئيس بوش الأب .



•• بوتو وتاتشر . . الحديديتان .



•• على غلاف الباري ماتش صورة لها مع ابنتها .



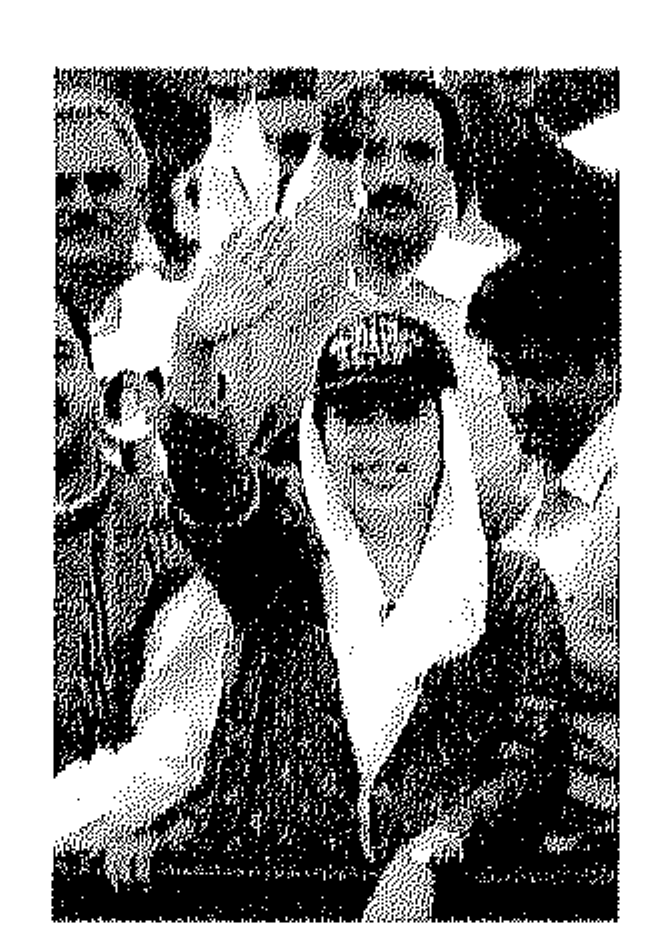
•• فى مطار دبى.



•• فى الطائرة عائدة إلى الوطن.



•• الجماهير فى استقبالها عند عودتها إلى كراتشى.



•• تحيى الجماهير العريضة عند وصولها.



•• بعد محاولة الاغتيال الأولى فى أكتوبر 2007.

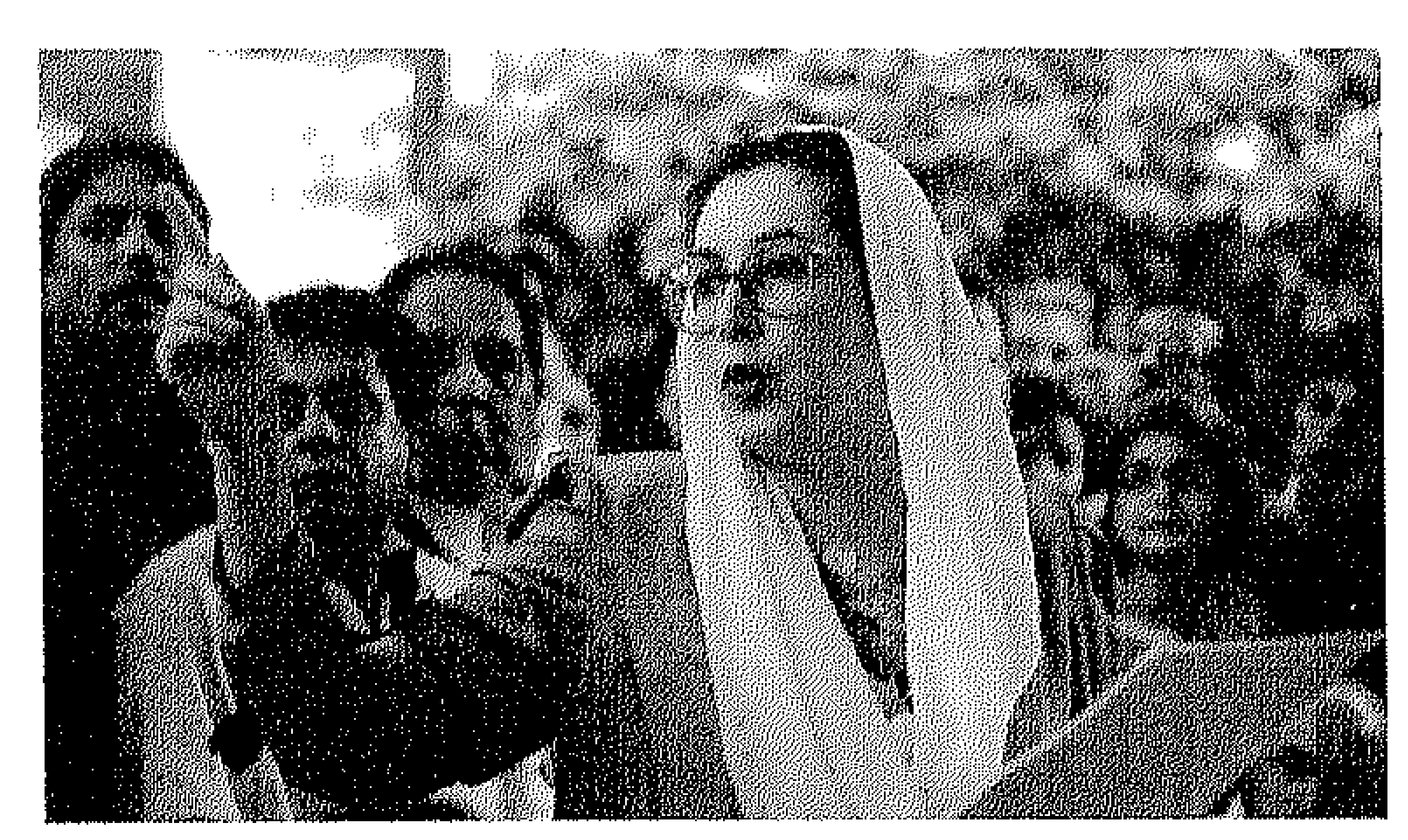


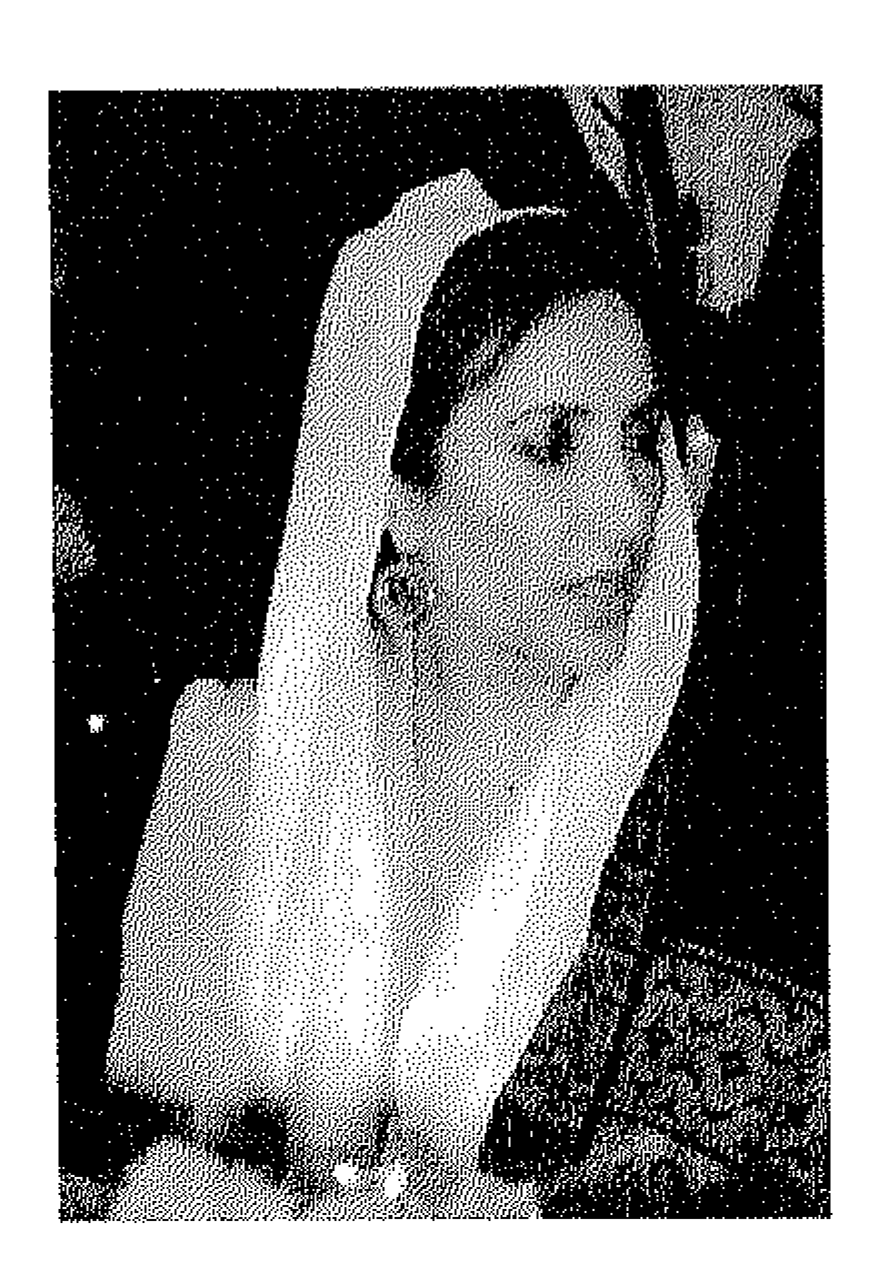


•• يا إلهي . . !

•• تبكي لحظة وصولها إلى مطار كراتشي .

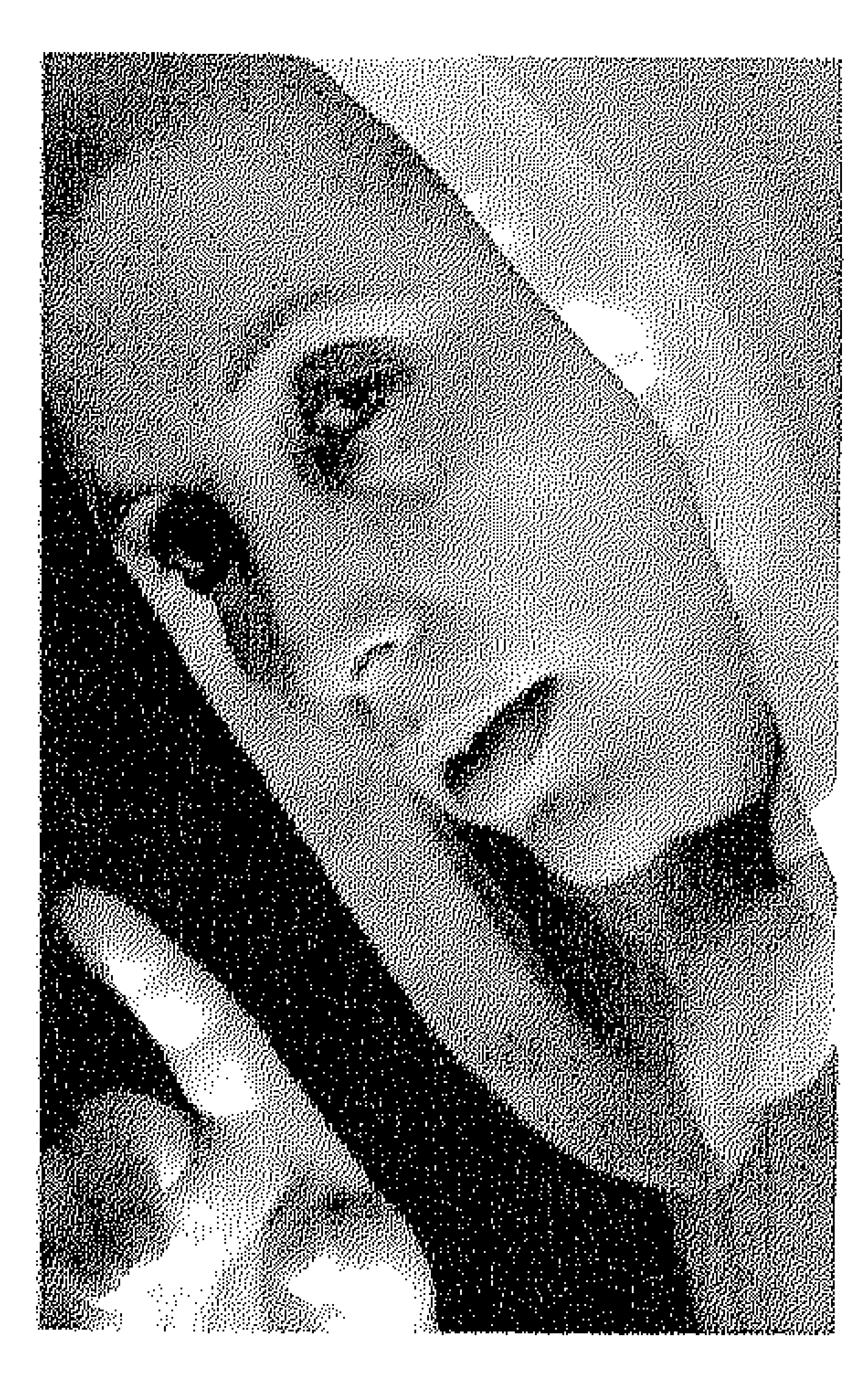
•• السياسية التي أحبها الملايين .





•• الزعيمة الجميلة كان الحزن هو قدرها .

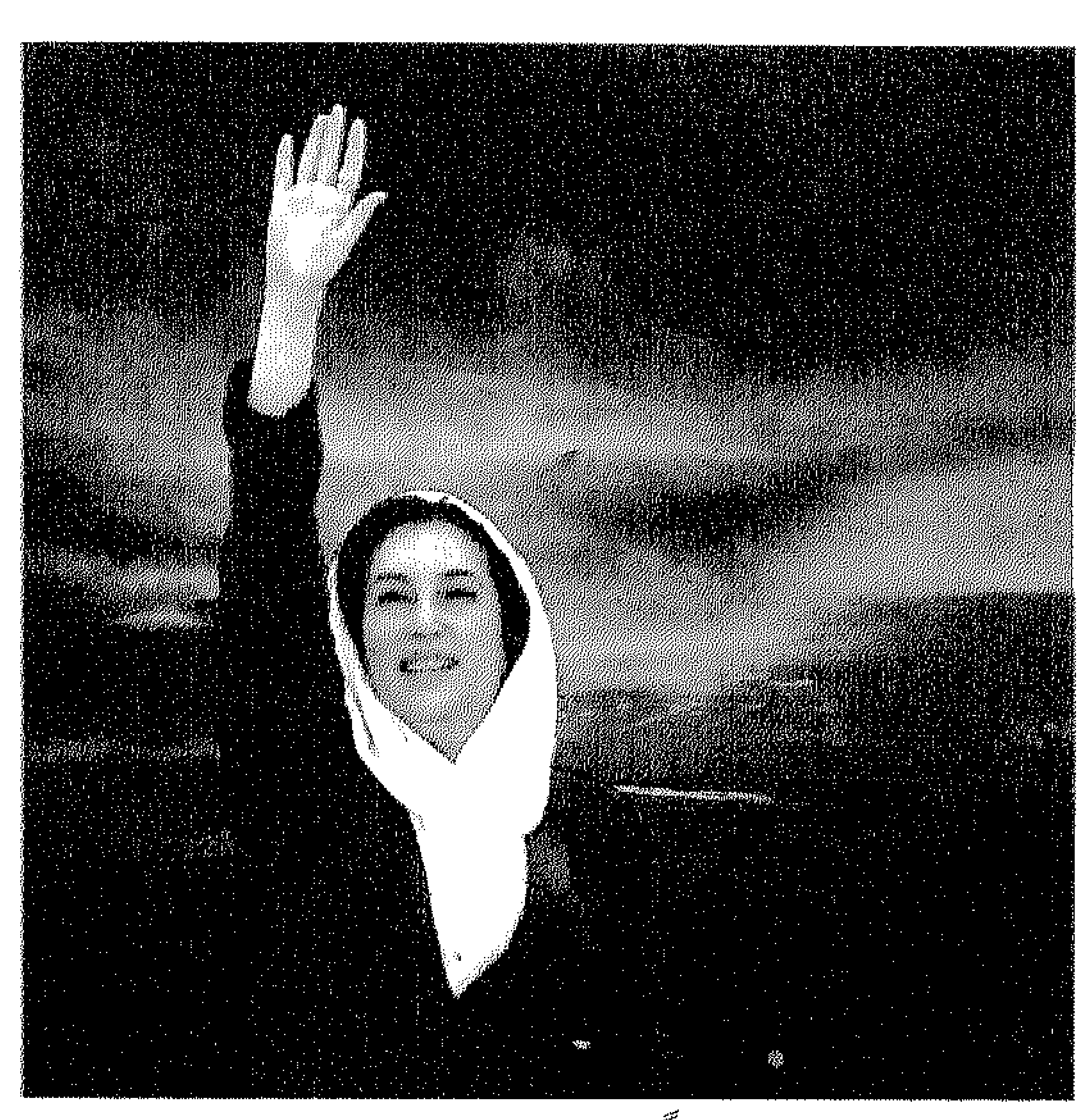




•• النظرة إلى
المجهول
والتعلق بالأمل!



•• الابتسامة الشاردة
وكأنها الموناليزا .



..وداعـــا . . . . . . !

نوال مصطفى فى سطور

•• رئيس تحرير كتاب اليوم وكاتبة بأخبار اليوم.

•• حصلت على بكالوريوس الإعلام - قسم صحافة - جامعة القاهرة عام 1978.

•• بدأت حياتها الصحفية فى دار أخبار اليوم عام 1980 وتميزت بالخط الإنسانى والاجتماعى فى كتاباتها الصحفية، كما نشرت العديد من التحقيقات الخارجية من دول العالم التى زارت الكثير منها سواء فى مهمات صحفية أو الحضور أو المشاركة فى ندوات ومؤتمرات دولية.

صدر لها العديد من الكتب منها:

ست مجموعات قصصية أهمها: «الحياة مرة أخرى» عام 1992 - «حنين» 1993 - مذكرات ضرة 1994 - «رقصة الحب» 1995 - "عاشقات خلف الأسوار» 1997.

«العصافير لا يملكها أحد» 1999 وقد تحول بعضها إلى مسلسلات تليفزيونية، ومنها مسلسل «مذكرات ضرة»، ومسلسل «الاختيار الصعب».

•• مواسم القمر.. مجموعة قصصية عام 2001.

•• نجوم وأقلام.. طبعة ثانية عام 2002.

•• أسطورة الإسكندرية.. قصة أشهر مكتبة عرفها العالم (وترجم إلى اللغتين الانجليزية والفرنسية) صدر فى افتتاح مكتبة الإسكندرية عام 2002.

•• المتهمة بالحب.. سلسلة إبداع المرأة عام 2003.

•• رواية الفخ عام 2005.

•• الوجوه الزائفة عام 2006.

•• الوقوع فى الحب عام 2007 عن دار نهضة مصر.

•• قلوب تحت العشرين فى يناير 2008 عن دار نهضة مصر.

•• كما صدر لها عدة كتب صحفية وسير ذاتية لبعض الرموز الفكرية والأدبية ومنها كتابها عن نزار قبانى ومى زيادة.

الجوائز والتكريمات:

•• حصلت الكاتبة على جائزة الدولة للتفوق فى الآداب عام 2007 عن مجمل أعمالها الأدبية وإسهاماتها الثقافية والإنسانية.

•• كما حصلت على جائزة أفضل كتاب عام 2000 وكرمها الرئيس محمد حسنى مبارك فى المعرض الدولى للكتاب فى يناير 2001 عن كتابها «مى زيادة.. أسطورة الحب والنبوغ».

•• وحصلت على جائزة نقابة الصحفيين المصرية عام 1990 عن الحوار الصحفى مع بينظير بوتو رئيسة وزراء باكستان السابقة فى إسلام آباد (وهى فى الحكم).

•• حصلت على جائزة مصطفى وعلى أمين عام 1995 عن أفضل قصة صحفية إنسانية. وعلى دبلوم الصحافة من جامعة بوسطن بالولايات المتحدة الأمريكية عام 1993.

•• رئيس مجلس إدارة جمعية رعاية أطفال السجينات.

•• رئيس مجلس إدارة ورئيس تحرير مجلة «عيون المستقبل»

•• عضو اتحاد الكتاب المصرى.

•• عضو جمعية الكاتبات المصريات.

•• عضو نقابة الصحفيين المصرية.

•• عضو جمعية كتاب ونقاد السينما.

•• عضو رابطة الصحفيات الدوليات Women's Edition.

•• عضو لجنة الثقافة بالمجلس القومى للمرأة.

دراسات ومنح خارجية:

•• منحة صحفية لزيارة عدد من أهم الصحف وشبكات التليفزيون الأمريكية فى ست ولايات لمدة شهر مقدمة من وكالة الإعلام الأمريكية بالتعاون مع نقابة الصحفيين المصرية عام 1983.

•• حصلت على زمالة سالزبورج سيمينار بعد مشاركتها فى الندوة الدولية لمناقشة قضية الإدمان عام 1987.

•• منحة دراسية بجامعة بوسطن بالولايات المتحدة الأمريكية لمدة شهرين ونصف لدراسة الصحافة وتكنولوجيا الاتصالات، كما تضمنت المنحة زيارة الجنوب الأمريكى وقضاء أسبوع بجامعة «جاكسون» بالميسيسيبى عام 1992.

•• اختيرت عضوا برابطة الصحفيات الدولية «The Women's Edition» من عام 1999 – 2003، وكانت الصحفية الوحيدة من الشرق الأوسط ضمن عشر صحفيات دوليات.

الفهـــرس

أحدث إصدارات

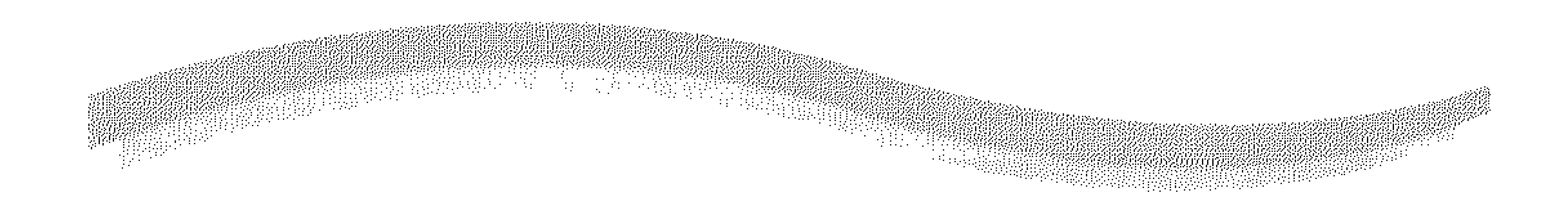
الأستاذة

نوال مصطفى

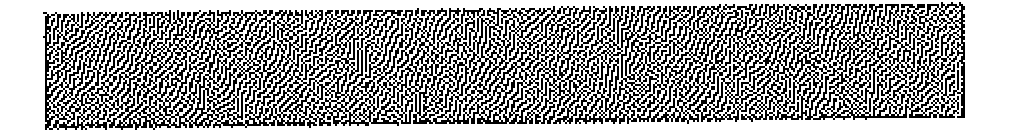
•• الوقوع فى الحب.

•• قلوب تحت العشرين.

•• بينظير بوتو.. ابنة القدر.









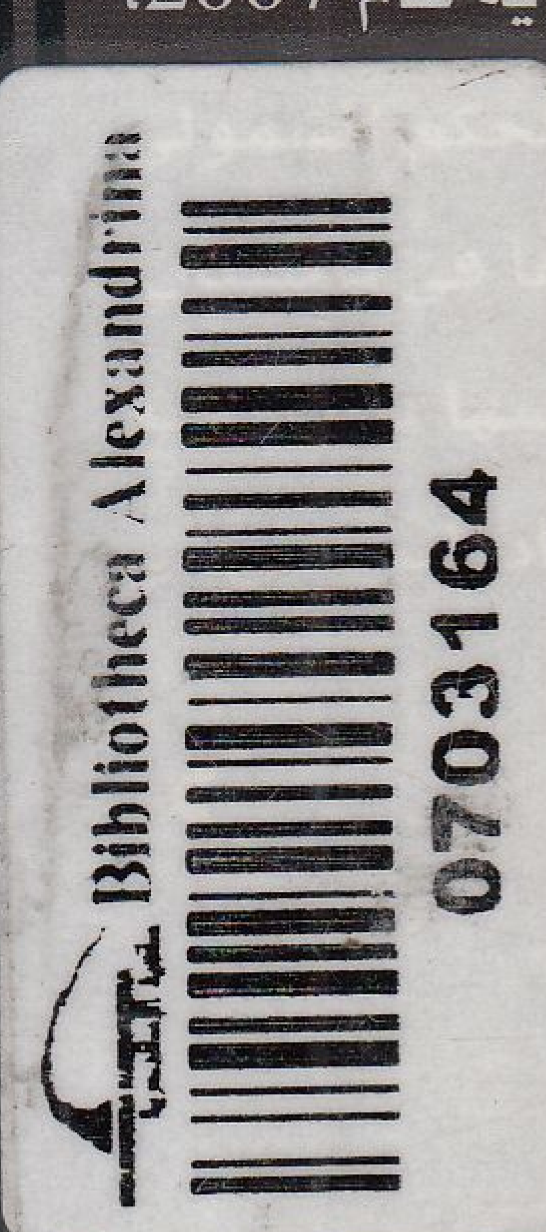
لقد ظلّت بينظير بوتو تتأرجح بين الصعود والهبوط.. السلطة والمعارضة.. القمة والقاعدة.. الطّموح والجنوح.. النّعيم والجّحيم.. قوة الحاكمة وضعف العاشقة.. فهل هناك شخصية يمكن أن تلفت نظرى وتثير خيالى وتحفزنى لفك طلاسمها والتّوصل إلى شفرتها أكثر منها؟!

وقد رأيتها وتحدثت معها وهى فى الحكم. فكنت أول من حاورها فى الصحافة العربيّة، وعندما رجعت إلى مصر فوجئت بها ترسل لى صورة شخصية لها تهديها إلىّ موقعة بخط يدها.

والآن أنظر إلى هذه الهدية الغالية وتلك الشخصية الفريدة التى وصفت نفسها ذات يوم بأنها «ابنة القدر».. وأتأمل محطات الصعود والهبوط. البداية والنهاية، لشخصية ولدت تحمل جينات الزعامة، وملامح الجاذبية. وضعها القدر وسط نيران تصهر الحديد فلم تنصهر! ورمتها أمواج الحياة على صخرة الصراع والسلطة فلم تنكسر، ودفعها الثأر إلى الوقوف فى صفوف البسطاء من أجل حياة عادلة، فلم تتأخر أو تتردد.

إنها واحدة من الزعامات التى سيتذكرها التاريخ، وستحفظ قصتها الأجيال، لا باعتبارها أصغر رئيسة وزراء فى العالم، ولا لأنها أول رئيسة وزراء لدولة إسلامية فى العصر الحديث، ولا باعتبارها واحدة من أجمل خمسين امرأة فى العالم، كما جاء فى استطلاع رأى أجرته مجلة «People» فى نهاية عام 2007، ولكن لأنها امرأة وقفت بشجاعة – لا نظير لها – فى وجه الحكم الشمولى الدكتاتورى وتبنت رؤية إصلاحية حقيقية حلمت بأن تنفذها فى ... واستطاعت أن تهزم الخوف داخلها حتى لا تسمح لنفسها ... أو الانسحاب من مواجهة حقيقية وجهًا لوجه مع الفساد ... بلادها.

نوال مصطفى





6 221133 335713

